


٥٣١٨

المقامات الحريرية ، للحريرى ،القاسم ابن على ـ ٥١٦ هـ • كتبت فى القرن الثانى عشر الهجرى تقديرا •

١٤٤ق ١٦س ٢١×٣٠ سم

نسخة جيدة ، خطها مغربى جيد ، طبع

الاعلام ٦ : ١٢ كشف الظنون ٢ : ١٧٨٧

١ ـ المقامات ، أدب اللغة العربية

أ ـ المؤلف ب ـ تاريخ النسخ



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

اللهم إنا نحمدك على ما علمت من البيان وألهمت من التبيان
كما نحمدك على ما أسبغت من العطا وأسبلت من الغطا ونعوذ بك من
شرة اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة اللكن وفضوح
الحصر ونستكفي بك الافتتان بإطراء المادح وإغضاء المسامح
كما نستكفي بك الانتصاب لإزراء القادح وهتك الفاضح ونستغفرك
من سوق الشهوات إلى سوق الشبهات كما نستغفرك من نقل الخطوات
إلى خطط الخطيئات ونستوهب منك توفيقا قايدا إلى الرشد
وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا متحليا بالصدق
ونطقا مؤيدا بالحجة وإصابة ذايدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة هوى
النفس وبصيرة ندرك بها عرفان القدر وأن تسعدنا بالهداية إلى

وتعضدنا بالإعانة على الإبانة وتعصمنا من الغواية
وتصرفنا عن السفاهة في الفكاهة حتى نأمن حصايد
الألسنة ونكفى غوايل الزخرفة فلا نرد مورد مأثمة ولا نقف
موقف مندمة ولا نرهق بتبعة ولا معتبة ولا نلجأ إلى معذرة على
بادرة اللهم فحقق لنا هذه المنية وأنلنا هذه البغية ولا
تضحنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا مضغة للماضغ فقد مددنا
إليك يد المسألة وبخعنا بالاستكانة والمسكنة واستنزلنا كرمك
الجم وفضلك الذي عم بضراعة الطلب وبضاعة الأمل ثم
بالتوسل بمحمد صلى الله عليه وسلم سيد البشر
والشفيع المشفع في المحشر الذي ختمت به النبيين وأعليت
درجته في عليين ووصفته في كتابك المبين فقلت وأنت أصدق
القائلين إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع
ثم أمين اللهم فصل عليه وعلى آله الهادين وأصحابه الذين
شادوا الدين واجعلنا لهديه وهديهم متبعين وانفعنا
بمحبته ومحبتهم أجمعين إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة
جدير وبعد فإنه جرى ببعض أندية الأدب

الذي ركدت في هذا العصر ريحه وخبت مصابيحه ذكر المقا
مات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة همذان رحمه
الله وعزا إلى أبي الفتح الإسكندري نشأتها وإلى عيسى بن
هشام روايتها وكلاهما مجهول لا يعرف ونكرة لا تتعرف
فأشار من إشارته حكم وطاعته غنم إلى أن أنشئ مقامات
أتلو فيها تلو البديع وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع فذاكرته
بما قيل فيمن ألف بين كلمتين أو نظم بيتا أو بيتين واستقلته من
هذا المقام الذي يحار فيه الفهم ويفرط فيه الوهم ويسبر به
غور العقل وتتبين فيه قيمة المرء في الفضل ويضطر صاحبه إلى أن
يكون كحاطب ليل أو جالب رجل وخيل وقلما سلم مكثار
أو أقيل له عثار فلما لم يسعف بالإقالة ولا أعفي من المقالة لبيت
دعوته تلبية المطيع وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع
وأنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة وفطنة خامدة
وروية ناضبة وهموم ناصبة خمسين مقامة تحتوي على جد
القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان ودرره
وملح الأدب ونوادره إلى ما وشحتها به من الآيات ومحاسن

الكنايات ورصعته فيها من الأمثال العربية واللطائف الأدبية
والأحاجي النحوية والفتاوى اللغوية والرسائل المبتكرة
والخطب المحبرة والمواعظ المبكية والأضاحيك الملهية مما
أمليت جميعه على لسان أبي زيد السروجي وأسندت روايته
إلى الحارث بن همام البصري وما قصدت بالإحماض فيه إلا تنشيط
قارئيه وتكثير سواد طالبيه ولم أودعه من الأشعار الأ
جنبية إلا بيتين فذين أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية
وآخرين توأمين ضمنتهما خواتم المقامة الكرجية وما عدا
ذلك فخاطري أبو عذره ومقتضب حلوه ومره هذا
مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق غايات وصاحب
آيات وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة ولو أوتي بلاغة
قدامة لا يغترف إلا من فضالته ولا يسري ذلك المسرى إلا
بدلالته ولله در القائل

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وأرجو أن لا أكون في هذا الهذر الذي أوردته والمورد الذي

يقول حين جد في مجانه وهدرت شقاشق ارتجاله أيها السادر في
غلوائه السادل ثوب خيلائه الجامح في جهالاته الجانح إلى
خزعبلاته إلام تستمر على غيك وتستمرئ مرعى بغيك وحتى
م تتناهى في زهوك ولا تنتهي عن لهوك تبارز بمعصيتك
مالك ناصيتك وتجترئ بقبح سيرتك على عالم سريرتك و
تتوارى عن قريبك وأنت بمرأى من رقيبك وتستخفي عن مملوكك
وما تخفى خافية على مليكك أتظن أن ستنفعك حالك إذا آن
ارتحالك أو ينقذك مالك حين توبقك أعمالك أو يغني عنك
ندمك إذا زلت بك قدمك أو يعطف عليك معشرك يوم
يضمك محشرك هلا انتهجت محجة اهتدائك وعجلت معالجة
دائك وفللت شباة اعتدائك ونزعت نفسك فهي أكبر
أعدائك أما الحمام ميعادك فما إعدادك وبالمشيب إنذارك
فما أعذارك وفي اللحد مقيلك فما قيلك وإلى الله
مصيرك فمن نصيرك طالما أيقظك الزمن فتناعست وجذ
بك الوعظ فتقاعست وتجلت لك العبر فتعاميت وحصحص
لك الحق فتماريت وأذكرك الموت فتناسيت وأمكنك أن

تؤاسي فما آسيت تؤثر فلسا توعيه على ذكر تعيه وتختار
قصرا تعليه على بر توليه وترغب عن هاد تستهديه إلى زاد
تستهديه وتغلب حب ثوب تشتهيه على ثواب تشتريه
يواقيت الصلات أعلق بقلبك من مواقيت الصلاة ومغالاة
الصدقات آثر عندك من موالاة الصدقات وصحاف الألوان
أشهى إليك من صحائف الأديان ودعابة الأقران آنس لك
من تلاوة القرآن تأمر بالعرف وتنتهك حماه وتحمي عن النكر
ولا تتحاماه وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى الناس و
الله أحق أن تخشاه

تبا لطالب دنيا . ثنى إليها انصبابه
ما يستفيق غراما . بها وفرط صبابه
ولو درى لكفاه . مما يروم صبابه

ثم إنه لبد عجاجته وغيض مجاجته واعتضد شكوته و
تأبط هراوته فلما رنت الجماعة إلى تحفزه ورأت تأهبه لمزا
يلة مركزه أدخل كل منهم يده في جيبه فأفعم له سجلا من سيبه
وقال اصرف هذا في نفقتك أو فرقه على رفقتك فقبله منهم



مغضبا واشرع عنهم شنيا وجعل يودع من يشيعه ليخفي عليهم مهيعه ويسرب من يتبعه لكي يجهل مربعه فقال الحرث بن همام فاتبعته مواريا عنه عياني وقفوت اثره من حيث لا يراني حتى انتهى الى مغارة فانساب فيها على غرارة فامهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته مثافنا لتلميذ على خبز سميذ وجدي حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ فقلت له يا هذا ايكون ذاك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق الي حتى خفت ان يسطو علي فلما ان خبت ناره وتوارى اواره انشد

لبست الخميصة ابغي الخبيصة . وانشبت شصي في كل شيصة
وصيرت وعظي احبولة . اريغ القنيص بها والقنيصة
والجاني الدهر حتى ولجت . بلطف احتيالي على الليث عيصة
على انني لم اهب صرفه . ولا نبضت لي منه فريصة
ولا شرعت بي على مورد . يدنس عرضي نفس حريصة
ولو انصف الدهر في حكمه . لما ملك الحكم اهل النقيصة

ثم قال لي ادن فكل وان شئت فقم وقل فالتفت الى تلميذه وقلت لئن عزمت عليك بمن تستدفع به الاذى لتخبرني من ذا فقال هذا ابو زيد السروجي سراج الغربا وتاج الادبا فانصرفت من حيث اتيت وقضيت العجب مما رايت

المقامة الثانية وتعرف بالحلوانية

حكى الحرث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمائم ونيطت بي العمائم بان اغشى معاني الادب وانضي اليها ركاب الطلب لاعلق منه بما يكون لي زينة بين الانام ومزنة عند الاوام وكنت لفرط اللهج باقتباسه والطمع في تقمص لباسه اباحث كل من جل وقل واستسقي الوبل والطل واتعلل بعسى ولعل فلما حللت حلوان وقد بلوت الاخوان وسبرت الاوزان وخبرت ما شان وما زان الفيت ابا زيد السروجي يتقلب في قوالب الانتساب ويخبط في اساليب الاكتساب فيدعي ساعة انه من آل ساسان ويعتزي مرة الى اقيال غسان ويبرز طورا في شعار الشعرا ويلبس حينا كبر الكبرا بيد انه مع تلون حاله وتبين محاله يتحلى برواء ورواية ومداراة ودراية وبلاغة رائعة وبديهة مطاوعة وآداب بارعة وقدم لاعلام العلوم فارعة



...إلى بعض الحضر ثم قال يا رواة القريض وأساة القول المريض إن خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك وقد قيل فيما غبر من الزمان عند الامتحان يكرم المرء أو يهان وها أنا قد عرضت خبيئتي للاختبار وعرضت حقيبتي على الاعتبار فابتدر إليه أحد من حضر وقال أعرف بيتا لم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله فإن آثرت اجتلاب القلوب فانظم على هذا الأسلوب **وأنشد** للوأواء الدمشقي

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ... وردا وعضت على العناب بالبرد

فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب حتى أنشد فأغرب

سألتها حين زارت نضو برقعها الـ ... ـقاني وإيداع سمعي أطيب الخبر

فزحزحت شفقا غشى سنا قمر ... وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

فحار الحاضرون لبداهته واعترفوا بنزاهته فلما آنس استئناسهم بكلامه وانصبابهم إلى شعب إكرامه أطرق كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين آخرين

وأقبلت يوم جد البين في حلل ... سود تعض بنان النادم الحصر

فلاح ليل على صبح أقلهما ... غصن وضرست البلور بالدرر

فاستغزر القوم نبعته واستغزروا ديمته وأجملوا عشرته وجملوا قشرته **قال المخبر بهذه الحكاية** فلما رأيت تلهب جذوته وتألق جلوته أمعنت النظر في توسمه وسرحت الطرف في ميسمه فإذا هو شيخنا السروجي وقد أقمر ليله الدجوجي فهنأت نفسي بمورده وابتدرت استلام يده وقلت له ما الذي أحال صفتك حتى جهلت معرفتك وأي شيء شيب لحيتك حتى أنكرت حليتك فأنشأ يقول

وقع الشوائب شيب ... والدهر بالناس قلب

إن دان يوما لشخص ... ففي غد يتغلب

فلا تثق بوميض ... من برقه فهو خلب

واصبر إذا هو أضرى ... بك الخطوب وألب

فما على التبر عار ... في النار حين يقلب

ثم نهض مفارقا موضعه ومستصحبا القلوب معه

المقامة الثالثة وتعرف بالدينارية

حكى الحرث بن همام قال نظمني وأخدانا لي ناد لم يخب فيه مناد ولا كبا قدح زناد ولا ذكت نار عناد فبينما نحن

نتجاذب أطراف الأناشيد ونتراد طرف الأسانيد إذ وقف
علينا شخص عليه سمل وبه مشية قزل فقال يا أخاير الذخاير
وبشاير العشاير عموا صباحا وانعموا اصطباحا وانظروا إلى
من كان ذا ندي وندى وجدة وجدا وعقار وقرى ومقار وقرى
فما زال به قطوب الخطوب وحروب الكروب وشر
الحسود وانتياب النوب السود حتى صفرت الراحة وقرع
الساحة وغار المنبع ونبا المربع وأقوى المجمع وأقض المضجع
واستحالت الحال وأعول العيال وخلت المرابض ورحم الغابط
ورضي الساخط وأودى الناطق والصامت ورثى لنا الحاسد
والشامت وآل بنا الدهر الموقع والفقر المدقع إلى أن احتذينا
الوجى واغتذينا الشجى واستبطنا الجوى وطوينا الأحشاء
على الطوى واستوطأنا القتاد وتناسينا الأقتاد واستطبنا
الحين المجتاح واستبطأنا الحين المتاح فهل من حر آس أو
سمح مواس فوالذي استخرجني من قيلة لقد أمسيت أخا عيلة
لا أملك بيت ليلة **قال الحارث بن همام** فأويت لمفاقره
ولويت إلى استخباره فأبرزت له دينارا وقلت له اختبارا

إن مدحته نظما فهو لك حتما فانبرى ينشد في الحال من غير انتحال

أكرم به أصفر راقت صفرته جواب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته قد أودعت سر الغنى أسرته
وقارنت نجح المساعي خطرته وحببت إلى الأنام غرته
كأنما من القلوب نقرته به يصول من حوته صرته
وإن تفانت أو توانت عترته يا حبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته كم آمر به استتبت إمرته
ومترف لولاه دامت حسرته وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم أنزلته بدرته ومستشيط تتلظى جمرته
أسر نجواه فلانت شرته وكم أسير أسلمته أسرته
أنقذه حتى صفت مسرته وحق مولى أبدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلت قدرته

ثم بسط يده بعدما أنشده وقال أنجز حر ما وعد وسح
خال إذ رعد فنبذت الدينار إليه وقلت خذه غير مأسوف
عليه فوضعه في فيه وقال بارك الله فيه ثم شمر للانثناء
بعد توفية الثناء فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام سهلت

فعلقت على إنشاده أعترافه بجودته دينارا آخر و
قلت له هل لك في أن تذمه ثم تضمه فأنشد مرتجلا وشدا عجلا

تبا له من خادع مماذق ... أصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق ... زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوي الحقائق ... يدعو إلى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق ... ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخل من طارق ... ولا شكا الممطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق ... وشر ما فيه من الخلائق
أن ليس يغني عنك في المضائق ... إلا إذا فر فرار الآبق
واها لمن يقذفه من حالق ... ومن إذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق ... لا رأي في وصلك لي ففارق

فقلت له ما أغزر وبلك فقال والشرط أملك فنفحته بالدينار
الثاني وقلت له عوذهما بالمثاني فألقاه في فمه وقرنه بتوأمه
وانكفأ يحمد مغداه ويمدح النادي ونداه قال الحارث
ابن همام فناجاني قلبي بأنه أبو زيد وأن تعارجه لكيد ولا
خبوته لصيد فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشيك فاستقم

في مشيك فقال إن كنت ابن همام فحييت بإكرام وحييت
بين كرام فقلت له أنا الحارث فكيف حالك والحوادث
فقال أتقلب في الحالين بؤس ورخاء وأنقلب مع الريحين
زعزع ورخاء فقلت فكيف ادعيت القزل وما مثلك من هزل
فاستسر بشره الذي كان تجلى ثم أنشد حين ولى

تعارجت لا رغبة في العرج ... ولكن لأقرع باب الفرج
وألقي حبلي على غاربي ... وأسلك مسلك من قد مرج
فإن لامني القوم قلت اعذروا ... فليس على أعرج من حرج

المقامة الرابعة وتعرف بالدمياطية

حكى الحارث بن همام قال ظعنت إلى دمياط عام هياط ومياط
وأنا يومئذ مرموق الرخاء موموق الإخاء أسحب مطارف الثراء وأ
جتلي معارف السراء فرافقت صحبا قد شقوا عصا الشقاق و
ارتضعوا أفاويق الوفاق حتى لاحوا كأسنان المشط في الاستواء
وكالنفس الواحدة في التئام الأهواء وكنا مع ذلك نسير النجاء ولا
نرحل إلا كل هوجاء وإذا نزلنا منزلا أو وردنا منهلا اختلسنا اللبث
ولم نطل المكث فعن لنا إعمال الركاب في ليلة فتية الشباب غرابية

الأعقاب بأسرتنا إلى أن رضي البين بنيابه وسلب الضيم خطابه
بحيث مللنا السرى وملنا إلى الكرى صادفنا أرضاً مخضلة الربا
معتلة الصبا فتخيرناها مناخاً للتعريس ومحطاً للتغليس فلما
حلها الخليط وهدأ بها الأطيط والغطيط سمعت صيتاً من
الرجال يقول لسميره في الرحال كيف حكم سيرتك مع جيلك
وجيرتك فقال أرعى الجار ولو جار وأبذل الوصال لمن صال
وأحتمل الخليط ولو أبدى التخليط وأود الحميم ولو جرعني
الحميم وأفضل الشفيق على الشقيق وأفي للعشير وإن لم يكافئ
بالعشير وأستقل الجزيل للنزيل وأغمر الزميل بالجميل
وأنزل سميري منزلة أميري وأحل أنيسي محل رئيسي وأودع
معارفي عوارفي وأولي مرافقي مرافقي وألين مقالي للقالي
وأديم تسآلي عن السالي وأرضى من الوفاء باللفا وأقنع من الجزاء
بأقل الأجزاء ولا أتظلم حين أظلم ولا أنقم ولو لدغني الأرقم فقال
صاحبه ويحك يا بني إنما يضن بالضنين وينافس في الثمين لكني أنا
لا أؤاتي غير المواتي ولا أنيم التفاتي بمن عاتى ولا أصافي من يأبى إنصافي
ولا أواخي من يلغي إخائي ولا أمالي من يخيب آمالي ولا أبالي بمن صرم

حبالي

حبالي ولا أداري من جهل مقداري ولا أعطي زمامي من يخفر ذمامي ولا
أبذل ودادي لأضدادي ولا أدع إيعادي للمعادي ولا أغرس الأيادي
في أرض الأعادي ولا أسمح بمواساتي لمن يفرح بمساءتي ولا أرى التعنّي
لمن تشمت بوفاتي ولا أخص بحبائي إلا أحبائي ولا أستطب لداء غمي
أو دائي ولا أملأ خلتي لمن يسر خلتي ولا أصفي نيتي لمن يتمنى منيتي
ولا أخلص دعائي لمن لا يؤمن على دعائي ولا أفرغ ثنائي على من يفرغ
إنائي ومن حكم بأن أبذل وتخزن وألين وتخشن وأذوب وتجمد
وأذكو وتخمد لا بل والله نتوازن في المقال وزن المثقال بالمثقال
ونتحاذى في الفعال حذو النعال بالنعال حتى نأمن التغابن ونكفى
التضاغن وإلا فلم أعلك وتعلني وأقلك وتستقلني وأجترح
لك وتجترح وأشرح إليك وتتبرح وكيف يجتلب إنصاف
بضيم وأي شمس تشرق مع غيم ومتى أصحب ود بعسف وأي
حر رضي بخطة خسف ولله در أبيك إذ يقول

جازيت من أعلق بي ودّه ... جزاء من يبني على أسه
وكلت للخل كما كال لي ... على وفاء الكيل أو بخسه
ولم أخسره وشر الورى ... من يومه أخسر من أمسه

وكل من يطلب عندي جنا فما له إلا جنا غرسه
لا أتبع الغبن ولا أنثني بصفقة المغبون في خسه
ولست بالموجب حقا لمن لم يوجب الحق على نفسه
ورب مرا والمسري خالني أصدقه الود على لبسه
وما درى من جهله أنني أقضي غريم الدين من جنسه
فاهجر من استغباك هجر القلا ودعه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة لباس من يرغب عن أنسه
ولا ترج الخير ممن يرى أنك محتاج إلى فلسه

قال الحارث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما تقت إلى أن أعرف
عينهما فلما لاح ابن ذكاء وألحف الجو الضياء غدوت قبل استقلال
الركاب ولا اغتذاء الغراب وجعلت أستقري صوب الصوت الليلي و
أتوسم الوجوه بالمنظر الجلي إلى أن لمحت أبا زيد وابنه يتحادثان
وعليهما بردان رثان فعلمت أنهما نجيا ليلتي وصاحبا روايتي
فقصدتهما قصد كلف بدماثتهما راث لرثاثتهما وأنجعتهما التحول
إلى رحلي والتحكم في كثر وقلي وجعلت أسيّر بين السيارة بفضلهما
وأمتري الأعواد المثمرة لهما حتى غدوا بالنحلان وانخرطا في الخلان

وكنا بمعرض نستجني منه بنيات الفكر ونستنير منه أنوار الفقر فلما
رأى أبو زيد امتلاء كيسه وانجلاء بؤسه قال لي إن بدني قد اتسخ
ودرني قد رسخ أفتأذن لي في قصد قرية لأستحم وأقضي هذا
المهم فقلت له إذا شئت فالسرعة السرعة والرجعة الرجعة
فقال ستجد مطلعي عليك أسرع من ارتداد طرفك إليك ثم
استن استنان الجواد في المضمار وقال لابنه بدار بدار ولم
نخل أنه غر وطلب المفر فلبثنا نرقبه رقبة أهلة الأعياد و
نستطلعه بالطلائع والرواد إلى أن هرم النهار وكاد
جرف النهار ينهار فلما طال أمد الانتظار ولاحت الشمس في
الأطمار قلت لأصحابي قد تناهينا في المهلة وتمادينا في الرحلة
إلى أن أضعنا الزمان وبان أن الرجل قد مان فتأهبوا للظعن ولا
تلووا على خضراء الدمن ونهضت لأحدج راحلتي وأتحمل
لرحلتي فوجدت أبا زيد قد كتب على القتب

يا من غدا لي ساعدا ومساعدا دون البشر
لا تحسبن أخي تنائي عن ملال أو أشر
لكنني مذ لم أزل ممن إذا طعم انتشر

قال فلما رأت الجماعة الثقب ليعذره من كان عتب فأعجبوا بحجته وتعوذوا من آفته ثم إنا ظعنا ولم ندر من اعتاض منا

المقامة الخامسة وتعرف بالكوفية

قال الحرث بن همام سمرت بالكوفة في ليلة اديمها ذو لونين وقمرها كتعويذ من لجين مع رفقة غذوا بلبان البيان وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ما فيهم الا من يحفظ عنه ولا يتحفظ منه ويميل الرفيق اليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر الى ان غرب القمر وغلب السهر فلما روق الليل البهيم ولم يبق الا التهويم سمعنا من الباب نبأة مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح فقلت من الملم في الليل المدلهم فقال

يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا ... ولا لقيتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذي اكفهرا ... الى ذراكم شعثا مغبرا
أخا سفار طال واسبطرا ... حتى انثنى محقوقفا مصفرا
مثل هلال الأفق حين افترا ... وقد عرا فناءكم معترا
وأمكم دون الأنام طرا ... يبغي قرى منكم ومستقرا
فدونكم ضيفا قنوعا حرا ... يرضى بما احلولى وما أمرا

وينثني

وينثني عنكم ينث البرا

قال الحرث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا للغلام هيا هيا وهلم ما تهيا فقال الضيف والذي احلني ذراكم لا تلمظت بقراكم او تضمنوا الا تتخذوني كلا ولا تجشموا لأجلي أكلا فرب اكلة هاضت الآكل وحرمته مآكل وشر الأضياف من سام التكليف وآذى المضيف خصوصا أذى يعتلق بالأجسام ويفضي الى الأسقام وما قيل في المثل الذي سار سائره خير العشاء سوافره الا ليعجل التعشي ويجتنب أكل الليل الذي يعشي اللهم الا ان تقد نار الجوع وتحول دون الهجوع قال فكأنه اطلع على إرادتنا فرمى عن قوس عقيدتنا لاجرم انا آنسناه بالتزام الشرط واثنينا على خلقه السبط ولما احضر الغلام ما راج واذكى بيننا السراج تأملته فاذا هو ابو زيد فقلت لصحبي ليهنكم الضيف الوارد بل المغنم البارد فان يكن افل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر او استسر بدر النثرة فقد تبلج بدر النثر فسرت حميا المسرة فيهم وطارت السنة عن مآقيهم ورفضوا الدعة التي كانوا نووها وثابوا الى نشر الفكاهة بعد ما طووها وابو زيد مكب على إعمال يديه

حتى إذا استرق ما لديه قلنا أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك أو
عجيبة من عجائب أسفارك فقال لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراء
ون ولا رواه الراوون وإن من أعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم
ومصيري إلى بابكم فاستخبرناه عن طرفة مرآه في مسرح مسراه فقال
إن مرامي الغربة لفظتني إلى هذه التربة وأنا ذو مجاعة وبؤسى و
جراب كفؤاد أم موسى فنهضت من حين سجا الدجا على ما بي من الوجا
لأرتاد مضيفا أو أقتات رغيفا فساقني حادي السغب والقضاء المكنى
أبا العجب إلى أن وقفت على باب دار **فقلت**

حييتم يا أهل هذا المنزل ... وعشتم في خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل ... نضو سرى خابط ليل أليل
جوي الحشى على الطوى مشتمل ... ما ذاق مذ يومين طعم مأكل
ولا له في أرضكم من موئل ... وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة في تململ ... فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول لي ألق عصاك وادخل ... وابشر ببشر وقرى معجل

قال فبرز إلي جؤذر عليه شوذر **وقال**

وحرمة الشيخ الذي سن القرى ... وأسس المحجوج في أم القرى

ما عندنا

ما عندنا لطارق إذا عرا ... سوى الحديث والمناخ في الذرا
وكيف يقري من نفى عنه الكرى ... طوى برى أعظمه لما انبرى
فما ترى فيما ذكرت ما ترى

فقلت وما أصنع بمنزل قفر ومنزل حلف فقر ولكن يا فتى ما
اسمك فقد فتنني فهمك فقال اسمي زيد ومنشئي فيد ووردت إلى
هذه المدرة أمس مع أخوالي من بني عبس فقلت زدني إيضاحا زادك
الله صلاحا عشت ونعشت فقال أخبرتني أمي برة وهي كاسمها
برة أنها نكحت عام الغارة بماوان رجلا من سراة سروج وغسان
فلما آنس منها الإثقال وكان باقعة على ما يقال ظعن عنها سرا و
هلم جرا فلم يعلم أحي هو فيتوقع أم أودع في اللحد البلقع **قال**
أبو زيد فعلمت بصحة العلامات أنه ولدي وصدفني عن التعرف
إليه صفر يدي ففصلت عنه بكبد مرضوضة ودموع مفضوضة
فهل سمعتم يا أولي الألباب بأعجب من هذا العجاب فقلنا لا ومن عنده
علم الكتاب فقال أثبتوها في عجائب الاتفاق وخلدوها في بطون
الأوراق فما سير مثلها في الآفاق فأحضرنا الدواة وأساودها ور
قشنا الحكاية على ما سردها ثم استبطناه عن مرتآه في استضمام

فتاه فقال إذا تعذر رده خف على أن أقبل ابني فقلنا إن كان يكفيكه
نصاب من النوال أنفقناه لك في الحال فقال وكيف لا يقنعني نصاب و
هل يحتقر قدره إلا مصاب **قال الراوي** فالتزم له كل منا قسطا
وكتب له به قطا فشكر عند ذلك الصنع واستنفد في الثناء الوسع
حتى إنا استطلنا القول واستقللنا الطول ثم إنه نشر من وشي السمر
ما أزرى بالنجم إلى أن أظل التنوير وجشر الصبح المنير فقضينا هذه الليلة
غابت شوائبها إلى أن شابت ذوائبها وكمل سعودها إلا أن نفد
عودها **ولما** ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة وقال انهضوا بنا
لنقبض الصلة ونستنض الإحالة فقد استطارت صدوع كبدي من
الحنين إلى ولدي فوصلت جناحه حتى سنيت نجاحه فحين أحرز العين في
صرته برقت أسارير مسرته وقال لي جزيت خيرا عن خطا قدميك و
الله خليفتي عليك فقلت أريد أن أتبعك لأشاهد ولدك النجيب
وأناقده لكيما يجيب فنظر إلي نظر الخادع إلى المخدوع وضحك حتى
تغرغرت مقلتاه بالدموع **ثم أنشد**

يا من تظنى السراب ماء ... لما رويت الذي رويت
ما خلت أن يستسر مكري ... وأن يخفى الذي عنيت

والله ما لي بنية ... ولا لي ابن به اكتنيت
وإنما لي فنون سحر ... أبدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الأصمعي فيما ... حكى ولا حاكها الكميت
تخيرتها وصلة إلى ما ... تجنيه كفي متى اشتهيت
ولو تعافيتها لحالت ... حالي ولم أحو ما حويت
فمهد العذر أو فسامح ... إن كنت أجرمت أو جنيت

ثم إنه ودع ومضى وأودع قلبي جمر الغضا

المقامة السادسة وتعرف بالخيفاية

روى الحارث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى
به ذكر البلاغة فأجمع من حضر من فرسان اليراعة وأرباب البراعة على
أنه لم يبق من ينقح الإنشاء ويتصرف فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف
من يبتدع طريقة غراء أو يفترع رسالة عذراء وأن المفلق من كتاب هذا
الأوان المتمكن من أزمة البيان كالعيال على الأوائل ولو ملك فصاحة
سحبان وائل وكان في المجلس كهل جالس في الحاشية عند مواقف
الحاشية فكان كلما شط القوم في شوطهم ونشروا العجوة والنجوة
من نوطهم ينبي تخازر طرفه وتشامخ أنفه أنه مخبو ليسباح

ومجّ من سمر السماع ونابغ ينمي النبال ورابض ينعي النضال فلما
تتلت الكتائب وبانت السكاكين وركدت الزعازع وكفّ المنازع
أقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيئا إدّا وجرتم عن القصد جدّا و
عظّمتم العظام الرفات وافتتنتم في الميل إلى من فات وغمصتم
جيلكم الذي فيهم لكم اللدات ومعهم انعقدت لكم المودّات ألا
نسيتم يا جهابذة النقد وموابذة الحلّ والعقد ما أبرزته
طوارف القرائح وبرّز فيه الجذع على القارح من العبارات المهذّبة
والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشّحة والأساجيع المستملحة
وهل للقدماء إذا أمعن النظر ولحظ غير المعاني المطروقة الموارد
المعقولة الشوارد المأثورة عنهم لتقادم المولد لا لتقدّم الصادر
على الوارد وإني لأعرف الآن من إذا أنشأ وشّى وإذا عبّر حبّر وإذا
أوجز أعجز وإذا أسهب أذهب وإن بدّه شدّه ومتى اخترع خرّع
فقال ناظورة الديوان وعين أولئك الأعيان من قارع هذه الصفاة
ومن يع هذه الصفات فقال إنه قرن مجالدك وقرين مجالسك وإن
شئت فرض نجيبا وادع مجيبا لترى عجيبا فقال يا هذا إن البغاث
بأرضنا لا يستنسر والتمييز عندنا بين الفضة والقضّة متيسّر فقل

من استعرف للنضال يخلص من الداء العضال أو استشار نقع الامتحان
فلم ينفذ بالامتهان فلا تعرضنّ عرضك للمفاضح وأعرض عن نصيحة
الناصح فقال كل امرئ أعرف بوسم قدحه وسينجلي الليل عن صبحه
فتناجت الجماعة فيما ينسم به قليبه ويغمر فيه تغليبه فقال
أحدهم ذروه في حصتي لأرميه بحجر قضيتي فإنها عضلة العقد ومحكّ
المنتقد فقلّدوه في هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة
فأقبل على الكهل وقال اعلم أني أوالي هذا الوالي وأرمّق حالي بما
لبيان الحالي وكنت أستعين على تقويم أودي في بلدي بسعة ذات يدي
مع قلة عددي فلما ثقل حاذي ونفد رذاذي أممته من أرجائي
بجاهي ودعوته لإعادة رأيي وإرواء بتفتيش الوفادة وراح
وغدا بالإبادة وراح فلما استأذنته في المراح إلى المراح على
كاهل المراح قال قد أزمعت على ألّا أزوّد بتاتا ولا أجمع لك
شتاتا أو تنشئ لي أمام ارتحالك رسالة تودعها شرح حالك حروف
إحدى كلمتيها يعمّها النقط وحروف الأخرى لم يعجمن قطّ وقد
استأنيت بيانك حولا فما أحار قولا ونبّهت فكري سنة فما ازداد إلا
سنة واستعنت بقاطبة الكتّاب فكلّ منهم قطّب وتاب فإن كنت

صدّقت عن وصفها باليقين فأت بآية إن كنت من الصادقين **فقال**
له لقد استسعفت بأهزا يعبوبا واستسقيت أسكوبا وأعطيت
القوس باريها وأنزلت الدار بانيها ثم فكر ريثما استجم قريحته
واستدر لقحته وقال له ألق دواتك وخذ أداتك واكتب
الكرم ثبت الله جيش سعودك يزين واللؤم غض الدهر جفن
حسودك يشين والأروع يثيب والمعور يخيب والحلاحل يضيف
والماحل يخيف والسمح يغذي والمحك يقذي والعطاء ينجي و
المطال يشجي والدعاء يقي والمدح ينقي والحر يجزي والإلطاط يخزي
واطراح ذي الحرم غي ومحرمة بني الآمال بغي وما ضن إلا غبين ولا غبن
إلا ضنين ولا خزن إلا شقي ولا قبض راحه تقي وما فتئ وعدك يفي وآ
راؤك تشفي وهلالك يضيء وحلمك يغضي وآلاؤك تغني وأعداؤك
تثني وسؤددك ينبي وحسامك يفني ومواصلك يجتني وماحكك
يفتني وسماؤك تغيث وسماحك يغيث ودرّك يفيض وردّك
يغيض ومؤملك شيخ حكاء بز ولم يبق له شيء أما بطن جحره
يثب ومرجله ينش شعورها تجب ومرامه يخف وأواصره تشف
وإخوانه يجتنب وملامه يجتنب وزواره ضفف مسهم تخف

وحصنهم جنب وغمهم نشف ومقوه دمع يجيب وزله يزيف ونيم
تضيف وكم نيف لما مر نخيب وإشمال شيب وعروه يثب ومعرة تغيب
ولم يغ ودّه فيغضب ولا خبث عوده فينضب ولا نفث صدره فينفث
ولا نشز وصله فيبغض وما يقتضي كرمك نبذ حرمه فبيض أمله بتخييب
ألمه بقيت جم ذخر نير عالمه بغيث لآماله تجب وإعطاؤه تشب ومراواة
تشجي ومراعاة يغني من حرمان بخفيف سرور غض ما غشي مغمر غبن
أو خشي وهم غبني والسلام **قال** فلما فرغ من إملاء رسالته وجلاء
في هيجاء البلاغة عن بسالته أرضته الجماعة فوة وبعلا وأوسعته
حباوة وطولا ثم سيل من أي الشعوب نجاره وفي أي الشعاب وجاره فقال

غسان أسرتي الصميمة ... وسروج تربتي القديمة
فالبيت مثل الشمس إشراقا ومنزلة جسيمة
والربع كالفردوس مطيبة ومنزهة وقيمة
واها لعيش كان لي فيها ولذات عميمة
أيام أسحب مطرفي في روضها ماضي العزيمة
أختال في برد الشباب وأجتلي النعم الوسيمة
لا أتقي نوب الزمان ولا حوادثه الذميمة

فلو ان حرا مثلبا لتلقفت من كدي المقيمة

أو يفتدي عيش مضا لفدته مهجته الكريمة

فالموت خير للفتى من عيشه عيش البهيمة

تقتاده برة الصغار إلى العظيمة والهضيمة

ويرى السباع تنوشها أيدي الضباع المستضيمة

والذنب للأيام لولا شؤمها لم تنب شيمة

ولو استقامت كانت الأحوال فيها مستقيمة

ثم إنه نحا نحو الوالي بملاءمة بالتثاني وسامه أن ينضوي إلى أحشائه ويلي ديوان إنشائه فأحسبه الحبا وظلفه عن الولاية الإباء

قال الراوي وكنت عرفت عود شجرته قبل إيناع ثمرته وكدت أنبه على علو قدره قبل استنارة بدره فأومأ إلي بإيماض جفنه أن لا أجرد عضبه من جفنه فلما خرج بطين الخرج وفصل فائزا بالفلج شيعته قاضيا حق الرعاية ولاحيا له على رفض الولاية فأعرض متبسما وأنشد مترنما

لجوب البلاد مع المتربة أحب إلي من المرتبة

لأن الولاة لهم نبوة ومعتبة يا لها معتبة

وما فيهم من يرب الصنيع ولا من يشيد ما رتبه

فلا يخدعنك لموع السراب ولا تأت أمرا إذا ما اشتبه

فكم حالم سره حلمه وأدركه الروع لما انتبه

المقامة السابعة وتعرف بالبرقعيدية

حكى الحارث بن همام قال أزمعت الشخوص من برقعيد وقد شمت برق عيد فكرهت الرحلة من تلك المدينة أو أشهد بها يوم الزينة فلما أظل بفرضه ونفله وأجلب بخيله ورجله اتبعت السنة في لبس الجديد وبرزت مع من برز للتعييد وحين التأم جمع المصلى وانتظم وأخذ الزحام بالكظم طلع شيخ في شملتين محجوب المقلتين وقد اعتضد شبه المخلاة واستقاد لعجوز كالسعلاة فوقف وقفة متهافت وحيا تحية خافت ولما فرغ من دعائه أجال خمسه في وعائه فأبرز منه رقاعا قد كتبن بألوان الأصباغ في أوان الفراغ فناولهن عجوزه الحيزبون وأمرها بأن تتوسم الهبون فمن آنست ندى يديه ألقت ورقة بين يديه قال فأتاح لي القدر المعتوب ورقة فيها مكتوب

لقد أصبحت موقوذا بأوجاع وأوجال

وممنوٍّ بمحتالٍ ومختالٍ ومغتالِ
وخوّانٍ من الإخوان مالٍ لي بإقلالِ
وإعمالٍ من العمّال في تضييع أعمالي
فكم أصلى بإذحالٍ وإمحالٍ وترحالِ
وكم أخطر في بالٍ ولا أخطر في بالِ
فليت الدهر لما جار أكفى أكفى أطفالي
فلولا أن أشبالي أغلالي وأغلالي
لما جهّزت آمالي إلى آلٍ ولا والِ
ولا جرّرت أذيالي على مسحب إذلالِ
فمحرابي أحرى بي وأسمالي أسمى لي
فهل حرٌّ يرى تخفيف أثقالي بمثقالِ
ويطفي حرّ بلبالي بسربالٍ وسروالِ

قال الحارث بن همام فلما استشففت حلة الأبيات تقت إلى معرفة ملحمها ورام علمها فناجاني فكري بأن التوصلة إليه العجوز وأفتاني بأن حلوان المعرّف يجوز من صرتها وهي تستقري الصفوف صفّا صفّا وتستوكف الأكف كفّا كفّا وما إن نجع لها عناؤها ولا رشح على يديها

إنا **فلما** أكدى استعطافها وكرّمنا مقطافها عاذت بالاسترجاع ومالت إلى أن تخالع الرقاع فأنساها الشيطان ذكر رفعتي فلم تعج إلى بقعتي فثابت إلى الشيخ باكية للحرمان شاكية تحامل الزمان فقالت إنا لله وأفوّض أمري إلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله **ثم أنشد**

لم يبق صافٍ ولا مصافٍ ولا معينٌ ولا معينُ
وفي المساوي بدا التساوي فلا أمينٌ ولا يمينُ

ثم قال منّى النفس وعزّي واجمعي الرقاع وعُدّيها فقالت لقد عددتها لما استعدتها فوجدت يد الضياع قد غالت إحدى الرقاع فقال تعسا لك يا لكاع أنحرم ونحا القنص والحبالة و القبس والذبالة إنها لضغث على إبالة فانصاعت تقفو مدرجها وتنشد منهجها فلما دانت مني قرنت بالرقعة درهما وقطعة وقلت لها إن رغبت بالمثوبة المعلمة وأشرت إلى الزمم فبوحي بالسر المبهم وإن أبيت أن تشرحي بخبر النطعة فانثني بمالك إلى استخلاص تبر الثمن ولا تلج الهم وقالت دع جدالك وسل عما بدالك فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته والشعر وناسج بردته فقالت إن الشيخ من أهل سروج وهو الذي وشى الشعر المنسوج

وَمُنُوا بِمُحتالٍ وَمُختالٍ وَمُغتالِ

وَخَوّانٍ مِنَ الأخوانِ قالٍ في كُلِّ إفضالِ

وَإعمالٍ مِنَ العُمّالِ في تَضييعِ أعمالِ

فَكَم أَصلى بِإدخالٍ وَإمحالٍ وَتِرحالِ

وَكَم أَخطِرُ في بالٍ وَلا أَخطُرُ في بالِ

فَلَيتَ الدَّهرَ لَمّا جارَ أَطفالي أَطفالي

فَلَولا أَنَّ أَشبالي أَغلالي وَإغلالي

لَما جَهَّزتُ آمالي إلى آلٍ وَلا والِ

وَلا جَرَّرتُ أَذيالي عَلى مَسحَبِ إذلالِ

فَمِحرابي أَحرى بي وَأَسمالي أَسمى لي

فَهَل حُرٌّ يَرى تَخفيفَ أَثقالي بِمِثقالِ

وَيُطفي حَرَّ بَلبالي بِسَجلٍ وَسَنٍ والِ

قالَ الحارثُ بنُ همّام فلمّا استشففتُ حلّةَ الأبياتِ تُقتُ إلى معرفةِ مُلحِمِها وراقِمِ عَلَمِها فناجاني فكري بأنّ التوصّلَ إليه التعجّزُ واتّفاقي بأنّ حُلوانَ العجوزِ يجوزُ من صرّتها وهي تستقري الصفوفَ صفًّا صفًّا وتستوكفُ الأكُفَّ كفًّا فكفًّا وما إن يَنجعُ لها عنا ولا يترشّحُ على يديها

انا

إنا فلمّا أكدى استعطافُها وكُرِّرَ مطافُها عاذت بالاسترجاعِ ومالت إلى ارتجاعِ الرقاعِ فأنساها الشيطانُ ذكرَ رقعتي فلم تعُج إلى بقعتي فآبت إلى الشيخِ باكيةً للحرمانِ شاكيةً تحاملَ الزمانِ فقال إنّا للهِ وأُفوِّضُ أمري إلى اللهِ ولا حولَ ولا قوّةَ إلا باللهِ **ثمّ أنشد**

لم يبقَ صافٍ ولا مُصافٍ ولا مَعينٌ ولا مُعينُ

وفي المساوي بدا التساوي فلا أمينٌ ولا ثمينُ

ثمّ قال منّي النفسَ وعِديها واجمعي الرقاعَ وعُدّيها فقالت لقد عددتُها لمّا استعدتُها فوجدتُ يدَ الضياعِ منها غالت إحدى الرقاعِ فقال تعسًا لكِ يا لكاعِ أنُحرَمُ وبئسَ الغنمُ والحبالةُ والقبسُ والذبالةُ إنّها لضغثٌ على إبالةٍ فانصاعت تقفو مدرجَ جهلِها وتنشدُ صرّتَها فلمّا دانتني قرنتُ بالرقعةِ درهمًا وقطعةً وقلتُ لها إن رغبتِ في المَوسومِ المُعلَمِ فأشيري إلى الرقمِ فبوحي بالسرِّ المبهمِ وإن أبيتِ أن تشرحي فخذي القطعةَ واسرحي فمالت إلى استخلاصِ بدرِ التمِّ والأبلجِ الأشمِّ وقالت دع جدالَكَ وسَل عمّا بدا لك فاستطلعتُها طِلعَ الشيخِ وبلدتِهِ والشعرِ وناسجِ بُردتِهِ فقالت إنّ الشيخَ من أهلِ سروجَ وهو الذي وشّى الشعرَ المنسوجَ

ثم خلعت الزرم مع خلعة الناسك ومرقت مروق السهم من الرشق
فخالج قلبي أن أبا زيد هو المشار إليه وتأجج كربي لمطايبه بنا
طرية وآثرت أن أعاجيه وأناجيه لأنجم عود فراستي فيه و
ما كنت لأطلع إليه إلا بتخطي رقاب الجمع المنهي عنه في الشرع
وعفت أن يتأذى بي قوم أو ينشى إلى لوم فسركنا بمكاني
وجعلت شخصه نصب عياني إلى أن نفض الخطبة وحقت
الوثبة فخففت وتوسمته على انخلاع جعبته فإذا الأصمعي
ألمعية ابن عباس وفراسة إياس فعرفته حينئذ بشخص
وبادرته بأحر نحص وأهبت به إلى فرص فهش لعارفتي وعي
بأني ولبى دعوة رغباتي فانطلق ويد زمامه وظل أمامه
والعجوز ثالثة إلا تأتي دار رحيب الذي لا يخفى عليه خاف ولما
استقلت وكنتي وأحضرته عجالة مكنتي قال يا حارث أمعنا ثا
لث فقلت لنبيذة العجوز فقال ماء ونفاش عجوز ثم فتح
عن مقلتيه ورأيت بوجه متنبه فإذا سراجا وجهه يتقدان كأنهما
الفرقدان فابتهجت بسلامة بصره وعجبت من غرائب سيره
ولم يلفتني قرار ولا طاوعني اصطبار حتى سألته ما دعاك إلى

التعامي

التعامي مع سيرك في المعامي وجوبك الفيافي وإيغالك في المرا مي
فتظاهر بالدكنة وتشاغل بالدهنة حتى إذا انقضى وطره أثار
إلى نظره **وأنشد**

ولما تعامى الزمن وتقوا أبو الزوار عن الرشد في اختياره ومقاصده
تعاميت حتى قيل إني أخو عمى ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

ثم قال انهض إلى المخدع فأتني بغسول يروي الطرف وينقي الكف
وينعم البشرة ويعطر النكهة ويشد اللثة ويقوي المعدة
وليكن نظيف الظرف أريج العرف فتي الدق نعيم السحق يحسبه
اللامس ذرورا ويخاله الناشق كافورا واقرن به خلالة نقية الأصل
محبوبة الوصل أنيقة الشكل مدعاة إلى الأكل لها نحافة الصب
وصقالة العضب وآلة الحرب ولدونة الغصن الرطب **قال**
فنهضت فيما أمر لا لأذرع عنه الغمر ولم أهم إلا أنه قصد المخدع
بإدخالي المخدع لأتحققنه أنه نحى مرامي سوء في استدعاء الخلالة
والغسول فلما عدت بالملتمس في أقرب من رجع النفس وجدت
الجو قد خلا والشيخ والشيخة قد أجفلا فاستشطت من مكره
غضبا وأوغلت في إثره طلبا فكان كمن غمس في الماء أو عرج به إلى عنان السماء

خلالة

المقامة الثامنة وتعرف بالمعرية

أخبر الحارث بن همام قال رأيت من أعاجيب الزمان أن تقدم
خصمان إلى قاضي معرة النعمان أحدهما قد ذهب منه الأطيبان
والآخر كأنه قضيب البان فقال الشيخ أيد الله القاضي كما أيد به
التقاضي إنه كانت لي مملوكة رشيقة القد أسيلة الخد صبور
على الكد تخب أحيانا كالنهد وترقد أخرى في المهد وتجد في تموز
مس البرد ذات عقل وعنان وحد وسنان وكف ببنان وفم بلا أسنان
تلدغ بلسان نضناض وترفل في ذيل فضفاض وتجلى في سواد وبياض
وتسقى ولكن من غير حياض ناصحة خدعة خباة طلعة مطبوعة
على المنفعة ومطاوعة في الضيق والسعة إذا قطعت وصلت ومتى
فصلتها عنك انفصلت وطالما خدمتك فجملت وربما جنت عليك فآلمت
وململت وإن هذا الفتى استخدمنيها لغرض فأخدمته إياها
بلا عوض على أن يجتني نفعها ولا يكلفها إلا وسعها فأولج فيها
متاعه وأطال بها استمتاعه ثم أعادها وقد أفضاها وبذل عنها
قيمة لا أرضاها فقال الحدث أما الشيخ فأصدق من القطا وأما الإفضاء
فوقع عن خطأ وقد رهنته على أرش ما أوهنته مملوكا لي

متناسب

متناسب الطرفين منتسبا إلى القين نقيا من الدرن والشين يقارن
محله سواد العين يفشي الإحسان وينشي الاستحسان ويغذي الإنسان
ويتحامى اللسان إن سود جاد وإن زود أجاد وإذا زود وهب
الزاد ومتى استزيد زاد لا يستقر بمغنى وقلما ينكح إلا مثنى يسخو
بموجوده ويسمو عند جوده وينقاد مع قرينته وإن لم تكن من طينته
ويستمتع بزينته وإن لم يطمع في لينته فقال لهما القاضي إما أن
تبينا وإلا فبينا فبادر الغلام وقال

أعارني إبرة لأرفو أخلاقا عفاها البلى وسودها
فانخرمت في يدي على خطأ مني لما جذبت مقودها
فلم ير الشيخ أن يسامحني بأرشها إذ رأى تأودها
بل قال هات إبرة تماثلها أو قيمة بعد أن تجودها
واعتاق ميلي رهنا لديه فيا هيجا هاشية تزودها
فالعين عبرى لرهنه ويدي تعجز عن أن تفك مرودها
فاسبر بذا الشيخ عسر مسكنتي وارث لمن لم يكن تعودها

فأقبل القاضي على الشيخ وقال إيه بغير تمويه فقال
أقسم بالمشعر الحرام ومن ضم من الناسكين خيف منى

لو ساعفتني الأيام لم ترني — مرتهنا مثله الخمر رهنا

ولا تصديت أبتغي بدلا — من أمة غالها ولا ثمنا

لكن قوس الخطوب ترشقني — بمصميات من هاهنا وهنا

وخبر حالي كخبر حالته — ضرا وبؤسا وغربة وضنا

قد عدل الدهر بيننا فأنا — نظيره في الشقاء وهو أنا

لا هو يستطيع فك مروده — لما عراه ولا يرى مرتهنا

ولا مجال الضيوف إن يمه — فيه انتساع للعفو عن جنا

بهذه قصتي وقصته — فانظر إلينا وبيننا ولنا

فلما وعى القاضي قصصهما وتبين خصاصتهما وتخصصهما أبرز
لهما دينارا من تحت مصلاه وقال اقطعا به الخصام وافصلاه بتلقفه
الشيخ دون الحدث واستخلصه على وجه الجد لا العبث وقال الحدث
نصفه لي بسهم سبتي وسهمي على أثرابه ولست عن الجواميل بغني
وخز المثل بعهد الحدث لما حدث اكتئاب وجم له القاضي وتبيح
أسفه على الدينار القاضي إلا أنه جبر بال الفتى وبلباله بدريهمات
رضخ بها له وقال لهما اجتنبا المعاملات وادرءا المخاصمات ولا تحضرا
في المحاكمات فما عندي كيس الغرامات فنهضا من عنده فرحين بحبرة

وبحبي

مفصحين بحبرة والقاضي ما يخبو ضجره من بحر حجره ولا ينطق كلمة من
رشح جلمده حتى إذا أفاق من غشيته أقبل على غاشيته وقال من أثم وجيه
وثنائي جرسه إنهما صاحبا دهاء لا خصما إدعاء فكيف السبيل إلى سبرهما
واستنباط سرهما فقال له نحيرة زمرته وشرارة جمرته إنه لن يتم استخراج
خبيئهما إلا بهما فيعقبهما عون فارجعهما إليه فلما مثلا بين يديه قال
لهما اصدقاني سر أمركما ولكما الأمان من تبعة مكركما فأحجم الحدث
واستقال وأقدم الشيخ وقال

أنا السروجي وهذا ولدي — والشبل في المخبر مثل الأسد

وما تعدت يده ولا يدي — في إبرة يوما ولا في مرود

وإنما الدهر المسيء المعتدي — مال بنا حتى غدونا نجتدي

كل ندي الراحة عذب المورد — وكل جعد الكف مغلول اليد

بكل فن وبكل مقصد — بالجد إن أجدى وإلا بالدد

لنجتلب أرشح إلى الحظ الصدي — وننفد العمر بعيش أنكد

والموت من بعد لنا بالمرصد — إن لم يفاج اليوم فاجا في غد

فقال القاضي لله دركما فما أعذب نفثات فيكما وأما لطال لولا أخداع فيكما
وأنا لكما من المعذرين وعليكما من المحذرين فلا تماكرا بعدها الحاكمين

وأنّى سطوة المتحكّمين بما كلّ مصطبر بقبيل ولا كلّ أوان يسمع
القيل فعاهده الشيخ على اتّباع مشورته والارتداع عن تلبيس
صورته ونهض عن جلسته والختم يلمع من جبهته فقال
الحارث بن همام فلم أر أعجب منها في تصاريف الأسفار
ولا قرأت مثلها في تصانيف الأسفار

المقامة التاسعة وتعرف بالأسكندرية

قال الحارث بن همام طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب
إلى أن جبت ما بين فرغانة وغانة أخوض الغمار لأجني الثمار وأقتحم
الأخطار لكي أدرك الأوطار وكنت لقفت من أفواه العلماء وثقفت
من وصايا الحكماء أنه يلزم الأديب إذا دخل البلد الغريب أن يستميل
قاضيه ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويأمن في
الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الأدب إماما وجعلته لمصالحي
زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة إلا وامتزجت بحاكمها
امتزاج الماء بالراح وتقويت بعنايته تقوّي الأجسام بالأرواح
فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية في عشية عرية وقد أحضر مال
الصدقات ليفضه على ذوي الفاقات إذ دخل شيخ عفرية

تعتله

تعتله امرأة مصبية فقالت أيّد الله القاضي وأدام به التراضي
إني امرأة من أكرم جرثومة وأطهر أرومة وأشرف خؤولة وعمومة
ميسمي الصون وشيمتي الهون وخلقي نعم العون وبيني وبين جاراتي
بون وكان أبي إذا خطبني بناة المجد وأرباب الجد سكّتهم وبكّتهم
وعاف وصلتهم وصلتهم واحتج بأنه عاهد الله بحلفة ألا يصاهر
غير ذي حرفة فقيّض القدر لنصبي ووصبي أن حضر هذا الخدعة نادي أبي
فأقسم بين رهطه أنه وفق شرطه وادعى أنه طالما نظم درة إلى درة فباعهما
ببدرة فاغترّ أبي بزخرف محاله وزوجنيه قبل اختبار حاله فلما
استخرجني من كناسي ورحّلني عن أناسي ونقلني إلى كسره وحصّلني
تحت أسره وجدته قعدة جثمة وألفيته ضجعة نومة وكنت صحبته
بشوار وأثاث وري فما برح يبيعه في سوق الهضم ويتلف ثمنه في
القضم والخضم إلى أن مزّق مالي بأسره وأنفق مالي في عسره
فلما أنساني طعم الراحة وغادر بيتي أنقى من الراحة قلت له يا هذا
إنه لا مخبأ بعد بؤس ولا عطر بعد عروس فانهض للاكتساب بصناعتك
واجنني ثمرة براعتك فزعم أن صناعته قد رميت بالكساد لما ظهر في الأرض
من الفساد ولي منه سلالة كأنها خلالة وكلانا لا ينال منه شبعة ولا

ترقرق له من الطرف دمعه وقد قدته إليك وأحضرته لديك لتعجم عود دعواه

وتحكم بيننا بما أراك الله فأقبل القاضي عليه وقال له قد وعيت خصم عرسك

فبرهن عن نفسك وإلا كشفت عن لبسك وأمرت بحبسك فأطرق

إطراق الأفعوان ثم تشمر للحرب العوان **وقال**

اسمع حديثي فإنه عجب ... يضحك من شرحه وينتحب

أنا امرؤ ليس في خصائصه ... عيب ولا في فخاره ريب

سروج داري التي ولدت بها ... والأصل غسان حين أنتسب

وشغلي الدرس والتبحر في ... العلم طلابي وحبذا الطلب

ورأس مالي سحر الكلام الذي ... منه يصاغ القريض والخطب

أغوص في لجة البيان فأختا ... ر اللآلي منها وأنتخب

وأجتني اليانع الجني من ... القول وغيري للعود يحتطب

وآخذ اللفظ فضة فإذا ... ما صغته قيل إنه ذهب

وكنت من قبل أمتري نشبا ... بالأدب المقتنى وأحتلب

ويمتطي أخمصي لحرمته ... مراتبا ليس فوقها رتب

وطالما زفت الصلات إلى ... ربعي فلم أرض كل من يهب

فاليوم من يعلق الرجاء به ... أكسد شيء في سوقه الأدب

لا عرض أبنائه يصان ولا ... يرقب فيهم إل ولا نسب

كأنهم في عراصهم جيف ... يبعد من نتنها ويجتنب

فحار لبي لما منيت به ... من الليالي وصرفها عجب

وضاق ذرعي لضيق ذات يدي ... وساورتني الهموم والكرب

وقادني دهري المليم إلى ... سلوك ما يستشينه الحسب

فبعت حتى لم يبق لي لبد ... ولا بتات إليه أنقلب

وادنت حتى أثقلت ما بقي ... تحمل دين من دونه العطب

ثم طويت الحشا على سغب ... خمسا فلما أمضني السغب

لم أر إلا جهازها عرضا ... أجول في بيعه وأضطرب

فجلت فيه والنفس كارهة ... والعين عبرى والقلب مكتئب

وما تجاوزت إذ عبثت به ... حد التراضي فيحدث الغضب

فإن يكن غاظها تورطها ... أن بناني بالظلم تنتهب

أو انثنى عزمها خطبتها ... زخرفت قولي ليتجح الأرب

فو الذي سارت الرفاق إلى ... كعبته تستحثها النجب

ما المكر بالمحصنات من شيمي ... ولا شعاري التمويه والكذب

ولا يدي مذ نشأت نيط بها ... إلا مواضي البراع والكتب

بل فكرتي تنظم القلائد لا ... كفي وشعري المنظوم لا السخب

ومذ زرى الحرفة الكساد إلى ... ما كنت أحوي بها وأحتلب

فادر لشرحي كما أذنت لها ... ولا تراقب واحكم بما يجب

فلما أحكم ما شاده، وأكمل إنشاده، عطف القاضي على الفتاة بعد أن شغف بالأبيات، وقال أما إنه قد ثبت عند جميع الحكام وولاة الأحكام انقراض جيل الكرام وميل الأيام إلى اللئام وإني لأخالك يا هذه صدوقا في الكلام بريئا من الملام وها هو قد اعترف لك بالقرض وصرح عن المحض وبين مصداق النظم وتبين أنه معرى العظم وإعنات المعذر ملامة وحبس المعسر مأثمة وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة فارجعي إلى خدرك واعذري أبا عذرك ونهنهي من غربك وسلمي لقضاء ربك **ثم** إنه فرض لهما في الصدقات حصة وناولهما من دراهمها قبضة وقال تعللا بهذه العلالة وتندّيا بهذه البلالة واصبرا على كيد الزمان وكدّه فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الإسار وهزة الموسر بعد الإعسار **قال الراوي** وكنت عرفت أنه أبو زيد ساعة بزغت شمسه وكدت أفصح عن افتنانه وأثمار أفنانه ثم أشفقت من عثور القاضي على

بهتانه وتزويق لسانه فلا يرى عند عرفانه أن يمنحه لإحسانه فأحجمت عن القول إحجام المرتاب وطويت ذكره كطي السجل للكتاب إلا أني قلت بعد ما فصل ووصل إلى ما وصل لو أن لنا من ينطلق في أثره لأتانا بفص خبره وبما ينشر من حبره فأتبعه القاضي أحد أمنائه وأمره بالتجسس على أنبائه فما لبث أن رجع مدهرها ونهقه مقهقها فقال له القاضي مهيم يا أبا مريم فقال لقد عاينت عجبا وسمعت ما أنشأ لي طربا فقال له ماذا رأيت وما الذي وعيت فقال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه ويخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه ويقول

كدت أصلى ببليه ... من وقاح شمريه

وأزور السجن لولا ... حاكم الإسكندرية

فضحك القاضي حتى هوت دنيته وذوت سكينته **فلما** فاء إلى الوقار وعقب الاستغراب بالاستغفار قال اللهم بحرمة عبادك المقربين وحرم كتابك المبين حرم حبسي على المتأدبين ثم قال لذلك الأمين علي به فانطلق مجدا في طلبه ثم عاد بعد لأي مخبرا بنأيه فقال القاضي أما إنه لو حضر لكفي الحذر ثم لأوليته ما هو به أولى ولأريته أن الآخرة خير له من الأولى **قال الحارث بن همام** فلما رأيت صغو القا

إليه وقنوت ثمرة التشبيه عليه غشيتني ندامة الفرزدق حين أبان
النوار او الكسعي لما استبان النهار

المقامة العاشرة وتعرف بالرحبية

حكى الحارث بن همام قال هتف بي داعي الشوق إلى الرحبة مالك
ابن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة فلما ألقيت
بها المراسي وشددت أمراسي وبرزت إلى الحمام بعد سبت راسي رأيت
غلاما أفرغ في قالب الجمال وألبس من الحسن حلة الكمال وقد اعتلق
شيخ بردنه يدعي أنه قتل ابنه والغلام ينكر عرفته ويكبر قرفته
والخصام بينهما مستطير الشرار والزحام عليهما يجمع بين الأخيار والأ
شرار إلى أن تراضيا بعد اشتطاط اللدد بالتحاكم إلى والي البلد وكان
ممن يزن بالهنات ويغلب حب البنين على البنات فأسرعا إلى ندوته كا
لسليك في عدوته فلما حضراه جدد الشيخ دعواه واستعداه
عدواه فاستنطق الغلام وقد فتنه بمحاسن غرته وطر عقله بتقبيل
طرته فقال إنها أفيكة أفاك على غير سفاك وعضيهة محتال على من
ليس بمغتال **فقال** الوالي للشيخ إن شهد لك عدلان من المسلمين وإلا فا
ستوف منه اليمين فقال الشيخ إنه جدله خاليا وأفاح دمه خاليا فأنى

لي شاهدين ولم يكن ثم مشاهدين ولكن ولني تلقينه اليمين ليتبين لك أيصدق أم
يمين **فقال** له أنت المالك لذلك مع وجدك الشاكل على ابنك الهالك
فقال الشيخ للغلام قل والذي زين الجباه بالطرر والعيون بالحور والحواجب
بالبلج والمباسم بالفلج والجفون بالسقم والأنوف بالشمم والخدود
باللهب والثغور بالشنب والبنان بالترف والخصور بالهيف إني ما قتلت
ابنك سهوا ولا عمدا ولا جعلت هامته لسيفي غمدا **وإلا** فرمى الله جفني
بالعمش وخدي بالنمش وطرتي بالجلح وطلعي بالبلح ووردي بالبهار
ومسكتي بالبخار وبدري بالمحاق وفضتي بالاحتراق وشعاعي بالإظلام
ودواتي بالأقلام **قال** الغلام الاصطلاء بالبلية ولا الإيلاء بهذه الألية
والانقياد للقود ولا الحلف بما لم يحلف به أحد وأبى الشيخ إلا تجرعه
اليمين التي اخترعها وأمر له جرعها ولم يزل التلاحي بينهما يستعر ومحجة
التراضي تعر والغلام في ضمن تأبيه يتلف الوالي بتلويه ويطمعه في
أن يلبيه إلى أن ران هواه على قلبه وأتى بلبه وسول له الوجد الذي تيمه
والطمع الذي تدهمه أن يخلص الغلام ويستخلصه وأن ينقذه من حبالة
الشيخ ويقنصه فقال للشيخ هل لك فيما هو أليق بالتقوى وأقرب
للتقوى فقال إلام تشير لأقتفيه ولا أنفيه فقال الوالي أن تقصر عن القيل

والفتاة تقتص على ما أبته شغلا بأن تحمل له منها بعضا واختفى له الباقي
عرضا فقال الشيخ ما بيني خلاف فلا يكن لو عدا إخلافه فنفره الوالي عن
برود زعم على ورعه تكملة الخمسين ولما رق ثوب الأصيل وانقطع كما
حله ضرب التحصيل قال له الوالي خذ ما راج ودع اللجاج وعلي أن
أتوصل إلى أن ينقد لك الباقي وتمحص فقال الشيخ أمهلني على أن الازمه
ليلته وبين عاء إنسان مقلته حتى إذا أعمى بفجر أسفار الصبح بما بقي من مال
الصلح تخلصت فاءنه مرهوب وبين ذهابه الذنبا مرجع أبي يعقوب قال له
الوالي ما أراك سمت شططا ولا رمت فرطا قال الحارث بن همام
فلما رأيت تبجح الشيخ كتبجح الشمس بجنبه علمت أنه علم الشمس وجنبه فلبثت
إلى أن رمت بنجوم الظلام وانتثرت عقود الزحام ثم قصدت فناء الوالي
فإذا الشيخ للفتى كالي فنشرته الله أنه أبو زيد فقال أجل ومحل
الصبر فقلت ومن هذا الغلام الذي نفقت له الأحلام فقال هو في النسب
قرحي وفي المكسب فخي فقلت فلا اكتفيت بمحاسن فطرته وكفيت
الوالي فتنة فطرته فقال لولا تبرج جبهته السبر لما قنصت الخمسين
ثم قال بت الليلة عندي لنطفئ نار الجوى ونزيل الهوى من النوى فقد ه
أجمعت على أن أنسل بسحرة وأطفي قلب الوالي نار حسرة قال فبتنا

الليلة

الليلة معه في سمر آنق من حديقة زهر وحلبة شهر حتى إذا لألأ الأ
فق ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر وحان ركب متن الطريق وأذا ن
الوالي عذاب الحريق وأسلم إلى الوساعة الفهماق ورقعة محكمة الإلصاق
وقال إذا دفعتها إلى الوالي إذا سلب القرار وتحقق بينا الفرار فبعضها
فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس فإذا فيها مكتوب

قل لوال غادرته دون مينِ   نادما سادما يعض اليدينِ
سلب الشيخ ماله وفتاه   لبه فاصطلى لظى حسرتينِ
جاد بالعين حين أعمى هواه   عينه فانثنى بلا عينينِ
خفض الحزن يا معنى فما يجـ   ـدي طلاب الآثار من بعد عينِ
ولئن جل ما عراك كما جـ   ـل لدى المسلمين رزء الحسينِ
فقد اعتضت منه عزما وفهما   والأريب اللبيب يسعى لخيرينِ
فاغض من بعد ما انقطع واعلم   أن صيد الظباء ليس بهينِ
لا ولا كل طائر يلج الفخ   ولو كان مغرما بالحبتينِ
ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد   ولم يلق غير خفي حنينِ
فتبصر ولا تشم كل برق   رب برق فيه صواعق حينِ
واغضض الطرف تسترح من غرام   تكتسي فيه ثوب ذل وشينِ

فبلاء الفتى اتباع هوى النفس وبذر الهوى طموح العين

قال الراوي فبرزت رفقته شر ممزق ولم أبال أغرب أم غرز

المقامة الحادية عشرة وتعرف بالساوية

حدث الحارث بن همام قال آنست من قلبي القساوة حين حللت ساوة فأخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور فلما صرت إلى محلة الأموات وكفاة الرفات رأيت جمعا على قبر يحفر ومجنون يقبر فانحزت إليهم متفكرا في المآل ومتذكرا من درج من الآل فلما ألحدوا الميت وفات قول ليت أشرف شيخ من رباوة متخصرا بهراوة وقد لفع وجهه بردائه ونكر شخصه لدهائه وقال لمثل هذا فليعمل العاملون فادكروا أيها الغافلون وشمروا أيها المقصرون وأحسنوا النظر أيها المتبصرون ما لكم لا يحزنكم دفن الأتراب ولا يهولكم هيل التراب ولا تعبؤون بنوازل الأحداث ولا تستعدون لنزول الأجداث ولا تستعبرون لعين تدمع ولا تعتبرون بنعي يسمع ولا ترتاعون لإلف يفقد ولا تلتاعون لمناحة تعقد يشيع أحدكم نعش الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد مواراة نسيبه وفكره في استخلاص نصيبه ويخلي بين ودوده ودوده ثم يخلو بمزماره وعوده

كأنما أمنتم على اطلاع الخبئة وتناسيتم اخترام الأحبة واستكنتم لاعتراض الغصة واستيقنتم بانقراض الأسرة وضحكتم عند الزفن ولا ضحككم ساعة الدفن وتبخترتم ذات الجناح ولا تبختم بيوم قبض الجوائز وأعرضتم عن تعديد النوادب إلى إعداد المآدب وعن تحرق الثواكل إلى التأنق في المآكل لا تبالون بمن هو بال ولا تخطر ذكر الموت ببال حتى كأنكم من علقتم من الحمام بذمام أو حصلتم من الزمان على أمان أو وثقتم بسلامة الذات أو تحققتم مسالمة هادم اللذات كلا ساء ما تتوهمون ثم كلا سوف تعلمون ثم أنشد

أيا من يدعي الفهم ... إلى كم يا أخا الوهم
تعبي الذنب والذم ... وتخطي الخطأ الجم
أما بان لك العيب ... أما أنذرك الشيب
وما في نصحه ريب ... ولا سمعك قد صم
أما نادى بك الموت ... أما أسمعك الصوت
أما تخشى من الفوت ... فتحتاط وتهتم
فكم تسدر في السهو ... وتختال من الزهو
وتنصب إلى اللهو ... كأن الموت ما عم

وحتوم تجابيك ... وإبطاء تلافيك
هباء جمعت بيدي ... عيوبا شملها انضم
إذا أسخطت مولاك ... فما تقلق من ذاك
وإن أخفق مسعاك ... تلظيت من الهم
وإن لاح لك النقش ... من الأصفر تهتش
وإن مر بك النعش ... تغافلت ولا غم
تعاصي الناصح البر ... وتعتاص وتزور
وتنقاد لمن غر ... ومن مان ومن نم
وتسعى في هوى النفس ... وتحتال على الفلس
وتنسى ظلمة الرمس ... ولا تذكر ما ثم
ولو لاحظك الحظ ... لما طاح بك اللحظ
ولا كنت إذا الوعظ ... جلا الأحزان تغتم
ستذري الدم لا الدمع ... إذا عاينت لا جمع
يقي في عرصة الجمع ... ولا خال ولا عم
كأني بك تنحط ... إلى اللحد وتنغط
وقد أسلمك الرهط ... إلى أضيق من سم

هناك

هناك الجسم ممدود ... ليستأكله الدود
إلى أن ينخر العود ... ويمسي العظم قد رم
ومن بعد فلا بد ... من العرض إذا اعتد
صراط جسره مد ... على النار لمن أم
فكم من مرشد ضل ... وكم من عزة ذل
وكم من عالم زل ... وقال الخطب قد طم
فبادر أيها الغمر ... لما يحلو به المر
فقد كاد يهي العمر ... وما أقلعت عن ذم
ولا تركن إلى الدهر ... وإن لان وإن سر
فتلفى كمن اغتر ... بأفعى تنفث السم
وخفض من تراقيك ... فإن الموت لاقيك
وسار في تراقيك ... وما ينكل إن هم
وجانب صعر الخد ... إذا ساعدك الجد
وزم اللفظ إن ند ... فما أسعد من زم
ونفس عن أخي البث ... وصدقه إذا نث
ورم العمل الرث ... فقد أفلح من رم

وَرِشْ مَن رِيشُهُ انحصّ بما عمّ وما خصّ
ولا تأسَ على النقص ولا تحرص على اللمّ
وعادِ الخلق الرذل وعوّد كفك البذل
ولا تسمع للعذل ونزّهها عن الضمّ
وزوّد نفسك الخير ودع ما يعقب الضير
وهيّئ مركب السير وخف من لجة اليمّ
بذا أوصيت يا صاح وقد بحت كمن باح
فطوبى لفتى راح بآدابي يأتمّ

ثم إنه حسر ردنه عن ساعد شديد الأسر وقد شد عليه جبائر المكر لا للكسر متعرضا للاستماحة في معرض الوقاحة فاختلب به أولياء الملا حتى أترع كمه وملا ثم انحدر من الربوة جذلا بالحبوة قال الراوي فبادرته من ورائه حاشية ردائه فالتفت إلي مستسلما وواجهني مسلما فإذا هو أبو زيد بعينه ومينه فقلت له إلى كم يا أبا زيد أفانينك في كيد لينحاش لك الصيد ولا تعبأ بمن ذم فأجاب من غير استحياء ولا ارتياب فقال

تغنّ ودع اللوم وقل لي هل ترى اليوم فتى لا يقمر القوم متى ما دسته تمّ

فقلت

فقلت له بعدا لك يا شيخ النار وبازلة العار فما مثلك في طلاوة علانيتك وخبث بنيتك إلا مثل روث مفضض أو كنيف مبيض ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين وانطلق ذات الشمال وناوحت مهب الجنوب وناوح مهب الشمال

المقامة الثانية عشرة وتعرف بالغوطية

حكى الحارث بن همام قال شخصت من العراق إلى الغوطة وأنا ذو جرد مربوطة وجدة مغبوطة يلهيني خلو الذرع ويزدهيني حفول الضرع فلما بلغتها بعد شق النفس وإنضاء العنس ألفيتها كما تصفها الألسن وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين فشكرت أيادي النوى وجريت طلقا مع الهوى وطفقت أفض بها ختوم الشهوات وأجتني قطوف اللذات إلى أن شرع سمٌ في الأعراق ومن أشفقت من الإغراق فعادني عيد من تذكار الوطن والحنين إلى العطن فقوضت خيام الغيبة وأسرجت جواد الأوبة فلما تأهبت الرفاق واستتب الاتفاق أخذنا من الخفير دون استصحاب الخفير فرددناه من كل قبيلة وأعملنا في تحصيله الحيلة فأعوز وجدانه في الأحياء حتى خلنا أنه ليس من الأحياء فحارت لعوزه عزائم السيارة وانتدوا

ببابِ جيرون للاستشارة فمار الرواح بين عفر وحل وشر ونعمل إلى
أن نغبر الناجي ونبه الراجي وكان حرتهم شيخ شيمته ميسم
الشبان ولبوسه لباس الرهبان وبيده سبحة النسوان وقد عينيه
ترجمة النشوان وقد قيد لحظه بالجمع وأرهف أذنه استرق السمع
فلما آن انكفافهم وقد برح له خفاؤهم قال لهم يا قوم ليفرخ كربكم وليأمن
سربكم فسأخفركم بما يسر وأعصمكم ويزر أطوعكم **قال الراوي**
فاستطلعنا منه طلع الخفارة واستنلناه الجعالة على السفارة فزعم
أنها كلمات لقنها في المنام ليحترس بها من كيد الأنام فجعل بعضنا
يومض إلى بعض ويقلب طرفه بين لحظ وغض وتبين له أنا استضعفنا
الخبر واستشعرنا الخور فقال ما لكم اتخذتم جدي عبثا وجعلتم تبرى خبثا
ولطالما والله ماجبت مخاوف الأقطار وولجت مفاهم الأخطار
فغنيت بها عن مصاحبة خفير واستصحاب جفير ثم إذ سانعي ما رابكم
واستنزل الحذر الذي نابكم بأن أوافقكم في البراءة وأرافقكم في السماوة
فإن صدقكم وعدي فاجزوا وأعشري وابعدوا جدي وإن كذبكم فهمي
فمزقوا أديمي **قال الحارث بن همام** فألهمنا تصديق رؤياه وتحقيق
ما رواه بن غنام تجاه لبته واستهمنا على معادلته وبضنا بقوله

عن الريايث وانبعثنا اتقاء العابث والعائث **ولما** عكمت أحمال
وأزف الترحال استملنا كلماته الراقية لنجعلها الواقية الباقية فقال
ليقرأ كل منكم أم القرآن كلما أظل الملوان ثم ليقل بلسان خاضع وصوت
خاشع **اللهم يا محيي الرفات** ويا دافع الآفات ويا واقي المخافات و
يا كريم المكافآت ويا موئل العفاة ويا ولي العفو والمعافاة صل على
محمد خاتم أنبيائك ومبلغ أنبائك وعلى مصابيح أسرته ومفاتيح نصرته
وأعذني اللهم من نزغات الشياطين ونزوات السلاطين وإعنات الباغين
ومعاناة الطاغين ومعاداة العادين وعدوان المعادين وغلب الغالبين
وسلب السالبين وحيل المحتالين وغيل المغتالين وأجرني اللهم من جور المجا
ورين ومطوة المجاورين وكف عني أكف الظالمين وأخرجني من ظلمات
الظالمين وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين اللهم احفظني في غربتي و
غربتي وغيبتي وأوبتي ورجعتي ونجعتي وتصرفي ومنصرفي و
تقلبي ومنقلبي واحفظني في نفسي ونفائسي وعرضي وعرضي
وعددي وعددي وسكني ومسكني وحوبي وحالي ومآلي ومالي
ولا تلحقني تغييرا ولا تسلط علي مغيرا واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا اللهم احرسني بعينك وعونك واخصصني بأمنك ومنك

وتولني باختيارك وخيرك ولا تكلني إلى كلاءة غيرك وهب لي عا
فية غير عافية وارزقني رفاهية غير واهية واكفني مخاشي اللأوا
واكنفني بغواشي الآلاء ولا تظفر بي أظفار الأعداء إنك سميع الد
عاء **ثم أطرق** لا يدير لحظا ولا يحير لفظا حتى قلنا أبلسته
خشية أو أخرسته غشية ثم أنغض رأسه وصعّد أنفاسه وقال أقسم
بالسماء ذات الأبراج والأرض ذات الفجاج والماء الثجاج والسرا
ج الوهاج والبحر العجاج والهواء والعجاج إنها لمن أيمن العوذ وأغنى عنكم من لابسي الخوذ
من درسها عند ابتسام الفلق لم يخش من خطب إلى الشفق ومن ناجى بها
طليعة الغسق أمن ليلته من السرق **قال الراوي** فتلقناها حتى أتقناها
وتدارسناها لكي لا ننساها ثم سرنا نزجي الحمولات ونحمي الحمولات بالكلمات
لا بالكماة وصاحبنا يتعهدنا بالعشي والغداة ولا يستنجز منا العداة
حتى إذا أعيانا أطلال عانة قال لنا الإعانة الإعانة فأحضرناه المعلوم
والمكتوم وأريناه المركوم والمختوم وقلنا له فاقض ما أنت قاض بها
تجربنا غير راض بما استخفه سوى الخف والقشر ولا حلي بعينه غير
الحلي والعين فاحتمل منهما وقره وثنانا بما يسر بقره ثم خالسنا
مخالسة الطرار وانطلق منا انطلاق الفرار فأوحشنا فراقه

وأدهشنا

وأدهشنا امحاقه ولم نزل ننشده بكل ناد ونستخبر عنه كل مغدو وغاد
إلى أن قيل إنه منذ دخل عانة ما زايل الحانة فأغراني خبث هذا القول
بسبكه وادلاجي فيما لست من سلكه وأدلجت إلى الدسكرة في هيئة
منكرة فإذا الشيخ في حلة ممصرة بين دنان ومعصرة وحوله سقاة تبهر
وشموع تزهر وآس وعبهر ومزمار ومزهر وهو تارة يستبزل الدنان و
طورا يستنطق العيدان ودفعة يستنشق الريحان وأخرى يغازل الغزلان
فلما عثرت على لبسه وتفاوت يومه من أمسه قلت له أولى لك يا ملعون أنسيت
يوم جيرون فضحك مستغربا **ثم أنشد مطربا**

لزمت السفار وجبت القفار وعفت النفار لأجني الفرح
وخضت السيول ورضت الخيول لجر ذيول الصبا والمرح
ومطت الوقار وبعت العقار لحسو العقار ورشف القدح
ولولا الطماح إلى الشرب والراح لما كان باح فمي بالملح
ولا كان ساق دهائي الرفاق لأرض العراق بحبل الشبح
ولا تغضبن ولا تصخبن ولا تعتبن فعذري وضح
ولا تعجبن لشيخ أبش بمغنى أنيق ودن طفح
فإن المدام تقوي العظام وتشفي السقام وتنفي الترح

وأصغ الشرور إذا ما الوتور أماله ستر الحيا والمرح
وأخل الغرام إذا المستهام أزال اكتتام الهوى وافتضح
وبح بهواك وبرد حشاك فمن نز أساه به قد فرح
وداو الكلوم وسل الهموم ببنت الكروم التي تقترح
وخص الغبوق بساق يشوق بلاء المشوق إذا ما طمح
وشاد بشير بصوت يميد جبال الحديد له إن صدح
وعاص النصيح الذي لا يبيح وصال المليح إذا ما سمح
وجل في المحال ولو بالمحال ودع ما يقال وخذ ما صلح
وفارق أباك إذا ما أباك وقد الشباب وصرم سنح
وصاف الخليل وناء البخيل وأول الجميل ووال المنح
ولذ بالمتاب أمام الذهاب فمن دق باب كريم فتح

فقلت له بخ بخ لروايتك وأف ثم أف لغوايتك فبالله من أي الأعياص
عيصك فقد أعضلني غموضك فقال ما أحب أن أفصح عني ولكني
سأكني أنا أطروفة الزمان وأعجوبة الأمم
وأنا الحول الذي احتال في العرب والعجم
غير أني ابن حاجة هاضه الزمن واهتضم

وأبو صبية بدوا مثل لحم على وضم
وأخو العيلة المعيل إذا احتال لم يلم

قال الراوي فعلمت حينئذ أنه أبو زيد ذو الترهات والعيب ومسود
وجه الشيب وساءني عظم تمرده وقبح تورده فقلت بلسان الأنفة وإد
لال المعرفة ألم يأن لك يا شيخنا أن تقلع عن الخنا فتنجر وزمجر وتنكر و
فكر ثم قال إنها ليلة مراح لا تلاح ونهار شرب راح لا كفاح فعد عنا
إلى أن نلتقي غدا ففارقته من فرق عربدته لا تعلقا بعدته فبت ليلتي
لابسا حداد الندم على تخطي الحرم إلى ابنة الكرم لا الكرم وعا
هدت الله تعالى أن لا أحضر بعدها حانة نباذ ولو أعطيت ملك بغداذ
وأن لا أشهد معصرة الشراب ولو رددت على الشباب ثم إنا رحلنا العيس
وقت التغليس وخلينا بين الشيخ أبي زيد وإبليس

المقامة الثالثة عشرة وتعرف بالزورائية

حكى الحارث بن همام قال ندوت بضواحي الزوراء مع مشيخة
من الشعراء لا يعلق لهم مبار بغبار ولا يجري معهم ممار في مضمار فأ
فضينا في حديث يفضح الأزهار إلى أن نصفنا النهار فلما غاض در الأ
فكار وصبت النفوس إلى الأوكار لمحنا عجوزا تقبل من البعد وتحضر

إخطار الجمرة وقد استتلت صبية أنحف من المغازل وأضعف من الجوازل فما
كذبت إذ رأتنا أن عرتنا حتى إذا ما حضرتنا قالت حيى الله المعارف و
إن لم يكونوا معارف **اعلموا** يا مآل الآمل وثمال الأرامل أني من سروات
القبائل وسريات العقائل لم يزل أهلي وبعلي يحلون الصدر ويسيرون القلب
ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الأعضاد وفجع بالجوارح
الأكباد وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين
وفقدت الراحة وصلد الزند ووهنت اليمين وبانت المرافق ولم يبق لنا
ثنية ولا ناب فمذ اغبر العيش الأخضر وازور المحبوب الأصفر اسود
يومي الأبيض وابيض فودي الأسود حتى رثى لي العدو الأزرق فحبذا الموت
الأحمر وتلوي من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره قصوى بغيته
أحرمهم ثردة وقصارى منيته بردة وكنت آليت أن لا أبذل الحر إلا للحر
ولو أني مت من الضر وقد ناجتني القرونة أن توجد عندكم المعونة وآ
ذنتني فراسة الحوباء بأنكم ينابيع الحباء فنضر الله امرأ أبر قسمي و
صدق توسمي ونظر إلي بعين يقذيها الجمود ويقذيها الجود **قال الحارث**
ابن همام فهمنا لبراعة عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلا
مك فكيف إلمامك فقالت أفجر الصخر ولا فخر فقلنا إن جعلتنا من رواتك لم

نبخل

نبخل بمواساتك فقالت لأرينكم أولا شعاري ثم لأروينكم أشعاري فأ
برزت ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز درديس وأنشأت تقول

أشكو إلى الله اشتكاء المريض ... ريب الزمان المتعدي البغيض
يا قوم إني من أناس غنوا ... دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع ... وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا إذا ما نجعة أعوزت ... في السنة الشهباء روضا أريض
تشب للسارين نيرانهم ... ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبا ... ولا لروع قال حال الجريض
فغيضت منهم صروف الردى ... بحار جود لم أخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى ... أسد التحامي وأساة المريض
فمحملي بعد المطايا المطا ... وموطني بعد اليفاع الحضيض
وأفرخي ما تأتلي تشتكي ... بؤسا له في كل يوم وميض
إذا دعا القانت في ليله ... مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب في عشه ... وجابر العظم الكسير المهيض
أتح لنا اللهم من عرضه ... من دنس الذم نقي رحيض
يطفئ نار الجوع عنا ولو ... بمذقة من حازر أو مخيض

فهل فتى يكشف ما نابني ... ويغنم الشكر الطويل العريض

فوالذي تعنو النواصي له ... يوم وجوه الجمع سود وبيض

لولاهم لم تبد لي صفحة ... ولا تصديت لنظم القريض

قال الراوي فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم يخله يرتاح فلما فعم جيبها تبرا وأولاها كل منا برا تولت يتلوها الأصاغر وفوها بالشكر فاغر فاشرأبت الجماعة بعد ممرها إلى سبرها ليبلوا مواقع برها من مجرها فكفلت لهم باستنباط السر المرموز ونهضت أقفو أثر العجوز حتى انتهت إلى سوق مغتصة بالأنام مختصة بالزحام فانغمست في الغمار وامّلست من الصبية الأغمار ثم عاجت بخلو بال إلى مسجد خال فأماطت الجلباب ونضت النقاب وأنا ألمحها من خصاص الباب وأرقب ما ستبديه من العجاب فلما انسرت أهبة الخفر رأيت محيا أبي زيد قد سفر فهممت بأن أهجم عليه لأعنفه على ما اجترح لديه فاستلقى استلقاء المتمرد ثم رفع عقيرة المغرد واندفع ينشد

يا ليت شعري أدهري ... أحاط علما بقدري

وهل درى كنه غوري ... في الخدع أم ليس يدري

كم قد قمرت بنيه ... بحيلتي وبمكري

وكم برزت بعرف ... عليهم وبنكر

أصطاد قوما بوعظ ... وآخرين بشعر

وأستفز بخل ... عقلا وطورا بخمر

وتارة أنا صخر ... وتارة أخت صخر

ولو سلكت سبيلا ... مألوفة طول عمري

لخاب قدحي ووريي ... ودام عسري وخسري

فقل لمن لام هذا ... عذري فدونك عذري

قال الحارث بن همام فلما ظهرت على جلية أمره وبديعة أمره وما زخرف في شعره من عذره علمت أن شيطانه المريد لا يقبل التفنيد ولا يفعل إلا ما يريد فثنيت إلى أصحابي عناني وأثبتهم ما أثبته عياني فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز

المقامة الرابعة عشرة وتعرف بالمكية

حكى الحارث بن همام قال نهضت من مدينة السلام لحجة الإسلام فلما قضيت بعون الله التفث واستبحت الطيب والرفث صادف

موسم الخيف معمعان الصيف فاستظللت من الضرورة بما يقي من وهج الظهيرة
فبينما أنا تحت طراف مع رفقة ظراف وقد حمي وطيس الحصباء وأعشى
الهجير عين الحرباء إذ هجم علينا شيخ يتسعسع يتلوه فتى مترعرع فسلم
الشيخ تسليم أديب أريب وحاور محاورة قريب لا غريب فأعجبنا بما نثر
من سمطه وعجبنا من انبساطه قبل بسطه فقلنا من أنت وكيف ولجت
وما استأذنت فقال أما أنا فعاف وطالب إسعاف وسر ضري غير خاف
والنظر إلي شفيع لي كاف وأما الانسياب الذي علوته بالارتياب فما هو
بعاب إذ ما على الكرماء من حجاب فسألناه أنى امترى إلينا ومن استدل
علينا فقال إن للكرم نشرا تنم نفحاته وتشير إلى الروض فوحاته فاستدللت
لكن بتأرج عرفكم على تبلج عرفكم وبشرني تضوع رندكم بحسن المنقلب
من عندكم فاستخبرناه حينئذ عن لبانته لنتكفل بإعانته فقال إن لي
مأربا ولفتاي مطلبا فقلنا كلا المأربين سيقضى وكلاكما سوف يرضى
ولكن الكبر الكبر فقال أجل ومن دحر السبع الغمر ثم وثب للمقال كالنشيط
من العقال

وأنشد

إذا امرؤ أبدع بي ... بعد الوجى والتعب
وشقتي شاسعة ... يقصر عنها خبب

وما معي خردلة ... مطبوعة من ذهب
فحيلتي منسدة ... وحيرتي تلعب بي
إن رحلت راجلا ... خفت دواعي العطب
وإن تخلفت عن الر ... فقة ضاق مذهبي
فمزقتي في صعد ... وعبرتي في صبب
وأنتم منتجع الرا ... جي ومرمى الطلب
لهاكم منهلة ... كانهلال السحب
وجاركم في حرم ... ووفركم في حرب
ما لاذ من ناء بكم ... يخاف ناب النوب
ولا استدر آمل ... حباءكم فما حبي
فانعطفوا إذ نضتني ... وأحسنوا منقلبي
فلو بلوتم عيشتي ... في مطعمي ومشربي
لساءكم ضر الذي ... أسلمني للكرب
ولو خبرتم حسبي ... ونسبي ومذهبي
وما حوت معرفتي ... من العلوم النخب
لما اعترتكم شبهة ... في أن حلي أدب

فليت أني لم أكن	أرضعت ثدي الأدب
فقد دهاني شؤمه	وعقني فيه أبي

فقلنا له أما أنت فقد عرضت أبياتك بفاقتك وعجف ناقتك وسنسطيع ما يوصلك إلى بلدك فما مأربة ولدك فقال له قم يا بني كما قام أبوك وقل بما بدا لك تقول فنهض نهوض البطل للبراز وأطلق لسانا كالعضب الجراز وأنشأ يقول

يا سادة في المعالي	لهم قباب مشيرة
ومن إذا ناب خطب	قاموا بدفع المبيرة
ومن يهون عليهم	بذل الكنوز العتيرة
أريد منكم شواء	وجردقا وعصيرة
فإن غلا مرفاق	به تواري الشعيرة
أو لم يكن ذا ولا ذا	فشبعة من ثريدة
وإن تعذر هذا	فمعجوة ونهيرة
فأخضر أما تشتهي	ولو شظى من قديدة
وزوجوه بنفسي	لما يروج من يسيرة
وإن زادكا بزمنه	لرحلة بعيرة

وأنتم

وأنتم خير رفقة	يدعون عند الشريرة
أبريكم كل يوم	لقا أياد جريرة
ورأيكم وأصلات	شمل الصلاة المعبرة
ونغتشي بمطوي	ما تبدو زهيرة
وفي أجر وعقبى	تنعيبكم بني حميرة
ولي نتائج فكر	تفضي كل نصيرة

قال الحارث بن همام فلما رأيت الشبل يشبه الأسد أرحلنا الرواحل وزودنا الولد بعطاء بلا الصنع بشكر نشر أردية وأذيال ذيته ولما عزما على الانطلاق وعقدا للمرحلة حبل النطاق قلت للشيخ هل طاهت عن ناعرة عن قوت أو بقيت حاجة في نفس يعقوب فقال حاشى لله وكلا بل أجل مع ونعم رحله فقلت له فقرنا لما دنانا وأبرنا لما أقرنا إذا أبو الزيد بعد ما ملكتنا ميط الحيرة فتنفس تنفس من أذكر أوطانه وأنشر والشهيق يلعثم لسانه

سروج داري ولكن	كيف السبيل إليها
وقد أناخ الأعادي	بها وأخنوا عليها
فوالتي سرت أبغي	حط الذنوب لربها

ما زار وكرحمى شمس ۞ قد رغبت عن قطرة فيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع، وآذنت مدامعه بالهموع، فكره أن يستوكفها، ولم يملك أن يكفكفها، فقطع إنشاده المستحلى، وأوجز في الوداع وولّى.

المقامة الخامسة عشرة وتعرف بالفرضية

أخبر الحارث بن همام قال: أرقت ذات ليلة حالكة الجلباب، هامية الرباب، ولا أرق صبّ هجر عن الباب، ومني بصد الأحباب، فلم تزل الأفكار يبعثن همّي، ويغرين بي الوساوس وهمّي، حتى تمنيت لمضض ما عانيت، أن أرزق سميرا من النبلاء، ليقصّر لي ليلة الليلاء، فما انقضت منيتي، ولا أغمضت مقلتي، حتى قرع الباب قارع، له صوت خاشع، فقلت في نفسي: لعل غرس التمني قد أثمر، وليل الحظ قد أقمر، فنهضت إليه عجلان، وقلت: من الطارق الآن؟ فقال: غريب أجنّه الليل، وغشيه السيل، ويبغي الإيواء، لا غير، وإذا أسحر، تزحزح السير. قال: فلما دل شعاعه على شمسه، وتم عنوانه بسر جرسه، علمت أن مسامرته غنم، ومسامرته نعم، ففتحت الباب بابتسام، وقلت: ادخلها بسلام، فدخل شخص قد حنى الزمن صعدته، وبلّ القطر بردته، فحيا بلسان

عضب

عضب وبيان عذب، ثم شكر على تلبية دعوته، واعتذر من الطروق في غير وقته، فتراءيته بالمصباح المتقد، وتأملته تأمل المتفقد، فألفيته شيخنا أبا زيد بلا ريب، ولا رجم غيب، فأحللته محل [illegible] القلب، ونقلته من وخز الكرب، إلى روح الطرب، ثم أخذ يشكو الأين، وأخرت في كيف وأين، فقال: أبلغني ريقي، فقد أتعبني طريقي، فظننته مستبطنا للسغب، متكاسلا لهذا السبب، فأحضرته ما يحضر للضيف المفاجي، في الليل الداجي، فانقبض انقباض المحتشم، وأعرض إعراض البشم، فسؤت ظنا بامتناعه، وأحفظني حول طباعه، حتى كدت أغلظ له في الكلام، وأسمعه نحيّة الملام، فتبين من لمحات ناظري، ما حام خاطري، فقال: يا ضعيف الثقة، مع أسير المقة، عز عما أخطرته بالك، واستمع إلي ما بالك، فقلت: هات يا أخا الترهات. فقال: اعلم أني بت البارحة حليف إقلال، ونجي وسواس، فلما نضى الليل شبابه، وغور الصبح شرفه، غدوت وقت الإشراق، إلى بعض الأسواق، متصديا للصيد، فبينما أنا أرج وأتمخ، رأيت بها تمرا قد حسن تصفيفه، وأحسن إليه مصيفه، يجمع على التحقيق صفاء الرحيق، ونوء العقيق، وقبالته لباء قد زين كالأبريز الأصفى، وانجلى في النور المزعفر، وهو يشتمل على

كاهية بلغار تناهيه ويصوب رأي منتشى به ولو نفرت حبة القلب فيه
فأسرتني الشقوة بأشطانها وأسلمتني الغمية إلى سلطانها فبقيت
أخيم موضب وأذنمري ضب لا وخبر يوطئني إلى نيل المراد ولزة الازد
راد ولا قرم نطارحني على الزهاب مع حرفة الانقلاب لاكرجراني
القرم وسورته والسغب وجوزته على أن أنتجع كل أرض وأقتنع من
الورد ببرض فلم أزل سحابة ذلك النهار أدلي دلوي إلى الأنهار
وهي كانزج بيلة ولا تجلب نفع غلة إلى أن ضعفت الشمس للغروب
وضعفت النفس من اللغوب فرحت بكبد حرا وانثنيت أقدم رجلا
وأؤخر أخرى وبينما أنا أسحى وأفعز وأمعب وأزكر إذ قابلني
شيخ بيناوله داهية الثكلان وعيناه من الدموع تنهملان فأشغلني ما
أنا فيه من داء الذيب والجوا المذيب عن تعاطي مداخلته فقلت
له يا هذا إن لبكائك سرا ووراء تحرقك لشرا فأطلعني على برحايك
والتحرز من نصايحك بانك ستجري بهنا اسيا وعونا مواسيا فقال
والله ما نا وهي لعيش فات ولا الرمض افتات بل الانقراض حمل العلم
ودروسه وأفول أقماره وشموسه **فقلت** وأي حادثة نجمت
وأي نضبة استعجمت حتى هاجت لك هذا الأسف على انقراض من

سلف

سلف فأبان زرفعة فركته وأقسم بأبيه وأمه لقد أرى لنا بأعلام
الحرارس فما امتازوا عن الأغلام الزوارس واستشطوا لها أخبار الحكام
بخرسوا ولأخرس سكار المقابر فقلت أرنيها لعلني أغني فيها
فقال ما أبعدت في المرام فرب رمية من غير رام ثم ناولنيها فإذا المكتوب فيها

أيها العالم الفقيه الذي فا ... ق ذكاء فما له من شبيه
أفتنا في قضية حاد عنها ... كل قاض وحار كل فقيه
رجل مات عن أخ مسلم حر ... تقي من أمه وأبيه
وله زوجة لها أيها الحبر ... أخ خالص بلا تمويه
فحوت فرضها وحاز أخوها ... ما تبقى بالإرث دون أخيه
فاشفنا بالجواب عما سألنا ... فهو نص لا خلف يوجد فيه

قال فلما رأيت شعرها ولمحت سرها قلت له على الخبير بها سقطت
وعند ابن بجدتها حططت إلا وإني مضطرم الأحشا مضطر إلى
العشاء فأكرم مثواي ثم اسمع فتواي فقال لعمري لقد أنصفت في
اشتراطك وتجافيت عن اشتطاطك فسر معي إلى من يعني لتظفر بما
تبتغي وتنقلب كما ينبغي **قال** فصاحبته إلى ذراه كما حكم الله با
دخلني بيتا أحرج من التابوت وأوهن من بيت العنكبوت إلا أنه

جم ضيق ربعه بتوسعة ذرعه فحكمني في القرى ومطايب ما يشتهي
فقلت أريد أن تمر راكب على أشهى مركوب وأنفع صاحب مع أصون
مصحوب فأفكر ساعة طويلة ثم قال لعلك تعني ابنة نخيلة مع لبلاب
سخيلة فقلت إياهما عنيت ولأجلهما تعنيت فنهض نشيطا ثم ربض
مستنشيطا وقال اعلم أصلحك الله أن الصدق نباهة والكذب عاهة
فلا تحملنك الجوع الذي هو شعار الأنبيا وحلية الأوليا على أن تلحوني
ثان أن تتخلق بالخلق الذي يجانب الإيمان فقد تجوع الحرة ولا تأكل
بثدييها وتأبى الرتبة وإن اضطرت إلى الدنية ثم إذ لست لك بزبون
ولا أغفى على صفقة مغبون وها أنا قد أنذرت نصحا قبل أن ينتهك الستر
وينعقد بيننا الوتر فلا تلغ ترة ذا نزار وحذار من المكاذبة حذار
فقلت له والذي حرم أكل الربا وأحل أكل اللبأ ما بهت بزور
ولا دلست بغرور وستنجلي حقيقة الأمر وتحمد بذل اللباء والتمر
فقشر هشاشة المضروف وانطلق مغذا إلى السوق فما كان بأسرع
من أن أقبل بهما برلح ووجهه يتلألأ فوضعهما لدي ووضح
المتن علي وقال اضرب الجيش بالجيش تحظ بلذة العيش فحسرت
عن ساعد النهم وحملت حملة الغيل الملتهم وهو يلحظني لحظ

بلحظ

ته

يلحظ الحنق ويود من الغيظ لو اختنق حتى إذا ملعقت النوعين
وغادرتهما أثرا بعد عين أفردت حيزه في إخلال الأبيات وفكره
في جواب الأبيات فما لبث أن قام وأخضل الدرار وقال قد ملأت
الجراب فاملأ الجواب وإلا فبتهيأ إن نكلت في اغترام ما أكلت فقلت
له ما عندي إلا التحقيق فاكتب الجواب وبالله التوفيق

قل لمن يلغز المسائل إني كاشف سرها الذي تخفيه
إن ذا الميت الذي قدم الشرع أخا عرسه على ابن أبيه
رجل زوج ابنه عن رضاه بحماة له ولا غرو فيه
ثم مات ابنه وقد علقت منه بحمل يا بشرى ذويه
فهو ابن ابنه بغير امتراء وأخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح أدنى إلى الجد وأولى بإرثه من أخيه
فلذا حين مات أوجب للزوجة ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الأصل أخوها من أمها باقيه
وتخلى الأخ الشقيق من الإرث وقلنا يكفيك أن تبكيه
ما له منه الغنيمة التي يحتذيها كل قاض يقضي وكل فقيه

قال فلما أثبت الجواب واستثبت منه الصواب قال لي املط والبل

بشيم البرق وبادر السيل فقلت إذ بار عزبه وفي إيوائه أفضل
قربه لا سيما وقد أغدف جنح الظلام وسجى إذ عز بالغمام فقال
اعرب عافاك الله إلى حيث شئت ولا تطمع في أن تبيت فقلت له
لم ذاك مع خلو ذراك فقال لأني أمعنت النظر في النعامة ماحق
حتى لم تبق ولم تذر ورأيتها لا تنظر في مصلحتك ولا تراعي حفظ
صحتك ومن أمعن كما أمعنت ونظر كما تبطنت لم يخلص من كظة
مزعجة أو مغيضة مقلقة فرعني بالله كفافا واخرج عني ما دمت
معافى فوالذي يحيي ويميت ما لك عندي من مبيت فلما سمعت البتة
وبلوت بلية خرجت من بيته بالرغم وتزودت الغم بجوف السما
وتخبط بي الظلماء وتنبحني الكلاب وتتقاذفني الأبواب حتى
ساقني إليه لطف القضا فشكرت البين فقلت له أحبب بلقائك
المتاح إلى قلبي المرتاح ثم أخذ يفتن في حكاياته ويشمط مضحكا
ته بمتكياته إلى أن عسعس أنف الصباح وهتف داعي الفلاح فنا
ب بإجابة الداعي ثم عطف إلى وداعي فعقته عن الانبعاث
وقلت الضيافة ثلاث وما سدد الحثاث وإن أزمعت رحلة فخذها
نقضت اللقا وتشوفت الأضرفا فناشر وخرج ثم أم الخرج وانشرا

كان من حب في أن أشبعه غير يوم وأتزوده عليه
فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ثم انتظر العبور إليه
قال الحرث بن همام فودعته بقلب دامي القرح ووددت
لو أن ليلة بقية الصبح

المقامة السادسة عشرة وتعرف بالمغربية

حكى الحرث بن همام قال شهدت صلاة المغرب في بعض مساجد المغرب
فلما أديتها بفضلها وشفعتها بنفلها أخذ طرفي رفقة قد انتبذوا
ناحية وامتازوا صفوة صافية وهم يتعاطون كأس المنافثة ويقتدحون
زناد المباحثة فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد وأدب يستزاد
فسعيت إليهم سعي المتطفل عليهم وقلت لهم أتقبلون نزيلا يطلب
جنا الأسمار لا جنى الثمار ويبغي ملح الحوار لا ملحاء الحوار فحلوا
لي الحبا وقالوا مرحبا مرحبا فلم أجلس إلا لمحة بارق خاطف أو نغبة
طائر خائف حتى غشينا جواب على عاتقه جراب فحيانا بالكلمتين وحيا
المسجد بالتسليمتين ثم قال يا أولي الألباب والفضل اللباب أما تعلمون
أن أنفس القربات تنفيس الكربات وأمتن أسباب النجاة مواساة ذوي
الحاجات وإني ومن أحلني ساحتكم وأتاح لي استماحتكم لشريد محلا قع

٤١

وردّ برصبية خماص فبقل في الجماعة من يزيلنا عنا حسبنا الجماعة فقالوا
يا هذا إنك حضرت بعد العشا ولم يبق إلا فضلات العشا فإن كنت بها
مقنوعا فما تجد فينا ممنوعا فقال إن أخا الشراب ليقنع بلعقات الموائد
ونفضات المزاود فأمر كل منا عبده أن يزوده ما عنده فأنجبه الصنع
وشكر عليه وجلس يدف ما يحمل إليه وثنا نحوا إلى انتشار ملح الأدب
وعيونه وانتشاط معينه من عيونه إلى أن جلنا فيما لا يستحيل بالا
نعكاس كقولك ساكب كاس فتوافقنا إلى أن نستنتج له الأفكار ونفتح
منه الأبكار على أن ينظم البادي منا ثلاث كلمات في عقده ثم تتدرج
الزيادة من بعده فيربع ذو ميمنته ويسبع صاحب ميسرته على عمه

قال الراوي وكنا قد انتظمنا عدة أصابع الكف وتألفنا تألف
أصحاب الكهف فابتدر لعظم محنتي صاحب ميمنتي **فقال** لم أخا
مل **وقال** ميامنه كبر رجاء أجر ربك **وقال الذي يليه** من يرب
إذا بر ينم **وقال الآخر** سكت كل من نم لك تكس **و**أفضت النوبة
إلي وقد تعين نظم البيت السباعي علي فلم يزل فكري يصوغ ويكسر
وينثر ويعيد وفي ضمن ذلك أستطعم فلا أجد من يطعم إلى أن ركد
النسيم وهجع التسليم فقلت لأصحابي لو حضر الشيخ وهي سراة المقام

لشفا

لشفا الداء العقام فقالوا لو نزل بعزه بإياس لانسد عن إيناس وجعلنا
نتبصر في استصعابها واستغلاق بابها وذلك الضيف المعتم يلحظنا
لحظ المتدرب ويتألف الدرر ونحن لا ندري **فلما** عثر على افتضاحنا و
نضوب ضحضاحنا قال يا قوم إن من العناء العظيم استقياد العقيم والا
ستشفاء بالسقيم وفوق كل ذي علم عليم **ثم** أقبل علي وقال سأنوب
منابك وأكفيك ما نابك فإن شئت أن تنثر وما تعثر فقل مخاطبا للمردم
البخل وأكثر العذل لذ بكل مؤمل إذا لم وملك بذل **و**إن شئت
أن تنظم فقل للمتعظم

أُسْ أرملاً إذا عرا   وارعَ إذا المرءُ أسا
أسند أخا نباهة   أبن إخاء دنسا
اسل جناب غاشم   مشاغب إن جلسا
اسر إذا هب مرا   وارم به إذا رسا
اسكن تقو فعسى   يسعف وقت نكسا

قال فلما سحرنا بآياته وحسرنا ببعد غاياته مرحناه حتى استعفا
ومنحناه إلى أن استكفا ثم شمر ثيابه وازدد من جرابه ونهض ينشد

لله در عصابة   صدوا الفقار معا وكا

فاقوا الأنام بطائلا مأثورة وفواضلا
حاورتهم فوجدت سحبانا لديهم باقلا
وحللت فيهم سائلا فوجدت جودا سائلا
أقسمت لو كان الكرام خيلا لكانوا أوائلا

قال الحارث بن همام ثم خطا قيد رمحين وعاد مستعبرا أم الحين
وقال يا عز من عدم الآل وكم من سلب المال إذ الغاسق قد وقب ووجه
المحجة قد انتقب وبيني وبين بلادي أميال ومن يرومها مشي بلا
مصباح يؤمنه العثار ويبصره في الآثار فلحاجة بالملتمس وجلى الدجى
جوه ضوء المقتبس رأيت طاحينا معه أبو زيدنا فقلت لا أخفى مذ
اليوم أثرت إلا أنه إذا نطق أصاب وإذا استمطر صاب فأتلعوا نحوه
الأعناق وأخرنوا به الأحداق وسألوه أن يسامرهم ليلته على أن يحموا
عيلته فقال حبا لها أحببتم ورحبا بكم إذا رحبتم عني إذ قصرتكم والعيال
يتضورون من الجوع ويدعون في يوشك أن يجوع فإن انتهى أثوي حاسرهم
العيش ولم يضع في العيش من عرفي أذهب وأسر تحصتهم وأسبغ
غصتهم ثم أنقلب إليكم على الأثر متقبلا للسمر إلى السحر فقلنا لأحد
الغلمة اتبعه إلى بيته لنكون أنهض لعيلته فانطلق معه مصطحبا جرابه

ونغصنا إيابه وأبطأ إبطاء جاوز حده ثم عاد الغلام وحده فقلنا له ما
عندك من الحديث عن الخبيث فقال أخذ بي طرقا متشعبة وسبلا متشعبة
حتى أفضينا إلى دويرة خربة فقال هذا مناخي ووكر أفراخي ثم استفتح
بابه واختلج مني جرابه وقال لعمري لقد خففت عني واستوجبت الحسنى
مني فهاك نصيحة هي من أنفس النصائح ومغاربي المصالح **وأنشد**

إذا ما حويت جنى نخلة فلا تقربنها إلى قابل
وإما سفحت على أيبر فعوض من السبل الخاتل
ولا تلبثن إذا ما قطفت فتنشب في كفة الحابل
ولا توغلن إذا ما سبحت فإن السلامة في الساحل
وخاطب بهات وجاوب بسوف وبع آجلا منك بالعاجل
ولا تكثرن على صاحب فما مل قط سوى الواصل

ثم قال أخزنها في تامورك واقتد بها في أمورك وبادر إلى صبيتي
بكلاءة ربك فإذا بلغتهم فأبلغهم تحيتي واتل عليهم وصيتي وقل لهم عني
إن السمر في الخرافات لمن أعظم الآفات ولست أغشى إلا لأحمي أسي وأجلب
القوت إلى راسي **قال الراوي** فلما وقفنا على فحوى شعره على نكثه ومكره
تلاومنا على تركه والاغترار بإفكه ونفرنا بوجوه باسرة وصفقة خاسرة

المقامة السابعة عشرة وتعرف بالقهقرية

حكى الحرث بن همام قال لحظت في بعض مطارح السير ومطامح
العبر فتية عليهم سيما الحجا وطلاوة نجوم الدجا وهم في مماراة مشتجرة
الكعوب ومباراة مشتعلة اللهوب يعوذ لفظهم من معرى الملاحظ وا
ستجلاء جنا المناظرة فلما انتجعت بربعهم وانتظمت في سمطهم
قالوا أأنت ممن يدلي في الهيجاء ويلقح دلوه في الركاء فقلت أنا من نظارة
الحرب لا من أبناء الطعن والضرب فاضربوا عن حجاجي وأباضوا في التحاجي
وكان في بحبوحة حلقتهم وإكليل رفقتهم شيخ قد برته الهموم ولوحته
السموم حتى عاد أنحل من قلم وأنحف من جلم إلا أنه كان ينيم العجاب إذا
أجاب ويبهر سحبان كلما أبان فأعجبت بما أوتي من الإصابة والتنزه
عن تلتلة العطابة وما زال يفضح كل معنى ويصمي كل مرمى إلى أن خلت
الجعاب ونفد السؤال والجواب فلما آن انفضاض القوم واضطرارهم إلى
الصوم عن خوض المكارهة واستنار في المفاكهة فقالوا له حبذا ولذا بذا
فقال الذي أنعى فؤاد رسالة أرضها سماؤها وصبحها مساؤها وما نسجت
على منوالها ولا تلت في لؤلئها وحلت إلى الجهتين ومرت ذات وجهين
إن بزغت من شرقها فها ونبت في غربها فهي واطلعت من نعتها فيا عجبها

قال

فكأن القوم رموا بالصمات وحقت عليهم كلمة الإنصات فما نبس
منهم إنسان ولا باح لأحد منهم لسان فحير وأصم بكما كالأنعام صموتا
كالأصنام فقال لهم قد أجلتكم أجل العدة وأرخيت لكم طول المدة ثم ها هنا
مجمع الشمل وموقف الفصل فإن سمحت خواطركم فنحنا وإن صلدت زنادكم قدحنا
فقالوا والله ما لنا في لجة هذا البحر مسبح ولا في ساحله منتزح فأرح أفكارنا
من الكد ومتنا العصبية بالنقد واتخذنا إخوانا يثبتون إذا ونبت ويثبون
متى استثبت فأطرق ساعة وقال سمعا لكم وطاعة فاستملوا مني وانقلوا
عني **الإنسان** صنيعة الإحسان ورب الجميل فعل الندب وشيمة الحر ذخيرة
الحمد وكسب الشكر استثمار السعادة وعنوان الكرم تباشير البشر
واستعمال المداراة يوجب المصافاة وعقد المحبة يقتضي النصح وصدق
الحديث حلية اللسان وفصاحة المنطق سحر الألباب وشرك الهوى آفة
النفوس وملال الخلائق شين الخلائق وسوء الطمع يباين الورع والتزام
الحزامة زمام السلامة وتطلب المثالب شر المعايب وتتبع العثرات يزحزح
المودات وخلوص النية خلاصة العصبة وعقبة التواني ثمر الهوان وتكلف
الكلف يسهل الخلف وبغي المعونة يستلزم المؤونة وفضل الحر سعة الصدر
وزينة الرعاة مقت السعاة وجزاء المدائح بث المنائح ومنع الوسائل

المقامة السابعة عشرة وتعرف بالقهقرية

حكى الحرث بن همام قال لحظت في بعض مطارح السير ومطامح
الغير فتية عليهم سيما الحجا وطلاوة نجوم الرجا وهم في مماراة مشتجرة
الهبوب ومباراة مشتعلة الألهوب فعرجت لتحضرهم مغوى الحاضر وا
ستجلاء جنا المناظرة فلما انتجعت ربعهم وانتظمت في سمطهم
قالوا أأنت ممن يبلي في المنتجا ويلقي دلوه في الركاء فقلت أنا من نظارة
الحرب لا من أبناء الطعن والضرب فاضربوا عن محاججي وأفيضوا في التناجي
وكان في بحبوحة حلقتهم وإكليل رفقتهم شيخ قد بزته الهموم ولوحته
السموم حتى عاد أنحل من قلم وأنحل من جلم إلا أنه كان ينتج العجاب إذا
أجاب وينسي سحبان كلما أبان فأعجبت بما أوتي من الإصابة والتبرز
عن تلك العصابة وما زال يفتض كل معنى ويقتضي كل مرمى إلى أن خلت
الجعاب ونفد السؤال والجواب فلما رأى انقباض القوم واضطرامهم إلى
الصمت عرض بالمطارحة واستأذن في المفاتحة فقالوا له حبا ومرحبا
فقال لهم أتعرفون رسالة أرضها سماؤها وصبحها مساؤها نسجت
على منوالين وتجلت في لونين وصلت إلى القبلتين وبرزت ذات وجهين
إن بزغت من مشرقها فهنا هيدب ونقها وإن طلعت من مغربها فيا لعجبها

قال

قال فكأن القوم رموا بالصمات وحقت عليهم كلمة الإنصات فما نبس
منهم إنسان ولا باح لأحد منهم لسان بحير وأمم بكما كالأنعام صموتا
كالأصنام قال لهم قد أجلتكم أجل العدة وأرخيت لكم طول المدة ثم ها هنا
مجمع الشمل وموقف الفصل فإن سمحت خواطركم فترخنا وإن طرحت زنادكم فرخنا
فقالوا والله ما لنا في لجة هذا البحر مسبح ولا في ساحله متنزح فأرح أفكارنا
من الكد ومن على العصبة بالنقد واتخذنا إخوانا يشبون إذا ونيت ويثيبون
متى استثبت فأطرق ساعة وقال سمعا لكم وطاعة فاستملوا مني وانقلوا
عني **الإنسان** صنيعة الإحسان ورب الجميل فعل الندب وسيمة الحر ديم
الحمد وكسب الشكر استثمار السعادة وعنوان الكرم تباشير البشر
واستعمال القرارات يوجب المصافات وعقد المحبة يقتضي النصح وصدق
الحديث حلية اللسان وفصاحة المنطق سحر الألباب وشهد الهوى آفة
النفوس وملل الخلائق شين الخلائق وسوء الطمع يباين الورع والتزام
الحزامة زمام السلامة وتطلب المثالب من المعايب وتتبع العثرات يزحزح
المودات وخلوص النية خلاصة القصبة وتقية القول ثمن الهوان وتكلف
الكلف يسهل الخلف ونيل المعونة بسني المؤونة وبذل الحر سعة الصدر
وزينة الرعاة معرفة السعاة وجزاء المدائح بث المنائح ومهم الوسائل

تشجيع الفضائل ومجلبة الغواية استماع الغاية وتجاوز الحد
يكل الحد وتعدية الأدب يحبط القرب وتناسي الحقوق ينشئ العقوق
وتحاشي الريب يرفع الرتب وارتفاع الأخطار باقتحام الأخطار وتنويه
الأقدار بمواتاة الأقدار وثمرة الإعمال في تقصير الآمال والإطالة في
الفكرة تنقيح الحكمة ورأس الرياسة تهذيب السياسة ومع اللجاجة تلقى
الحاجة وعند الأوجال تتفاضل الرجال وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم وبتز
يد النعيم يهز الترتيب وبتقلب الأحوال تتبين الأهوال وبموجب الصبر تجتنى ثمرة
النصر واستقصاء الاحماد بحسب الاجتهاد ووجوب الملاحظة كفاء المحا
فظة وصفاء الموالي تعتمد الموالي وتحلي الرجاء أن يحفظ الأمانات واختبار
الأخوان بتجنب الأحزان ودفع الأعداء بكف الأذى وافتخار العقلاء
بمفارقة الجهلاء ونبض العواقب بنوم المعاطب وابتغاء الشفعة بنشر
الشمعة وقبح الجفا ينافي الوفا وحوم الأحرار عند الأسرار **ثم**
قال هذه مائة لفظة تحتوي على أدب وعظة من ساقها مساقها
المساق بلاءمة الاتساق ومرام عكسه فالبقا وارتجاعها على عقبها
فليقل الأسرار عند الأحرار وحوم الوفا ينافي الجفا وقبح الشمعة
بنشر الشفعة **ثم** على هذا فلينسحب فليستحسن والي هيمنها حتى تكون

خاتمته

قال خاتمته بفاتحتها وآخرته في زيها وزين الأخضان صنيعة الإنسان
الراوي فلما صدع برسالته الغراء وأطلعنا على العبرة علمنا أنه
يتفاضل الإنشاء وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء **ثم** اعتلقنا بأذياله و
ولززناه بلزة مريبة فأبى قبول بلزنه وقال لست أزرى للأمرة فقلت له
كن أبا زيد على الشحوب تعرفتك ونضوب ماء وجنتيك فقال أنا هو على نحولي
ونحولي ونشه نحولي فأخذت في تشريبه على تشبيهه وتغريبه بحوله
واسترجع **ثم أنشد من قلب موجع**

سل الزمان علي عضبه ... ليروعني وأحد غربه
واستل من جفني كراه ... مراغما وأسال غربه
وأجالني في الآفاق أطوي ... شرقه وأجوب غربه
فبكل جو طلعة ... في كل يوم لي وغربه
وكذا المغرب شخصه ... متغرب ونواه غربه

ثم ولى يجر عطفيه ويخطر بسربه وتخيير ملتفت إليه ومتهافت
عليه ثم لم نلبث أن حللنا الحبا وتفرقنا أيادي سبا

المقامة الثامنة عشرة وتعرف بالسنجارية

حكى الحرث بن همام قال قفلت ذات يوم من الشام أنحو مدينة

السلام في ركب من بني نمير ورفقة أولي خير ومير ومعنا السروجي وهو
عقلة العجلان وسلوة الثكلان وأحجوبة الزمان والمشار إليه بالبنان
في البيان فصادفنا ولنا متجر أن أولم بها بعض التجار فدعا إلى
مأدبته الجفلى من أهل الحضر والفلا حتى سرت دعوته إلى القبائل
وجمع فيها بين القريضة والنابلة فلما أجبنا مناديه وحللنا ناديه
أحضر من أطعمة البر والبحر ما حلا في الفم وحلي في العين ثم قدم
جاما كأنه جمد من الهواء أو جمع من الهباء أو صيغ من نور الفضاء أو
نشر من الدرة البيضاء وقد أودع لطائف النعيم وضمخ بالطيب العميم
وسيق إليه شرب من تسنيم وسفع عن عرف وسيم وأرج النسيم فلما
أحضر مخضرة الشهوات وقرمت إلى الوخم في الشهوات وشارف أن تشن
على سربه الغارات وتنادي عند نهبه يا للثارات نشز أبو زيد كالمجنون
وتباعد عنه تباعد الضب من النون فراودناه على أن يعود وأن لا
يكون كقدار في ثمود فقال والذي يبعث الأموات من الرجام لا عدت
دون رفع الجام فلم نجد بدا من تألفه وإمرار حلقه فأشلناه والعيون
نحوه شائلة والدموع عليه سائلة فلما فاء إلى مجثمه وخلص من مأثمه
سألناه لم قام وكان معنى استرفع الجام فقال إن الزجاج نمام وإني

آليت

آليت من أعوام أن لا يصحبني نموم ما قام فقلت له وما سبب يمينك الجزلا
وأليتك الجرا فقال كان لي جار لسانه ينفث وقلبه عقرب ولفظه شهد ينقع
وخبؤه سم منقع فملت لمجاورته إلى محاورته واغتررت بمكاشرته في معاشرته
واستهوتني خضرة دمنته لمنادمته وأغرتني خدعة سمته بمقاسمته في ما
نحلته وعندي أنه جار مكاسر فبان أنه عقاب كاسر وداخلته على أنه حب
مواس فوضح أنه حباب مواس وما نحلته ولا أعلم أنه عند نفره ممن يفرح
لحفره وعاقرته ولم أدر أنه يعربد ممن يطرب لنغمه وكانت عندي جارية
لا يوجد لها في الكمال مجارية إن سفرت خجل النيران وحليت القلوب بالنيران وإن
ابتسمت أزرت بالجمان وبيع المرجان بالمجان وإن رنت هيجت البلابل وحققت
سحر بابل وإن نطقت عقلت لب العاقل واستنزلت العصم من المعاقل وإن
قرأت شفت المفؤود وأحيت الموؤود وخلتها أوتيت من مزامير داود وإن
غنت ظل معبد لها عبدا وقيل سحقا لإسحاق وبعدا وإن زمرت أنحى
زنام عندها زنيما بعدما كان في جيله زعيما وبالأطراب زعيما وإن رقصت أما
لت العمائم عن الرؤوس وأنستك رقص الحبب في الكؤوس فكنت أزدري بها معها
حمر النعم وأحلي بتمليكها جيد النعم وأحجب من أعاين الشمس والقمر
وأذود ذكرها عن مسامع السمر وأنا مع ذلك أليح بأن تشي بريتها ريح

أو يكفر بما سجح أو ينم عليهما بنم وملح فاتقى لوشاة الحة المخوش
ونكد الطالع المنحوس أن انحفتني بوصفها حسبا الحرام عند الحلا
النماء ثم ثاب إلى الغنم بعد أن صرد السهم بأخست الخبال والوبال
وضيعة ما أودع ذلك الغي بأن نثر أنه عاهرته على علم ما لفظته وأن
يغلط السر ولو أحفظته من عم أنه ممن يجزي الأسرار كما يجزي اللئيم الد
ينار وأنه لا يحفظ الأستار ولو عرض أن يلج النار فما أرغم على ذلك إلا
مان الأيوم أو بعض يوم حتى برئ الأديم تلك المرة ورا الي في المغدرة
أن يقصر باب قبله مجهدا عن خيله ومستمطرا عارض نيله وأن تلد
أن تصحبه تحفة تلائم هواه ليعد منها من يرد نجواه وجعل يبذل الحمائل
لزواده ويتبنى الوسائل لمن يطمع له بمراده فأسف ذلك الجار المختار إلى
نزوله وعضوج اجراء الغار عن أعز عزوله فأتى الوالي ناشرا اذنيه
وأنه ما كنت أنم بته إليه فما راعني إلا انسياب طاعيته إلى وانثيال
حجرته على يسعني إيثارا بالرتبة اليتيمة على أن أتكلم عليه في الغيبة
يغشيني من الندم ما غشي من عوى وجنوده من اليم فلم أزل أدافع عنه
وما يغني الدفاع واستشفع إليه وما يجدي الاستشفاع وكلما رام مني
ازدياد الاعتبار وازدياد المنام تجهم وتضجر وحرق على الأرم ونفس

مع ذلك لا تسمح بمفارقة بزبرجه وما بان انزع قلبي من صورته حتى أن النو
عين إيقاعا والتفريع فزاعا فقادني الإشفاق من الجبن إلى أن قضيته
سواد العين بطغمة الغين ولم يقظ الواشي بغير الإثم والشين فعاملني
الله تعالى منذ ذلك العهد أن لا أحاضر نماما من بعد والزجاج مخصوص
بعضه الطباع الذميمة وبه يضرب المثل في النميمة بغير جرى عليه
سبل سميه ولزاكم النسب لم تنتر إليه بمنتمي **وأنشد**

فلا تعذلوني بعدما قد شرحته ... على أن حي منتم في انتطاف الغطايف

فقد بان عذري في صنيعي وأنني ... سأرتو فيفنى من تليعي وطارفي

على أن أرمازنود تلكم في فكاهة ... الزمو الحلو الذي كل عارف

قال الحارث بن همام فقبلنا اعتذاره وقبلنا عذاره وقلنا له ذما ونزهت
النميمة حتى البشر حتى انتشر عن حمالة الحطب لما انتشر ثم سألناه عما
أخرت جارة الفتات وخلته الجنات بعد أن راش له نبل السعاية
وجزم له حبل الرعاية فقال أخذ في الاستغراء والاستكانة والا
ستشفاع التي تزود في المكانة وكنت حرجت على نفسه أن يستجمعه
أنسي أو يجمع إلى أنس فلم يكن منه سوى الرد والإصرار على الصد
ونحو ما يكتسب من النجعة ولا يتبيب من مفاتحة الوجه بل يلظ بالوسائل

ويلحق المسائل فيما أنفذ من إنشائه ولا أبعد عليه نيل مرامه إلا أبيات نعت
بها الضرس المنثور والخاطر المنبثور بأنها كانت مرجمة لتشيطانه ومهجنة
لذوي أوطانه وعند انتشارها بث ضلال العجوز ودعا بالويل والثبور وأيس
من نشر وطي القبور كما يئس الكفار من أصحاب القبور فما نشرناه أن ننشدنا
إياها ويشفعنا رئاسها فقال أجل خلوها لمسار من عجل ثم أنشد لنا وبه خجل
وكابتسم وجل

ونديم محضته صدق ودي إذ توهمته صديقا حميما
ثم أوليته قطيعة قال حين ألفيته صديدا حميما
خلته قبل أن يجرب إلفا ذا ذمام فبان جلفا ذميما
وتخيرته كليما فأمسى منه قلبي بما جناه كليما
وتخيلته معينا رحيما فتبينته لعينا رجيما
وترائيته مريدا فجلى عنه شكل له مريدا أثيما
وتوهمت أن يهب نسيما فأبى أن يهب إلا سموما
بت من لسعه الخفي أعجاز في سليما وبات مني سليما
وغدا امرؤ غراه ابن فنا مستقيما والجسم مني سقيما
لم يكن رأيه خصيبا ولكن كان بالشر رأيه خصيما

قلت

قلت لما بلوته ليته كان عديما ولم يكن لي نديما
بغض الصبح حين نم إلى قلبي كان الصباح يلغي نموما
ودعاني إلى مسوء النيات كان سواد الرجا رقيبا كتوما
وكفى من تشي ولو باه بالصدق إثاما فيما أتاه ولوما
فلما سمع رب المنزل قريضه ونجيعه واستملح تعريضه وتسجيعه بوأه مهاد
كرامته وصيره على تكرمته ثم استخص عشر صحاف من الغرب فيها حلواء القند
والضرب وقال للتيسوية أصحاب النار وأصحاب الجنة وما يسع أن يجعل الزمرة
كالجنة ومعرة الأبنية تنشر منازل الأبرار في حضور الأشرار فلا تولوها إلا
بعلاء ولا تلحوهم أبعاد ثم أمر خادمه بنقلها إلى مثواه ليحكم فيها بهواه
ما فيل علينا أبو زيد وقال الفرج واسورخ الفيح وأبشروا بانر مال الفرج بعر جمع الله
تكلكم وسنوا كلكم وجمع في ظل الحلواء شملكم وعسى أن نكرم من أشياء وهو
خير لكم ولما هم بالانصراف مال إلى استهداء الصحاف وقال للأديب أزمى
ذا بالظرف سماحة المهدي بالظرف فقال كلاهما والغلام فاحرزه الكلام
وانفض بسلام فوثب في الجواب وشكر لأنشكر أن رض الصحاب ثم أفتادنا أبو زيد إلى
حوانيه وحكمنا في حلوائه وجعل يقلب ما رأى بيده ويقض عرده ها على عرده
ثم قال لست أدري ألشكر ذلك اللئام أم لكم وألتناسي بعلته أم أذكر

فإنه وإن كان أسلف الجريمة، ونمنم بالتميمة، فمن غنيمته انهلت هذه
الديمة، وبسببه انحازت لي هذه الغنيمة، وقد خطر ببالي أن أرجع إلى
أشبالي، وأقنع بما تسنى لي، ولا أتعب نفسي ولا أجمالي، وأنا أودعكم
وداع محافظ، وأستودعكم خير حافظ. ثم استوى على راحلته راجعا
بجائزته، ولاويا إلى زامرته، فغادرنا بعد أن زجرت عنسه، وزايلنا أنسه
كرسيس غاب صرارة أو ليل أدبره

المقامة التاسعة عشرة وتعرف بالنصيبية

روى الحارث بن همام قال: أقفلت العراق، وذات العويم بإخلاف أنواء
الغيم، وحزت أن كان بي نصيبين، وبلغتني أفلة المخصبين، فلما
نبعت مهربا، واعتقلت سمهريا، وصرت تلطني أرض إلى أرض ونجد
بين ربع من خفض حتى بلغتها نفضا على نفض، فلما ألفت بمغناها
الخصيب، وضربت في مرعاها بنصيب، نويت أن ألقي بها جراني، وأ
تخذ أهلها جيراني، إلى أن تحيا السنة الجماد، ويتعهد أرض قومي
العهاد، فوالله ما تضمضت مقلتي بنومها، ولا تمخضت ليلتي عن يومها
أو ألفيت أبا زيد السروجي يجول في أرجاء نصيبين، ويختبط بها خبط
الحاطبين والمحتطبين، وهو ينشر من فيه الدرر، ويحتلب بكفه الدرر

فوجدت بها جهادا قد حاز مغنما، وفرح العز فرصا رتوما، ولم أزل
أتبع ظله أينما انبعث، وأتنقل لفحه كلما نبث، إلى أن عراه مرض امتد
مداه، وعرفته مراه، حتى كاد يسلبه ثوب المحيا، ويسلمه إلى الذي يحيي فو
جرت لفوت لقياه، وانقطاع سقياه، ما يجري المتعود عن مرامه، والمرضع
عن فطامه، ثم أرجف بأن رمته قد علقت، ومخلب الحمام به قد علق، فغلق
أصحابه لإرجاف المرجفين، وانثالوا إلى عقوته موجفين

حيارى يبين بهم شجوهم || كأنهم ارتضعوا الخندريسا
أسالوا الغروب وقدوا الجيوب || وصكوا الوجوه وتحوا الرؤوسا
يودون لو سامحتهم المنون || وغالت نفايسهم والنفوسا

قال الراوي: وكنت فيمن انتقد مع أصحابه، وأعتز إلى بابه، فلما انتهينا
إلى فنائه، وتصدينا لاستنشاء أنبائه، برز إلينا فتاه مغبرة وجنتاه، مغبرة
شفتاه، فاستطلعناه طلع الشيخ في شكاته، وكنه قوى حركاته، فقال: قد
كان في نبضة المرض، وعركة الوعكة، إلى أن شفه الدنف، واستشفه
التلف، ثم من الله تعالى بتعويذ دمائه، فما أن من إغمائه، فارجعوا أدرا
جكم، وانضوا الذي عاجكم، فكان فرغا وراح، وسابكم الراح بأعظم
بشراه، وافترقنا حتى أن تراه بمرحلة موذنا بنا، ثم عرج إذ أذن لنا، فلقينا منه

لقي ولسانا ناطقًا وجلسنا نخرف بسمر يه يخترف إليه أساريره ويقلب
طربه في الجماعة ثم قال اجتلوها بنت الساعة **وأنشد**

عافاني الله وشكرًا له | من علة كادت تعنّيني
ومن بالبرء على أنه | لا بد من حتف سيبريني
ما يتناساني ولا كنه | إلى تقضي أجلي ينسيني
إن حم لم يغن حميم ولا | حما كليب منه يحميني
وما أبالي أدنا يومه | أم أخر الخير إلى حيني
فأي فخر في حياة أرى | فيها البلايا ثم تبليني

ثم قال برعونته بامتداد الأجل وارتداد الوجل ثم تراعينا إلى الغياء
لا تقلاء الإبراء فقال كلا بل ابتثوا بياض يومكم عندي لتشبعوا بالفكاهة
وجمع بالمناجاة فوت نفسه ومغنا لجيس أنسه منح بنام ظاته ونحا
مينا معاطاته وأقبلنا على الحديث نخوض زبده ونلقي زبرة إلى أن حان
وقت القيل وكلت الألسن من القال والقيل وكان يوما حامي الوديقة
بائع الحديقة فقال إن النعاس قد أمال الأعناق وراود الأحداق ومهوده
خضم الذرو وخطب كان قد بطواحيله بالقيلولة واقتدروا فيه بالآثار
المنقولة **قال الراوي** فاتبعنا ما قال وقلنا وقال يضرب الله على

الآذان وأمرغ السنة في الأجفان حتى خرجنا من حكم الوجود وصر
فنا بالهجود عن السجود فما استيقظنا إلا والخرقة باخ واليوم قد شاخ
فتكى عنا الصلاة العجماوين وأدينا من الدين ثم تحفشنا للارتحال إلى ملقى
الرحال فالتفت أبو زيد إلى شبله وكان على شاكلته وشكله فقال إذ كل
خال أبا عمرة فترافد في أخشابهم الحمة واستدع أبا جامع فإنه بشرى كل
جائع وأردفه بأبي نعيم الطاهر على كل ضيم ثم عززنا بأبي حبيب المحبب
إلى كل لبيب المغلب بين اخوان وتغريب وأنت بأبي ثقيف مخبرا من البيف
وملهم بأبي عون فما مثله من عون ولو استحضرت أبا جميل بحمل أي تحمل
وحيهل بأم القرى المزكرة بكنيتي وأتنا بأم جابر فهل لها من خلك و
ناد بأم الفرج ثم افتتح بها واخرج واختم بأبي رزين فهو مسلاة كل
حزين وإن تقربه أبا العلاء مع أسعد من البخلاء وإياك واستشراء الفرز
جعين قبل استقلال حمول البين وإن نزع القلوع عن المراض وصالحوا أبا إناس
بالطف عليهم أبا السمز فإنه عنوان السمر **قال** فبعثه ابنه لطايف رمو
زه بلطائف تمييزه فكاف علينا بالطيبات والطيب إلى أن أذنت
الشمس بالمغيب فلما أجمعنا على التوديع قلنا له ألم تر إلى سحر اليوم
البديع كيف بدا صبحه فطيرا وأغفنه مشيه متثنيا فيعجره

حتى طال ثم رفع رأسه وقال

لا تيأسن عند النوب ... من فرجة تجلو الكرب

فلكم سموم هبت ... ثم جرت نسيما وانقلب

وسحاب مكروه تنشا ... فاضمحل وما سكب

ودخان خطب خيف منه ... فما استبان له لهب

ولطالما طلع الأسى ... وعلى تفيئته غرب

فاصبر اذا ما ناب روع ... فالزمان أبو العجب

وترج من روح الإله ... لطايفا لا تحتسب

قال الحرث بن همام فاستمليتنا أبياته الغر وأثنينا لله تعالى الشكر وودد غداة سمر لو ابن يزيد معمر بن بسرة

تفسير ما أودعت هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والكنى العجيبة والكنايات النحوية

قوله ذات العويم يعني ان ما المتقدم ومثله ذات الخبير والسمهرية الرماح وفي تسميتها بذلك قولان احدهما انها سميت بذلك لصلابتها من قولهم اسمهر الشيء اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى سمهر زوج ردينة وكانا جميعا يقومان الرماح فنسبت اليهما **وقوله** فضرب الله على اذانه اي انامه ومنه قوله تعالى فضربنا على اذانهم اي انمناهم وقيل في تفسيره منعناهم السمع **وقوله** تكر عنا لصلاة العجما ويراد غسلنا اكارعنا وهو كناية عن الوضوء والعجما وان صلاتا الظهر والعصر سميتا بذلك لاسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلاة النهار عجماء **قوله** معلم اي فلم معلم وهو يعني بات وافيل في

والاصح ان يوحد لفظه مع المذكر والمؤنث والاثنين والجمع وبه نطق القرآن في قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا ومن العرب من يقول للواحد المذكر هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللمؤنث الواحد هلمي وللاثنين هلما وللجمع هلممن **وقوله** حي اي عجل يقال حيهل بعلان بتسكين اللام وبفتحها وتنوينها وباثبات الالف معه ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر **وفي** حيهل لغات اخر ضربنا عن ذكرها اذ ليس هنا استيعابها شرحها **فهذا تفسير الألفاظ اللغوية وأما تفسير الكنى العجيبة والكنايات** فابو يحيى كنية الموت وابو عمرة كنية الجوع ويكنى ابا مالك وابو الجامع الخوان وابن نعيم الخبز الحواري وابو حبيب الجدي وشفيع الخل وابو عون الملح وابو جميل البقل وام القرى السكباج وام جابر الهريسة وام الفرج الجواذبة وابو زبير الخبيص وابو العلاء الفالوذج وابو جابر الغاسول والمرجان الطست وابو يحيى وابو النمر والبخور

المقامة العشرون وتعرف بالميافارقية

حكى الحرث بن همام قال سمرت بميافارقين مع رفقة موافقين لا يمارون في المناجاة ولا يبارون في المراجاة فكنت بهم كمن لم يرم عن عقر داره والجمع عن ايقعه وجاره فلما الحقنا بها مطايا التسيار وانتقلنا عن الأكوار الى الأوكار تواصينا بتذكار الصحبة وتناهينا عن التقاطع في الغربة واتخذنا ناديا نعتمره طرفي النهار ونتهادى به طرف الاخبار فبينما نحن فيه في بعض الأيام وقد انتظمنا في سلك الالتئام وقف علينا ذو مقول جري وجرس جهوري فحيا تحية نفاث في العقد فتاه للاسر والنقد ثم قال

عندي يا قوم حديث عجيب ... فيه اعتبار للبيب الأريب

١٧١

رأيت في ريعان عمري أخا ... بأس له حدّ الحسام القضيب
يقدم في المعرك إقدام من ... يوقن بالفتك وبالسّبيب
يفرّج الضيق بكرّاته ... حتى يرى ما كان ضنكا رحيب
ما بارز الأقران إلا انثنى ... عن موقف الطعن بنحر خضيب
وإنما يقتحم مستصعبا ... متغلق الباب منيعا مهيب
لا ونوى حين يسمو له ... نصر من الله وفتح قريب
مغزا وكم من ليلة بات نعما ... يبسم في برد الشباب القشيب
بين تشفع الغيد من شغفه ... ومنه ولدى الكل مغرى حبيب
فلم يزل يفترّ له دهره ... ما فيه من بطش وعود صليب
حتى أطارته الليالي لغى ... يعافه من كان منه قريب
فراعني الراقي تغليل ما ... به من الداء وأعيا الطبيب
وطارم البيض وطارمته ... من بعد ما كان الجناب الخصيب
وآض كالمنكوس في خلقه ... ومن يعش يلقه واهي القضيب
وها هو اليوم منحنٍ بمن ... من عجب في تكبير ميت غريب

ثم أعلن بالنحيب وبكى بكاء المحب على الحبيب ولما رفأت دمعته وا
نفثات لوعته قال يا نجعة الرواد وقدوة الأجواد والله ما نطقت

بهتان

بهتان ولا أخبرتكم إلا عن عيان ولو كان في عصاي سير ولغنيتي مطير لما
استأثرت بما دعوتكم إليه ولما وقفت موقف الذل عليه وإن كنت كركب
الطير أن بلا جناح ومن عاش ما يجرم من جناح **قال الراوي** فطفق
القوم يترددون فيما يأمرون ويتخافتون فيما يأتون فتوهم أنهم على صرمه
يجمعون أو لمطالبته بمعان يعرض منه أن قال يا بلامع القاع ويا رامع
البقاع ما هذا الارتياء الذي يا به الحياء حتى كأنكم كلفتم مشقة لا شقة
أو استوهبتم بلدة لا بردة أو من زخر لكسوة البيت لا لتكفين ميت أو
لم ترا صعاته وكان شخ حصاته فلما أبصرت الجماعة براعته ومرا
رة مرافقته رماه كل منهم بسيله واحتمل له خوف سيله **قال الحارث
ابن همام** وكان هذا السائل وافعا خلفي ومحتجبا بظلمه عن طرفي
فلما أرضاه القوم بسيبهم وحو على الناس بهم خلعت خاتمي من
خنصري ولفتت إليه بصري فإذا هو شيخنا السروجي بلا مرية
ولا فرية فأيقنت أنها أكذوبة تكذبها وأحبولة نصبها إلا أني
لهويته على عزه وصنت ثغاره عوزه فخصصته بالخاتم وقلت أرصده
لنعفة المأتم فقال وأهالك بما أضرم شغلتك وأكرم بفعلتك ثم انطلق
يسعى قدما ويهم وإهرولته فزما بتزعت الأعوار ميته وامتحان

دعوى حمية فمضيت كمنبوذ والمبيت الثوي حتى أدركته على غلوة
واختلبته بخلوة فأخذت بمجمع أردانه وعنفته على سن ميرانه وقلت
ما والله لك مني ملجا ولا منجا أو تبين لي مبتدأ الشجى وتكشف عن سر أوابله
فانثنى إلى غرموله فقال عن سر الكنى وإياه أعني فقلت له قاتلك الله
ما أعبدك بالنهى وأحيلك على النهى ثم عدت إلى أصحابي عود الزاهد
الخجل كالمكذب أمله وأبى فش قوله فأخبرتهم بالخبر وأنبأتهم بما رأيت وما
رأيت فصفقوا من كيت وكيت ولعنوا إذ ذاك الفتيت

المقامة الحادية والعشرون وتعرف بالرازية

حكى الحرث بن همام قال عنيت مذ أحكمت تدبيري وعرفت قبيلي من
دبيري بأن أصغي إلى العظات وألغو الكلم المحفظات لأتحلى بمحاسن الأخلاق
وأتخلى مما يسم بالإخلاق وما زلت آخذ نفسي بهذا الأدب وأخمد
به جمرة الغضب حتى صار التطبع فيه طباعا والتكلف له مطاوعا
فلما حللت بالري وقد حللت حبى الغي وعرفت الحي من اللي
رأيت بها ذات بكرة زمرة إثر زمرة وهم منتشرون انتشار الجراد
ومستنون استنان الجياد ومتواصفون واعظا يقصدونه ويحلون ابن سمعون
دونه فلم يتكأدني لاستماع المواعظ واختبار الواعظ أن أقاسي اللاغط

واحتمل الضاغط فأصحبت أصحاب المطاوعة وانخرطت في سلك الجماعة
حتى أفضينا إلى ناد جمع الأمير والمأمور وحشر النبيه والمغمور وبين
وسط هالته ووسط أهل ملته شيخ قد تقوس واقعنسس وتقلس وتطلس
وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور ويلين الصخور فسمعته وهو يقول و
قد افتتن به العقول ابن آدم ما أغراك بما يغرك وما أضراك
بما يضرك وألهجك بما يطغيك وأبهجك بما يطريك تغلو بما يعنيك
وتهمل ما يعنيك وتنزع في قوس تغريرك وترتع في المرعى الخبيث وبيلك
لا بالكفاف تقتنع ولا من الحرام تمتنع ولا للعظات تستمع ولا بالوعيد ترتدع
دأبك أن تتقلب مع الأهواء وتخبط خبط العشواء وديدنك أن تترأب في الأ
حتراث وتجمع التراث للوراث يعجبك التكاثر بما لديك ولا تذكر ما بين
يديك وتسعى أبدا لغاربك ولا تبالي ألك أم عليك أتظن أن ستترك سدى
وأن لا تحاسب غدا أو تحسب أن الموت يقبل الرشا ويميز بين الأسد
والرشا كلا والله لن يدفع المنون مال ولا بنون ولا ينفع أهل القبور
سوى العمل المبرور فطوبى لمن سمع ووعى وحقق ما ادعى و
نهى النفس عن الهوى وعلم أن الفائز من ارعوى

ثم أنشد إنشاد وجل بصوت زجل

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى — إذا سكن المثري الثرى وثوى به

فجد في مراضي الله بالمال راضيا — بما تقتني من أجره وثوابه

وبادر به صرف الزمان فإنه — بمخلبه الأشغى يغول ونابه

ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره — فكم خامل أخنى عليه ونابه

وعاص هوى النفس الذي ما أطاعه — أخو ضلة إلا هوى من عقابه

وحافظ على تقوى الإله وخوفه — لتنجو مما يتقى من عقابه

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه — بدمع يحاكي الوبل حال مصابه

ومثل لعينيك الحمام ووقعه — وروعة ملقاه ومطعم صابه

وإن قصارى منزل الحي حفرة — سينزلها مستنزلا عن قبابه

فواها لعبد ساءه سوء فعله — وأبدى التلافي قبل إغلاق بابه

قال فظل القوم بين عبرة يبزرونها وتوبة يبطنونها حتى كادت الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت الأصوات والتأم الإنصات واسكنت العبرات والعبارات استصرخ مستصرخ بالأمير الخاص وجعل يجأر إليه من عامله الجائر والأمير طائع الأخمص لا يعي كشف ظلمه فلما أيس من روحه استشعر الراعة لنجحه فنهض نهضة الشهم

وأنشد معرضا بالأمير

عجبا لمرتاح لنيل ولاية — حتى إذا ما نال بغيته بغى

يسمو ويلهج بالمظالم والبغا — ويزيدها جورا ويجور أو لغا

ما إن يبالي حين يشبع نفسه — فيها أأصلح دينه أم أوتغا

يا ويحه لو كان يوقن أنه — ما حاله إلا كحال ما طغا

أو لو تبين ما تراءى من صغا — سمعا إلى أبدا الوشاة لما صغا

يا نعم حرا أضحى الزمام بكفه — وتغافلوا أن يلغي الرعاية أو لغا

وارع الذمار إذا دعاك لرعيه — ورد الأجاج إذا احتاك السيغا

واحمل أذاه إذا أمض مسه — وأسال غرب الرمح منه وفرغا

فليأتمك الرهم منه إذا نبا — عنه وشب لكبري نار الوغا

وليثن ثوب النعمات إذا برا — متخليا من شغله متفرغا

ولتولين له إذا ما خره — أضحى على ترب الهوان ممرغا

منزاله ولسوف يوقف موقفا — فيه يرى رب الفصاحة ألثغا

وليخشين أخا من يفنع الفنا — ويحاسبن على النقيصة والثغا

ويؤاخذن بما اجتنى ومن اجتبا — ويطالبن بما احتسى وبما ارتغا

ويثار نقع على الدفائن مثلما — فذكا ويفعل بالورى برا أبلغا

حتى يعض على اليدين كآبة — ويود لو لم يبغ منها ما بغا

ثم قال أيها المفتون بالرواية المنتشح لرعاية دع الإدلال أبدا ولتك
والعنف ارفضنك فإن الدولة ريح قلب والقدرة برق خلب وإن أسعد
الرعاة من سعدت به رعيته وأشقاهم في الدارين من ساءت رعايته فلا
تكن ممن يذر الآخرة ويلغيها ويحب العاجلة ويبتغيها ويظلم الرعية
ويؤذيها وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها فوالله ما يغفل الديان
ولا يهمل يا إنسان بل سيوضع لك الميزان وكما تدين تدان قال فوجم الوالي
لما سمع وامتقع لونه وانتقع وجعل يتأفف عن الإمرة ويرمي الزمرة
بالزفرة ثم عمد إلى الشاكي فأشكاه وإلى المشكو فأشجاه وألطف الواعظ
وحباه وعزم عليه أن يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورا والظالم
محصورا وبرز الواعظ يتهادى بين رفقته ويتباهى بفوز صفقته واعتقبته
أقص اقتصاصا وأريه لمحا باصرا فلما استشف ما أخفيه وبطل لتقلب
لجي فيه قال خير دليليك من أرشد ثم اقترب مني وأنشد

أنا الذي تعرفه يا حارث / حدث ملوك فكه منافث
أطرب ما لا تطرب المثالث / طورا أخو جد وطورا عابث
ما غيرتني بعدك الحوادث / ولا التحى عودي خطب كارث
ولا يزال نابي حرز باحث / بل مخلبي بكل صيد ضابث
وكل سرح دب فيه عائث / حتى كأني للأنام وارث
سائسهم وحائمهم وباحث

قال الحارث بن همام فقلت له تالله
إنك لأبو زيد ولقد رفقت لله ولا عمرو بن عبيد فهش هشاشة الكريم إذا أم
وقال اسمع مني بالإبرام

عليك بالصدق ولو أنه / أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضى الله فأغبى الورى / من أسخط المولى وأرضى العبيد

ثم إنه ودع إخوانه وانطلق يسحب أردانه فطلبناه من بعد بالرقى
واستنشأنا خبره من مدارج الطرق فما بيننا من عرف قراره ولا درى أي الجراد عاره

المقامة الثانية والعشرون وتعرف بالفراتية

قال الحارث بن همام أربت في بعض الفترات إلى سقي الفرات فلقيت
بها كتابا أبرع من بني الفرات وأعذب أخلاقا من الماء الفرات فلحقت
بهم لتقربهم بالرهيم وأثرتهم لأدبهم لا لأذى بهم فجالست منهم
أضراب القعقاع بن شور ووطئت بهم الكور بعد الخور حتى إنهم أشركوني
في المرتع والمربع وأحلوني محل الأنملة من الإصبع والخزرى
أبرأتهم عند الولاية والعزل وخازن سرهم في الجد والهزل و
اتفق أن ندبوا في بعض الأوقات لاستقراء مزارع الرزداقات

فاختاروا من الجواري المنشآت جارية حالكة الشباب تحسبها جامدة و
هي تمر مر السحاب وتنساب في العباب كالحباب ثم دعونه إلى المواقفة
واستدعونا للمرافقة فلما توركنا على الحنية الدهما وتسنمنا الولية
القاتمة علمنا أنا ألفينا بها شيخا عليه سحق سربال وبث بال فعافت أعيننا
عن محضره وعنفت من أحضره وهمت بإبرازه من السفينة لولا ما ثاب إلينا
من السكينة فلما لمح منا استثقال ظله واستبراد طله توفر للمنافثة بصمته
وحمل بغرار عصمته ما شئت فأخذ حينا ينظر فيما انتحله إليه و
يستطر نظرة المبغي عليه وجعلنا نخوض في شجون من حديث ومجون إلى أن اعترض
ذكر الكاتبين وفضلهما وتبيان أفضلهما فقال قائل إن كتابة الإنشاء
أنبل الكتاب ومال مائل إلى تفضيل الحساب واحتد الحجاج واشتد اللجاج
حتى إذا لم يبق للجدل مطرح ولا للمراء منسرح **قال الشيخ** لقد أكثرتم يا قوم
اللغط وأدرتم على الصواب الغلط وإن جلية الحكم عندي فارتضوا بنقدي
واستفتوا أخا من يعلم اعلموا أن صناعة الإنشاء أرفع وصناعة الحساب
أنفع وقلم المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة حاطب وأساطير البلاغة
تنسخ لتدرس ودساتير الحسبانات تنسخ وتدرس والمنشي جهينة
الأخبار وحقيبة الأسرار ونجي العظما وكبير الندما وقلمه لسان الدولة

وفارس الجولة ولقمان الحكمة وترجمان الهمة وفيه التشبيب والتنزيه و
التشنيع والتشفيع به تستخلص الصياصي وتملك النواصي ويقتاد العاصي
ويستدنى القاصي وصاحبه بريء من التبعات آمن من كيد السعاة مقرض
بين الجماعات معرض لنظم الجماعات **قال الراوي** فلما انتهى في الفصل
إلى هذا الفصل لمح من لحظات القوم أنه ازدرع حبا وبغضا وأرضى بعضا
وأحفظ بعضا فعقب كلامه بأن قال إلا أن صناعة الحساب موضوعة
على التحقيق وصناعة الإنشاء مبنية على التلفيق وقلم الحساب ضابط
وقلم المنشي خابط وبين إتاوة توظيف المعاملات وتلاوة طوامير
السجلات بون لا يدركه قياس ولا يعتوره التباس إذ الإتاوة تملأ الأكياس
والتلاوة تفرغ الراس وخراج الأوارج يغني الناظر واستخراج الخراج
يعني الناظر ثم إن الحسبة حفظة الأموال وحملة الأثقال والنقلة الأثبات
والسفرة الثقات وأعلام الإنصاف والانتصاف والشهود المقانع في
الاختلاف ومنهم المستوفي الذي هو يد السلطان وقطب الديوان و
قسطاس الأعمال والمهيمن على العمال وإليه المآب في السلم والهرج
وعليه المدار في الدخل والخرج وبه مناط الضر والنفع وفي يده رباط الإ
عطاء والمنع ولولا قلم الحساب لأودت ثمرة الاكتساب ولاتصل

التغابن الى يوم الحساب ولكان نظام المعاملات محلولا وجرح الظلامات
مطلولا وجيد التناصف مغلولا وسيف التظالم مسلولا على ان يراع الانشاء
متقول ويراع الحساب متأول والمحاسب مناقش والمنشئ ابو براقش
ولكليهما حمة حين يرقى الى ان يلقى ويرقى واعنات فيما ينشي الى ان يغشى
ويشي الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم قال الحرث بن همام
فلما اقنع الاسماع بما راق وراع استنسبناه فاستراب وابى الانتساب ولم
وجرسنا بالانساب فحصلت من لبسه على غمة حتى اذكرت بعد امة فقلت
والذي سخر الفلك الدوار والفلك السيار انه لابو زيد وان كنت
اعهده ذا رواء وابن فتبسم ضاحكا من قولي وقال انا هو على استحالة حالي
وحولي فقلت لاصحابه هذا الذي يفري فريه ولا يباري عبقريه فخطبوا منه
الود وبذلوا له الوجد فرغب عن الالفة ولم يرغب في التحفة وقال اما بعد
ان سعفتم حتى لا اجل شغفي وكشفتم بالي بالاخلاق ومن بالي بعد اليوم اراكم الا
بالعين التحقيرة وما لكم عندي الا صحبة السفينة ثم انشد

اسمع اخي وصية من ناصح ... ما شاب محض النصح منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة ... في مدح من لم تبله او خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلي ... وصفيه في حالي رضاه وبطشه

ويبين خلب برقه من صدقه ... للشائمين ووبله من طشه
فهناك ان تر ما يشين فواره ... كرما وان تر ما يزين فافشه
ومن استحق الارتقاء فرقه ... ومن استحط فحطه في حشه
واعلم بان التبر في عرق الثرى ... خاف الى ان يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها ... في حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة ان تعظم جاهلا ... لصقال ملبسه ورونق رقشه
او ان تهين مهذبا في نفسه ... لدروس بزته ورثة فرشه
ولكم اخي طمرين هيب لفضله ... ومفوف البرد عيب لفحشه
واذا الفتى لم يغش عارا لم تكن ... اسماله الا مراقي عرشه
ما ان يضر العضب كون قرابه ... خلقا ولا البازي حقارة عشه

ثم ما عتم ان استوقف الملاح وصعد من السفينة وساح فبرم كل منا على
ما فرط في ذاته واغضى جفنه على قذاته وتعاهدنا ان لا نحتقر شخصا لرثاثة
بردة ولا ان نزري سبيعا لغبوة ابد عمره

المقامة الثالثة والعشرون وتعرف بالبغداذية

حكى الحرث بن همام قال نابذت مالف الوطن في شرخ الزمن لخطب خشيته و
خوف غشيته فارقت كاس الكرا ونصصت ركاب السرا وجبت في سيري

وعوراء لم ترمقها مقل القطا ولا امتدت إليها القطا حتى وردت

حمى الخلافة والحرم العاصم من المخافة فسررت بإجاس الروع واستشعا

ر الأمن وتسربلت لباس الأمن وشعاره وقصرت همتي على لذة أجتنيها وملحة

أجتليها فبرزت يوما الى الحريم كالروض طرحه وأجيل طرفي طرفة وأرى

فإذا أنا بشاب يتسالون ورجال متنالون وشيخ طويل اللسان قصير الطيلسا

ن قد لبب فتى حرير الشباب خلق الجلباب وركضت إثر النظارة حتى وا

فينا باب الإمارة وهناك صاحب المعونة متربعا في دسته ومرزعا

بسمته فقال الشيخ أعز الله الوالي وجعل كعبه العالي إذ كفلت

هذا الغلام يتيما وربيته فطيما ثم لم آله تعليما فلما مهر وبهر د

جرد سيف العدوان وشهر ولم أخله يلتوي علي ويتبع جبري ثوبه

مني ويلتحف فقال له الفتى على عثرت منه حتى تنشر هذا الخزي عني

فوالله ما سترت وجه بري ولا هتكت حجاب ستري ولا شققت عصا

أمري ولا ألغيت تلاوة شكري فقال له الشيخ ويلك وأي ريب

أخزى من ريبك وهل عيب أفحش من عيبك وقد ادعيت سحري واستحللته

وانتحلت شعري واسترقته واسترقاق الشعر عند الشعراء أفظع من سرقة

البيضاء والصفراء وغيرتهم على بنات الأفكار كغيرتهم على البنات

الأبكار

الأبكار فقال الوالي للشيخ وهل حين سرق سلخ أم نسخ فقال والذي

أم نسخ

جعل الشعر ديوان العرب وترجمان الأدب ما أحرث سوى أن بتر شمائل شرحه

وأغار على ثلثه سرحه فقال له انشد أبياتك بتمامها ليتضح ما اجتاز من جملتها فأنشد

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأكدار

دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا بعدا لها من دار

وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدى لجهامه الغدار

غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يفتدى بجلائل الأخطار

كم مزده بغرورها حتى بدا متمردا متجاوز المقدار

قلبت له ظهر المجن وأولغت فيه المدى ونزت لأخذ الثار

فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا فيها سدى من غير ما استظهار

واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى ورفاهة الأسرار

وارقب إذا ما سالمت من كيدها حرب العدى وتوثب الغدار

واعلم بأن خطوبها تفجا ولو طال المدى ووَنَت سرى الأقدار

فقال له الوالي ثم ماذا صنع هذا قال أقدم للؤمه في الجرا على أبيات الشرا

سية الأجزا فحذف منها جزأين ونقص من أوزانها وزنين حتى صار الرزء

فيها رزأين فقال بين ما أخذ ومن أين فقال أرعني سمعك وأخل

لتبعثهم على هجره حتى تتبين كيف أخلق على وقر فقد راح تمامه

على ثم أنشد وأنفاسه تتصعد

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى

دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا

وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدى

غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يفتدى

كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمردا

قلبت له ظهر المجن وأولغت فيه المدى

فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا فيها سدى

واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى

وارقب إذا ما سالمت من كيدها حرب العدا

واعلم بأن خطوبها تفجا ولو طال المدى

فالتفت الوالي إلى الغلام وقد نصل له أسهم الملام وقال تبا لك من خارج

مارق وتلميذ سارق فقال الفتى برئت من الأدب وبنيه ولحقت بمن يناويه

ويغوض مباديه إن كانت أبياته نمت إلى علمي قبل أن ألفت نظمي وإنما

اتفق توارد الخواطر كما قد يقع الحافر على الحافر فكأن الوالي جز

حرن

حرن زعمه فشرع على بادرة ذمه وظل يفكر فيما يكشف له عن الحقائق

ويميز به الفائق من المائق فلم ير إلا أن يخبرهما بالمناضلة ويلزمهما

المساجلة فقال لهما إن أردتما ابتضاح الباطل واتضاح الحق من

الباطل فتراسلا في النظم وتباريا وتجاريا في حلبة الإجازة وتجاريا

ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة فقالا له بلسان واحد

وجواب متوارد قد رضينا بسبر فهمك فأمرنا بأمرك فقال إني مولع من أنواع

البلاغة بالتجنيس وأراه لها كالرئيس فانظما الآن عشرة أبيات تلحمانها

بوشيه وترصعانها بحليه وضمناها شرح حالي مع الغلام بريء الصفحة

ألمى الشفة مليح التثني كثير التيه والتجني مغرى بتناسي العهد وإطالة

الصد وإخلاف الوعد وأنا له كالعبد فابتدر الشيخ مجليا وتلاه

الفتى مصليا وتجاريا يبنيانها على هذا النسق إلى أن كمل نظم الأبيات

واتسق

قال الشيخ

وأحوى حوى رقي برقة لفظه وغادرني إلف السهاد بغدره

قال الفتى

تصدى لقتلي بالصدود وإنني لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره

قال الشيخ

أصدق منه الزور خوف ازوراره وأرضى استماع الهجر خيفة هجره

قال الفتى

وأستعذب التعذيب منه وكلما أجد عذابي جد بي حب بره

تناسيتُ ذمامي والتناسي مذمةٌ
وأحفظ قلبي ومودة صاحبه بسره
وأعجب ما فيه التغابي بعجبه
وأكرم عن أن أجره بكبره

له منن المزوح الذي كان نشره
وحمدته صفو الود من بعد نشره

ولو كان عن ما تجنى فزرتنا
على رغم من يخشى رشقا تغره

ولو أنني شئت نبت أعشني
بزلزال من اختلى نور بدره

وإذ على تصريف أمري وأمره
أرى الحر حلوا في انقياد لأمره

فلما انشرا هذا الوالد منزا سلبين بعث لذكائهما المتعاد لبز وقال
أشهد بالله إنكما في الأسماء وكنزين برج وعاء وإن الحرث لينبوعها
انا له ويستغني بوجره عن سواه فتب أيها الشيخ عن انتهاكه و
تب إلى إكرامه فقال الشيخ هيهات أن أجعله مغنى أو تعلق
به ثقتي وقد بلوت كفر إنه بالصنيع وضيقت منه بالعفو الشنيع
فاعترضه الفتى وقال يا هذا إن اللجاج شؤم والخنزوانة تحقيق
الظنة إثم واعنات البري ظلم وهبني اقترفت جريرة واجتنيت
حيث كبيرة أما ترى إذ انشرتني نفسك في إبلاء نسك

سامح أخاك إذا خلط
منه الإصابة بالغلط

وتجاف عن تعنيفه
إن زاغ يوما أو قسط

واحفظ صنيعك عنده
شكر الصنيعة أم غمط

والطف

وأطعه إن عاصى وهُن إن عز وادن إذا شحط
وأقر الوفاء ولو أخل بما اشترطت وما شرط
واعلم بأنك إن طلبت مهذبا رمت الشطط
من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط
أو ما ترى المحبوب والمكروه لززا في نمط
كالشوك يبدو في الغصون مع الجنى الملتقط
ولذاذة العمر الطويل يشوبها نغص الشمط
ولو انتقدت بني الزمان وجدت أكثرهم سقط

فال فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصل ويحملق حملقة البازي المطل
ثم قال والذي زين السماء بالشهب وأنزل الماء من السحب ما رونقي عرا لا
خطاب إلا لتوفي إلا فتطاح فإن هذا الفتى اعتاد أن أمونه وأراعي
شئونه وقد كان الزمن يسخو فلم أكن أسخو فأما الآن بالرثاثة عبوسي
وحشو العيش بؤس حتى إن يزد هذه عارة ويبتني تطوقه تارة
فال فرق لهما لما ملك الوالي وأرى لهما من غبن الليالي وصبا إلى
اختصاصهما بالإسعاف وأم النظارة بالانصراف فال الراوي و
وكنت مستشوفا إلى معرفة الشيخ لعلي أعلم علمه إذا عاينت ونمة

ولم يكن إن حام يسمع عنه، ولا يفرج له بإذن منه، فلما تقوضت الصفوف
وأجفل الوقوف، توسمته فإذا هو أبو زيد والفتى فتاه، فعرفت
حينئذ مغزاه فيما أتاه، وكدت أنقض عليه لأستعرف إليه، فزجرني
بإيماض جفنه، واستوقفني بإيماء كفّه، فلزمت موقفي، وأخرت منصر
في. فقال الوالي: ما أمرك ولأيما سبب مقامك؟ فابتدر الشيخ وقال
إنه أنيسي وصاحب ملبوسي، فتسمّح عن هذا القول بتأنيسي ور
خص في جلوسي، ثم أفاض عليهما خلعتين، ووصلهما بنصاب من العين
واستعهدهما أن يتعاشرا بالمعروف، إلى إظلال اليوم المخوف. فنهضا
من ناديه مستبشرين بشكر أياديه، وتبعتهما لأعرف مثواهما، وأتزوّد
من نجواهما. فلما اجتزنا حمى الوالي، وأفضينا إلى الفضاء الخالي، أدركني
أحد جلاوزته، منصبًّا في حوزته، فقلت لأبي زيد: ما أظنه أشخص
إلا ليستحضرني، فماذا أقول، وفي أي واد معه أجول؟ فقال: بيّن له غباوة
قلبه، وتلعابي بلبّه، ليعلم أن ريحه لاقت إعصارًا، وجدوله صادف
تيّارًا. فقلت: أخاف أن يتقد غضبه فيلفحك لهبه، أو يستشري
طيشه فيشيط إليك بطشه. قال: إني أرحل إلى الرها، وأين يلتقي
سهيل والسها. فلما حضرت الوالي وقد خلا مجلسه، وانجلى تعبّسه

أخذ

أخذ يصف أبا زيد وفضله، ويزري الزمن له، ثم قال: أنشدتك الله، ألستَ
الذي أعاره الدست؟ فقلت: والذي أجلسك في هذا الدست، ما أنا بصاحب
ذلك الدست، بل أنت الذي تمّ عليه الدست. فازورّت مقلتاه، واحمرّت
وجنتاه، وقال: والله ما أعجز عن فضح مريب، ولا كشف معيب، ولكن
ما سمعت بأن شيخًا دلّس، بعد ما تطلّس، فبهذا تمّ له أن تلبّس، فتربّص
أين يسكح ذلك الكلح. فقلت له: أشفق منك لتعدّي طوره، فظعن عن
بغداد من فوره. فقال: لا قرّب الله له نوى، ولا كلأه أين ثوى، فما زاولت
أشأم من نكده، ولا ذقت أمرّ من مكره، ولولا حرمة أدبه لأوغلت في طلبه
إلى أن يقع في يدي فأوقع به، وإني لأكره أن تشيع فعلته بمدينة السلام
فأفتضح بين الأنام، وتحبط مكانتي عند الإمام، وأصير ضحكة بين
الخاص والعام
فعهد أن لا أبوح بما أعلم ما دمت حلًّا بهذا البلد. قال الحارث
بن همام: فعاهدته معاهدة من لا يتأوّل، ووفيت له كما وفى السموأل.

المقامة الرابعة والعشرون وتعرف بالنحوية

أخبر الحارث بن همام قال: عاشرت بقطيعة الربيع، في إبان الربيع
فتية وجوههم أبهج من أنواره، وأخلاقهم أبهج من أزهاره، وألفاظهم
أرق من نسيم أسحاره، فاجتليت منهم ما يزري على الربيع إذا همى

ويغني عن رنات المثاني، وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد، وحظر
الاستبداد، وألا ينفرد أحدنا بالمراد، ولا يستأثر ولو بزاد، فأجمعنا
في يوم ساد دجنه، ونمى حسنه، وحكم بالاصطباح مزنه، على أن
نلتهي بالخروج إلى بعض المروج، لنسرح النواظر في النواضر، ونصقل
الخواطر بشيم المواطر، فبرزنا ونحن كالشهور عدة، وكندماني جذ
يمة مودة، إلى حديقة أخذت زخرفها وازينت، وتنوعت أزاهرها
وتلونت، ومعنا الكميت الشموس، والسقاة الشموس، والشادي
الذي يطرب السامع، ويلهيه ويغني بما يشتهيه، فلما اطمأن
بنا الجلوس، ودارت علينا الكؤوس، وغل علينا ادم عليه طمر-ه
فتجهمناه تجهم الغير الشيب، وجرنا صفو يومنا من شيب، إلا
أنه سلم تسليم أولي الفهم، وجلس يفض لطائم النثر والنظم، ونحن
نتزوى من انبساطه، ونتبرم بسلاطه، إلى أن غنى شادينا المغرب
ومغردنا المطرب

إلوم سعادا لا تطيل جفني ولا أنا ويرح مطالها في
صمت علي حتى عيل صبري وكادت تبلغ النفس التراقي
وما أنا فزعت من علي انتصافي أساقي فيه خلي ما يساقي



ملاوطة الزبية فوطئ وأراهم ما يحق في الطلاق
قال فاستبهمنا العابث بالمثاني لم نصب الوصل الأول ورفع الثاني
وأقسم بتربة أبويه لعن نطق بما اختاره سيبويه فتشعبت حينئذ
آراء الجمع في تجويز النصب وامتناعه فقالت فرقة رفعهما هو الصواب
وقالت طائفة لا يجوز فيهما إلا الانتصاب واستبهم على آخرين الجواب
واستعر بينهم الاصطخاب وذلك الواغل يبسم ابتسام من معه فقه وإن
لم يفه ببنت شفة حتى إذا سكنت الزماجر وصمت المزجور والزاجر
قال يا قوم أنا أنبئكم بتأويله وأميز صحيح القول من عليله إنه يجوز
رفع الوصلين ونصبهما والمغايرة في الإعراب بينهما وذلك بحسب
اختلاف الإضمار والتقدير المحذوف في هذا المضمار قال فبهر له من
الجماعة إفراط في مهاراته وانخراط في مباراته فقال أما إذا دعوتم
نزال وتلبيتم لنضال فما كلمة معناها إن شئتم حرف محبوب أو اسم لما
فيه حرف حلوب وأي اسم يتردد بين فرد حازم وجمع ملازم وأية
هاء إذا لحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل وأين تدخل السين د
فتعزل العامل من غير أن تجامل وما منصوب أبدا على الظرف لا يخفضه
سوى حرف وأي مضاف أخل من عرى الإضافة بعروة واختلف حكمه

بين مساءة وغرة وما الفاعل الذي يتصل آخره باوله ويعمل معكو
سه مثل عمله واي عامل نائبه ارحب منه وكرا واعظم مكرا واكثر
لله تعالى ذكرا وفي اي موضع يلبس الذكران براقع النسوان وتبرز
ربات الحجال بعمائم الرجال واين يجب حفظ المراتب على المضروب
والضارب وما اسم لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه على
حرفين وفي وضعه الاول التزام وفي الثاني الزام وما وصف اذا ارد
ف بالنون نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض
للهون فهذه اثنتا عشرة مسألة وفق عددكم وزنة لددكم ولو
زدتم زدنا وان عدتم عدنا قال المخبر بهذه الحكاية فورد علينا
من احاجيه التي هالت لما انهالت ما حارت له الافكار وجالت د
فلما اعجزنا العوم في بحره واستسلمت تمائم السحرة عدلنا عن
استثقال الرؤية له الى استنزال الرواية عنه ومن بغض التبرم به
الى ابتغاء التعلم منه فقال والذي نزل النحو في الكلام منزلة الملح في الطعام
وحجب مطالعه عن بصائر الطغام لا انلتكم مراما ولا شفيت لكم غراما او
تخولني كل يد وتختصني كل منكم ببرد فلم ير الجماعة الا الاذعان لحكمه
ونبذ اليه خبأة كمه فلما حصلت تحت وكائه اضرم شعلة ذكائه

بكشف

بكشف خبيئة من اسرار الالغاز وبدائع الاعجاز ما جلا به صدا الا
ذهان وجلا مطلعه بنور البرهان قال الراوي فبهتنا حين بهتنا
وعجبنا اذ اجبنا وندمنا على ما قدمنا واخذنا نعتذر اليه اعتذار
الاكياس ونعرض عليه ارتضاع الكاس فقال ما ارب لا جتهاده و
مشرب لم تبق له عندي حلاوة ثم شمخ بانفه صلفا ونأى بجانبه انفا وانشد

نهاني الشيب عما فيه افراح ... فكيف اجمع بين الراح والراح
وما يجوز اصطباحي من معتقة ... وقد انار مشيب الرأس اصباحي
آليت لا خامرتني الخمر ما علقت ... روحي بجسمي والفاظي بافصاح
ولا اكتست لي بكاسات السلاف يد ... ولا اجلت قداحي بين اقداح
ولا صرفت الى صرف مشعشعة ... همي ولا رحت مرتاحا الى راح
ولا نظمت على مشمولة ابدا ... شملي ولا اخترت ندمانا سوى الصاح
محا المشيب مراحي حين خط على ... رأسي بابغض مرقوم لكاتب ماح
ولاح يلحو على جري العنان الى ... ملهى فسحقا له من لائح لاح
ولو لهوت وفودي شائب لخبا ... بين المصابيح من غشاي مصباحي
قوم سجاياهم توقير ضيفهم ... والشيب ضيف له التوقير يا صاح

ثم انه انساب انسياب الايم واجفل اجفال الغيم فعلمت انه

سراج سروج وبدر الادب الذي يجتاب البروج وكان فطار انا التعرق
لبعده والتفجع من بعده

تفسير ما اودع هذه المقامة من النكت العربية والاحاجي النحوية

اما صدر البيت الاخير من الاغنية التي معو بان من طلل الذي به جوط بانه تنصب قوله لم اللي بحرد
بعد ان خير الخير وان شرا بشر وهذه المسئلة اورد عنها سيبويه في كتابه وجوز فيها
اربعة اوجه احدها وهو اجودها ان تنصب خير الاول وترفع الثاني وتنصب شرا
الاول وترفع الثاني ويكون تقديره ان كان عمله خيرا فجزاؤه خير وان كان عمله شرا فجزاؤه
شر فينتصب الاول على انه خبر كان ويرتفع الثاني على انه خبر مبتدا محذوف وتحذف فيه
هذا الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط الذي هو ان على تقديرهما وحذفت ايضا
المبتدا لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه لانه كثيرا ما يقع بعدهما والوجه الثاني
ان تنصبهما جميعا ويكون التقدير ان كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا وان كان شرا فهو يجزى
شرا فينتصب الاول على انه خبر كان وتنصب الثاني انتصاب المفعول به والوجه الثالث
ان ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان في عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع خير الاول
على انه اسم كان ويرتفع الثاني على ما تبين في شرح الوجه الاول وقد يجوز ان ترفع خير الاول
على انه فاعل كان المحذوفة ها هنا وهي التامة التي بمعنى حدث فلا تحتاج الى خبر
كقوله تعالى وان كان ذو عسرة ويكون التقدير في المسئلة ان كان خير فجزاؤه خير اي ان
حدث خير والوجه الرابع وهو اضعفها ان ترفع الاول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث
وتنصب الثاني على ما بين وجهه في الوجه الثاني ويكون التقدير ان كان في عمله خير فهو يجزى خيرا
وعلى حسب هذا التقسيم والمقدرات المحذوفات فيه يجري اعراب البيت الذي عنى به وما يشبه
في هذا السلوك قولهم المرء مقتول بما قتل ان سيفا فسيف وان خنجرا فخنجر واما الكلمة
التي معناها وحرفها محجوب اذا اسم لها فيه حرف حلوب فهي نعم اذا اردت بها تصديق الاخبار او
العدة عند السؤال فهي حرف وان عنيت به الابل فهي اسم والنعم تذكر وتؤنث وتطلق على
الابل وعلى كل ماشية فيها ابل وفي الابل الحرف وهي الناقة الضامرة سميت حرفا تشبيها
بحرف السيف وقيل انها الضخمة تشبيها لها بحرف الجبل واما الاسم المتردد بين حرفين حاز
وجمع ملازم فهو سراويل قال بعضهم هو واحد وجمعه سراويلات بعلى هذا القول هو مجرد
كنو عرضه الحظ فهو حازم وقال آخرون هو جمع واحده سروال مثل شملال وشماليل فهو
على هذا القول جمع ومعنى قولنا ملازم اي لا ينصرف والعلة في منعه من الصرف من هذا النوع من الجمع وكل جمع
ثالثه الف بعدها حرف مشدد او حرفان او ثلاثة اوسطها ساكن في المفرد وغيره من الجمع فلا
نظير له في الاسماء الا هاد وقد كنى في هذه الاحجية عن انه لا ينصرف بالملازم واما الماء الذي

اذا الحظه اماطت النفر واطلقت المعتقل فهو الالف في الجمع المتغير ذكره كقولك صبا
ربه وصيا قلبه فينصرف هذا الجمع عند الحاق الهاء به لانه قد خارقة الامثلة الآحاد نحو رملة
معيه ولكن حيث يحذف ففيه هذا السبب وصرف لزوال العلة وقد كنى في هذه الاحجية عن الا ينصرف بالمعتقل
كما كنى في التي قبلها عن الا ينصرف بالملازم واما السبب التي تعزل العامل من غير ان تخل فهو اذا
دخلت على الفعل المستقبل وفصلت بينه وبين ان التي كانت قبلها نحو علمت ان قد اذ رأيت النصب فيه تقع
فيميز الفعل وقد تنتقل ان عن كونها الناصبة للفعل الى ان تكون المخففة من الثقيلة وذلك
كقوله سبحانه علم ان سيكون منكم مرضى وتقديره علم انه سيكون واما المنصوب على الظرف الذي
لا يخفضه سوى حرف فهو عند ولا يجره غير من خاصة وقول العامة ذهبت الى عنده لحن واما
المضاف الذي اخل من عرى الاضافة بعروه واختلف حكمه بين مسا وغدوه فهو لدن ولدن من الاسماء
الملازمة للاضافة وكل ما يليه فهو مجرور بها الا غدوة فان العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالها
اياها في الكلام ثم نونتها ايضا للتمييز بذلك انها منصوبة لا انها من نوع المجرور وان التي لا تنصرف عند
بعض النحويين ان لدن بمعنى عند والصحيح ان بينهما فرقا وهو ان عند يشتمل معناها على ما هو
ملك لك ومما تنتفع ما دون منك وبعد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك واما
العامل الذي يتصل آخره باوله ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسه اي وكلتاهما من حروف
النداء وعملهما في الاسم المنادى سيان وان كانت يا اجول في الكلام واكثر في الاستعمال وقد اختار
بعضهم ان ينادى باي القريب فقط كالهمزة واما العامل الذي نائبه ارحب منه وكرا واعم
مكرا واكثر لمن عراه بحرا فهو الباء ومعنى الباء منها اصل حرف القسم لدلالته استعمالها مع ظهور فعل
القسم في قولك اقسم بالله ولدخولها ايضا على المضمر كقولك بك لافعلن ثم ابدلت الواو منها في القسم
لانها جميعا من حروف الشفة ولتقارب معناهما ايضا لان الواو تفيد الجمع والباء تفيد الالصاق
وكلاهما متقارب ثم صارت الواو المبدلة من الباء ادور في الكلام واعلق بالاقلام ولهذا الغرض نبه
انكره ثم ان الواو اكثر موطنا من الباء لان الباء لا تدخل الا على الاسم والواو تدخل على الاسم و
الفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة بالاضمار رب وتنتظم ايضا مع نواصب الفعل وادوات العطف
بلهذا وصفه بحب الوكر وعظم الذكر واما الموطن الذي يلبس فيه الذكران براقع النسوان وتبرز
فيه ربات الحجال بعمائم الرجال فهو اول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلاثة الى العشرة فانه
يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما و
الهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك قائم وقائمة وعالم وعالمة فقد رأيت كيف انعكس
في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل واحد منهما في نظائره من زي جنسه طاحية و
اما الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب فهو حيث يشتبه الفاعل والمفعول
لتعذر ظهور علامة الاعراب فيهما او في احدهما وذلك اذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى او من اسماء
الاشارة نحو ذلك وهذا فيجب حينئذ لازالة اللبس ان كل واحد منهما في رتبته ليعرف الفاعل
منهما بتقدمه والمفعول بتأخره واما الاسم الذي لا يعرف الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه على

حي هيا فهو مهمل وفيه قولان احدهما انها مركبة من الفة بمعنى كيف ومن مثل الغول [illegible]
ومعو الضخيم ان اما طل ما فيه بيرت عليه ما اخرى كما ان اداما على بجار لبعضها ما ما ينفعل عليه تولى
الكلمتين لمعنى واحد ما يدلوا [illegible] بطرتا بهما ومصار اذ وان النزه والجيا. ومتى لعطف
علم ينم الكلام واعقل المعنى اما بايراد الكلمتين بعدهما كقولك بها تفعل افعل وتكون حينئذ
ملفوظ المعل وان اقترنت منه على حي هيا وعلامة التى بمعنى كيف ينم المعنى وكنت [illegible]
ان يكيف واما الوصف الذي اذا اردنا بالنون نقض صاحبه في العيون ونوم بالدون وخرج من
الزبون وتعرض للهون فهو ضيف اذا الغفته النون استخال الضجر وهو الذي يتبع الضيف وينزل
في النعو [illegible]

المقامة الخامسة والعشرون وتعرف بالكرجية

حكى الحرث بن همام قال شتوت بالكرج لدين اقتضيه وارب اقتضيه فبلوت من شتائها الكالح وصرها النافح ما عرفني جهد البلا وعكفني على الاصطلا فلم اكن ازايل وجاري ومستوقد ناري الا لضرورة ادفعها او جماعة احافظ عليها فاضطررت في يوم جوه مزمهر ودجنه مكفهر الى ان برزت من كناني لمهم عناني فاذا شيخ عاري الجلدة بادي الجردة وقد اعتم بريطة واستثفر بفويطة وحواليه جمع كثيف الحواشي وهو ينشد ولا يحاشي

يا قوم لا يشغلكم عن خبري ... اصدق من عري اوان القر
فاعتبروا ما ابدا من ضري ... باطن حالي وخفي امري
وحاذروا انقلاب ظهر الدهر ... فانني كنت نبيه القدر
آوي الى وفر وحد يفري ... تعبر ضيفي ونبيل سمري

وتشتكي كومي غداة اقري ... فجرد الزمن سيوف الغدر
وشن غارات الرزايا الغبر ... ولم يزل يعيش وينبري
حتى عفت داري وغاض دري ... وبار شعري في الورى وشعري
وصرت نضوا فاقة وعسر ... عاري المحاجر ذا محيا فشر
كانني المغزل في التعري ... لا ادب في القر والضير
غير التشيحي واصطلاء الجمر ... فهل جواد ذو رداء غمر
يستر من يعقوة او طمر ... طلاب وجه الله لا الشكر

ثم قال يا ارباب الثرا المرابين في الحبرا من اوتي خيرا فلينفق ومن استطاع ان يرفق فليرفق فان الدنيا غرور والدهر عثور والمكنة زورة طيف والفرصة مزنة صيف واني والله لطالما لقيت الشتاء بكانونه واعددت الاهب له قبل اوانه وها انا اليوم يا سادتي ساعدي وسادتي وجلدتي بردتي وحفنتي جفنتي فليعتبر العاقل بحالي وليبادر صرف الليالي فان السعيد من اتعظ بسواه واستعد لمسراه فقيل له قد جليت علينا الادب فاجل علينا نسبك فقال تبا لمفتخر بعظم نخرة انما الفخر بالتقى والادب المنتقى ثم انشد

لعمرك ما الانسان الا ابن يومه ... على ما تجلى يومه لا ابن امسه

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما ... فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم إنه جلس محرنفشا واجرنثم مقرنفشا وقال اللهم يا من عم بنوا
له وأمر بسؤاله صل على محمد وآله وأعني على البرد وأهواله والجد
حرابي ترم من خصاصة ولو بخصاصة قال الراوي فلما جلى عن النفس
العصامية والملح الأصمعية جعلت عيني تتفرسه ومراميه تحقق ترجمته
حتى استبنت أنه أبو زيد وأن تعريه أحبولة لصيد ولمح مواقع عرفاني
فرأى ذلك ولم يأمن أن يهتكه فقال أقسم بالسمر والقمر والزهر والزهر
إنه لن يستر في اليوم إلا من طاب خيمه وأشرب ماء المروءة أديمه فغلت
ما عناه وإن لم يدر القوم معناه وساءني ما يعانيه من انعدام غرة وافتقار
الحلة فعمدت لفروة هي بالنهار رياشي وفي الليل فراشي فنضوتها
عني وقلت البسها مني بما كذب إن قبلتها وعيني قرة لها وأنشد

لله من ألبسني فروة ... أضحت من الحر عرة لي جنة
ألبسنيها واقيا مهجتي ... وقيت شر الإنس والجنة
سيكتسي اليوم ثناء وفي ... غد سيكسى سندس الجنة

قال فلما فتن قلوب الجماعة بافتنانه في البراعة ألقوا عليه من
الفرا المفشات والجباب الموشات ما آده ثقله ولم يكد يقله

فانطلق

فانطلق مستبشرا بالفرج مستشرفا للمخرج وتبعته إلى حيث ارتفعت
الثقبة وبرزت السماء نقية فقلت له انشر ما في سحك البرد فلا تنعم من
بعد فقال ويلك لبئس من القول سرعة العزل فلا تعجل بلوم من ظلم
ولا تقف ما ليس لك به علم فوالذي نور الشيبة وطيب تربة طيبة لولم
أتعرض لرحته بالخيبة وصفع القيبة ثم نزع إلى الفرار وتبرقع بالاكفهرار
وقال أما تعلم أن شنشنتي الانتقال من ضيق الحصير والاعتياض من
غضر ال زيد وأراك قد غششتني وعففتني وأفتيتني أضعاف ما بررتني
فاعقني عافاك الله من تغويك واسرد عني باب جرذك ونحو ذلك فجبرته
جبر المتعابة وجمجمت به للدعابة وقلت له والله لولم أو أردت و
أغض على عوارك لما وطئت إلى الصلة ولا انقلبت أكسوك من حلة بجائزة
عن احساد أبيك وسن لك وعليك بأن تسهم في برد الفروة أن تعرفني
كابات الشتوة فنظر إلي نظر المتعجب وازمهر ازمهرار المتغضب
ثم قال أما برد الفروة فأبعد من ردة أمس الدابر والميت الغابر وأما كابات
الشتوة فسيجاز من طبع على ذهنك وأدمع وعاء خزنك حتى انسيت
ما أنشدتك بالأمس لابن سكرة

جاء الشتاء وعندي من حوائجه ... سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا

كرو كيس وكانون وكاس طلا بعد الكباب وكم ناعم وكسا

ثم قال نجراب يشبع خير من جلباب يزري بما كنته بما وعيت وانكفى

بعارضته وقد ذهبت من وتي وعادت شقوتي وحصلت على إن غرغطول تشوقي

المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالرقطاء

حوث الحرث بن همام قال احللت سوق الأهواز بساحلة الأعواز

فلبثت فيها مدة اكابد نشزة وازجي اياما مسودة الى ان رايت تمادى

المقام من عوائق الانتعاش ومعقمات المعاش وبارحتها مبارحة

الطل البالي وظعنت عن ربعها كمبيت الازار راكضا الى اهباء الغرار

حتى اذا اسرت منها مرحلتين وبعدت عنها سرى ليلتين رايت

خيمة مضروبة ونارا مشبوبة فقلت ائتيها لعلي انفع صدى او

اجد على النار هدى فلما انتهيت الى ظل الخيمة رايت غلمة روقة ونثارة

مرموقة وشيخا عليه بزة سنية ولديه فاكهة جنية فحييته ثم نحا

نحيه فجعل اليه واخسر اليه على رمال المجلس الذي يروق باكهته

وتشوق مفاكهته فجلست لاغتنام محاضرته لا لالتهام ما حضرته فحين

سمع عن ادابه وكشفت عن انيابه عرفت انه ابو زيد بحسن ملحه وقبح

نلحه فتعارفنا حينيذ وجعت بدمعتنا ساعتيذ ولم ادر بايهما

انا اضعى فرحا وارتوى مرحا اباستباره مرخمة استعاره ام بخصب

رحاله بعد امحاله وتاقت نفسي الى ان افتض ختم سره وابحث عن عيبة

سره فقلت له من ابن اياتك والي ابن انسيابك ومن اي امتلات عيابك

فقال اما المغرم فمن خوزستان واما المقصد فالى السوس واما الحرفة

التي اصبتها فمن رسالة فانتصبتها فسالته ان يقفو شفو خلته ويسرد

علي رسالته فقال در من امدحب السوس او تصحبني الى السوس

فطاحبته اليه نهرا وعكفت بها عليه شهرا وهو يعللني كاسات

التعليل ويجذ اعنة التامل حتى اذا احرج صدري وعيل صبري قلت

له انه لم تبق لي علة واحرق تعلة وقد نعق غراب البين وارحل

عنك بخفي حنين فقال حاش لله ان اخلفك او اخالفك وما ازجيت ان

اعرتك الا لالبثك واذا كنت قد استنبت بعزتي وانعمت سوء

الظن بما عزت فاصخ لقص سيمنتو المستترة وافقها الى اخبار

الفرج بعد الشدة فقلت هات يا اخا الترهات مما الحول حيلة واخو

حيلة فقال اعلم ان الزمن العبوس الغافي الى الهوش وانا يومئذ

ممعنن وقتر لا احتبل ذرة ولا انيم واحجاني صفي اليدين الى التطوف بالزن

ن واذنت لسوء الاتفاق من موعسي الاخلاق وتوقفت تشنى

التفاق وتوسعت في الإنفاق بما أبقت حتى نفضني ذيل فمي عن حفه
ولازمني مستحقه فجعت في أمري واطلعت غريمي على عسري فلم يصدق
إملاقي وانتزع عن ارتعاني بالجرية التقاضي وألح في انقيادي الى القاضي
وكلما خضعت له في الكلام واستنزلت رفق الكرام ورغبته أن ينظر
إلى ميسرتي أو ينظرني إلى ميسرة قال لا تطمع في الإنكار واحتجان
النظار موحشك ما ترى مسالك الخلاص أو تريني سبايك الخلاص فلما
رأيت احتداد لدده وأن لا مناص لي من يده ناشدته ثم واثبته إلى ما
يعني إلى والي الجماعة إلا إلى الحاكم في المظالم لما كان بلغني من إفضال الوالي
وفضله وتشدد القاضي وبخله فلما حضرنا باب أمير حمص رأنا
أن لا بأس ولا بؤس باستدعيت دواة وقرطاسا وأنشأت إليه رسالة
رقطاء ونصها أخلاق سيدنا تحب وبعقوته يلب وقربه تحف
ونأيه تلف وخلته نسب وقطيعته نصب وغربه ذلق وشهبه
تأتلق وطلعه زان وقوس نجحه بان وذهنه قلب وحزب ونقمته

تشرق وعقب سير قلب سيبو ومن بحر يغرب عزوف عيوب
مخلب شلف أغر جبر نابه باطل ذكي أنوب
مقلو إن أبا وهب إذا ناب ميلح وجل خطب مخوب

مناظم نثره تأتلف وشؤبوب حبايه يكف ونايل يزيه فاض وسح قلبه
غاض وخلب سحابه يختلب وذنب عبابه يحتسب من لغا لغة يلحج وغلب
وتاج بابه جلب وخلب كف عن مقطع يجي ونزغ من دنس عوي وفرق
لبابه بعن ونكب عن مذهب كذ ليس بمتاب عنبر نهره شر باربعة عفة بر

بلز أيجب ويستحق عقابه   شغفا به بلبابه جذلاب
أخلاقه غر تسر وفوقه   فوق إذا نا ظنه غلاب
سمح يمش وذا تلاد ربعا   خل بلبس نحيفه بر تاب
لا باخل بل باذل خرق إذا   يغشي ز كلا بليه باب
ارعف أزل بلا عرب عطا ضه   بمنابه با نحت منه ناب

وجرم بمن لب وقطن وفرب وشطن لذ عن لغى بع زمن وجار زمن من
رضع نثرى لبانه حق بإفاضة تهتانه نعشر ومزج وظامي بانبع و
نام بأزمج وبلاء بعوا بلج أتعب من سبيلي وفرج اذ من وبلي رتوج
صفاته بعب عفاته

فلا خلا ذا انبجة   بمنتر ظل خضبه
فإنه بن بمن   ذا نسر ضر شعبه
زار ومرايا طرحه   بلبس حزنه ربه

فليهنه سيرنا بوزه بمعاج تأتلف وجلت وبوته بصنايع نمتنا ونمت

ويلايم قرب حوزته غوث رفده بعده من حظوته فانه تلبد نزب وشريد

جرب وجريح نوب ازمات ونابط فلا يد نسيمه إذا جاش لخطبة فلا

يوجر قايل ثم نسرتم بأفل بارهين فلت حتى تمنعت وخلت ريا فاير

نمت معزا ثم نتربه ربض وفوته فرض وبلغه غسق وجلبابه خلق

وفرتلوى لتنوع غهم غاشم يستنحته نحو لازم بارض سيرنا بكفه

بهبات كفه نم تنجح بمجربا في وبا، بأخ فكني من وثاق لاخلت سجا

باخلقه زبرشايم برقه بمزرب ازلق حتى أبرني **قال** فلما استشف

دامير لمعالبه ولمح السر المودع فيه أوعز في اغال بقضاء ديني وبطل ما

بين خصمي وبيني ثم استخلصني لمكاثرته واختصني بأثرته فلبثت

بضع سنين أنعم في ضيافته وأرتع في ريف رأفته حتى إذا عمرتني موا

هبه وأطارني بلوغ هبه تلطفت في دار تقال على ما نزر في من حيس الحال

فقلت له بشكر المرأتاح لك لعيال السمح الكريم وانفرق به من غطة

الغريم فقال الحمد لله على سعادة الجد والخلوص من الخطة الالد ثم قال أيما

أحب اليك أن أجزيك من العطاء أم أنجحك بالرسالة الى فتا فقلت إملاء الرسالة

أحب الي فقال ومو حفظ أخف على بار غفلة ما يلجي في الاذان أعمور مو غفلة ما

يخرج من طارف ان ثم كلانه أنف واستحيا يجمع لي بين الرسالة والخزيا فعن

منه بمهميز وبحلت عنه بغنمين ورأيت انى وهف فيها العين بما حزت من

الرسالة والتعنى

المقامة السابعة والعشرون وتعرف بالوبرية

حكى الحارث بن همام قال ملت في ريق زماني الغض الى مجاورة أهل

الوبر لآخذ أخذ نفوسهم الأبية والسنتهم العربية فشمرت تشمير من

لا يألو جهدا وجعلت أضرب في الأرض غورا ونجدا الى أن اقتنيت

مجمة من الراغية وثلة من الثاغية ثم أويت الى عرب أرداء أقيال

وأبناء أقوال وأفعال فأحلوني أمنع جناب وبلوا عني حر كل ناب فبت وبيني

عمرمرم من نعم وما قرع صفاتي سهم الى أن أضللت في ليلة مثيرة الابراد لقحة

غزيرة الدر فلم أجد نفسي بالغاء تطلبها والغاء حبلها على غاربها فقمت

فرسا محضارا واعتقلت لدنا خطارا وسريت ليلتي جمعا أجوب البيدا وأ

فتري كل شجراء ومرداء الى أن نشر الصبح راياته وحيعل الداعي الى

صلاته فنزلت عن متن الركوبة لأداء المكتوبة ثم جلت في صهوتها و

جزت عن شحوتها ولا أرى أثرا الا قفوته ولا نشزا الا علوته ولا واديا

الا جزعته ولا راكبا الا استطلعته وجدي مع ذلك يرتد بي نزرا راجع

وردت صرى الدار زحلت صلة عمي ولعمر مهجتي يزمل غيلان عن مي و
كان يوما أطول من ظل القناة وأحر من دمع المقلات فابتغيت أن أرخ
أكن أشكر من الوفرة واستجم بإلحاد بعد التغوب وعلقت في شعوب
فعجت إلى سرحة كثيفة الأغصان وريقة الأفنان لأغور تحتها إلى المغيب فوالله
فوالله ما استقر وحي نفسي ولا استراح فرسي حتى نظرت الوساخ في مهيئة
سايح ومعه ينتجع نجعتي ويشتر إلى بقعتي فكرهت انعياجه إلى محلي
واستعذت بالله من شر كل مفاجئ ثم تحينت أن يتصدى منشدا أو ينبري آمر
شرا فلما اقترب من سرحتي وكاد يحل بساحتي ألفيته شيخنا السروجي متوشحا
بجرابه ومتصنبا أنفه بجرابه فأنسيت إذ ورد وأنساني ما شرد ثم
استوضحته من أين أثره وكيف عجره وبجره فانشد بديها ولم يقل إيها

نل المستطيع دخيلة أمره — لا عنده كرامة وعزازة
أنا ما يجوب أرض فأرض — وسرور في مفازة فمفازة
زادي الصبر والمطية نعلي — وجهازي الجراب والعكازة
فإذا ما هبطت مصرا فبيتي — غرفة الخان والنديم جزازة
لست ألوي ما أساء إن بات أو أحز — ن إن حاد الزمان ابتزازه
غير أني أبيت خلوا من الهم — ونفسي عن أسى منحازة

أرق

أرقد الليل ملء جفني وقلبي — بارد من حرارة وحزازة
لا أبالي من أي كأس تفوقت — ولا ما ملاحة من مزازة
لا ولا أستجيز أن أجعل الذل — مجازا إلى تسني إجازة
وإذا ما طلبت كسوة حالي — فبعز الغنى روم نجازه
ومتى امتن للدنية نكسي — عاف طبعي طباعه وامتزازه
فالمنايا ولا الدنايا وخير — من ركوب الخنا ركوب الجنازة

ثم رفع إلي طرفه وقال لأمر ما جدع قصير أنفه فأخبرته خبر ناقتي
الشاردة وما عانيته في يومي والبارحة فقال دع الالتفات إلى ما فات
والطماح إلى ما طاح ولا تأس على ما ذهب ولو أنه واد من ذهب ولا تستمل
من مال عن ربعك واضرم نار تباريحك ولو كان ابن بوحك أو شقيق روحك
ثم قال هل لك في أن نقيل ونتحامى القال والقيل فإن الأبدان أنضاء تعب
والهاجرة ذات لهب ولن يصفو الخاطر ويبتهج الباطن كقائلة الهواجر
وخصوصا في شهري ناجر فقلت له ذاك إليك وما أريد أن أشق عليك فلم
فتوسد التراب واضطجع واضطجعت أن نضجع وارتقبت على أن أهجع ولم أكد
أنعس فاخترمتني السنة لما زمت الألسنة فلم أنتبه إلا والليل قد تولج و
النجم قد تبلج ولا الشيخ وجد ولا المسرج فبت بليلة نابغية وأحزان

يعقوبية أساور الوجوم وأسامر النجوم أبحث تارة في رحلتي وأخرى في

رجعتي إلى أن رمتني عند افترار الضوء في وجه الجو راكب يخب في الزي

فألقيت إليه بشكوى ورجيت أن يعرج إلى الشكوى فلم يعبأ بالناعي وكا

د أوى إلى النباعي بأطار على هيئته وأصماني بسهم إهانته فأومضت

إليه لأسترده واحتمل تغطرسه فلما أدركته بعد الأين وأجلت فيه مسرح

الغير وجدت ناقتي مطيته وضالتي لقطته فما كذبت أن أرديته عن سنا

مها وجاذبته عرى زمامها وقلت أنا صاحبها ومضلها وفي رسلها

ونسلها فلا تكن كأشعب فتتعب وتتعب فأخذ يلدغ وينضي ويتنفخ

وأتشجع وبينا هو ينزو وألين ويتشاوس وأستنكر غشينا أبو زيد

لابساً جلد النمر وماجاً مجوم السيل المنهمر فخفت والله أن يكون

يومه كأمسه وبرزه مثل نهسه فألحق بالقارظين وأصبح خبراً بعد عين

فلم أر إلا أن أذكره العهود المنسية والعقلة الأمسية وناشدته الله

أوان البوع للتلاف أم لما فيه إتلافي فقال معاذ الله أن أجمع على

مكلوم أو أصل جرحه بسموم بل وأبيك لا جهم كنه حالكما وأكون

فيما التمالك بحسب عند ذلك جاشي وانجاب استيحاشي فأطلعته

طلع اللقحة وتبرنح صاحبي بالفحمة فنظر إلى نظر الليث الغضبة إلى

العربس

الغضبة ثم أشرع قبله الرمح وأقسم له بمن أنار الصبح لئن لم ينج منجى

الذباب ويرض بالغنيمة بالإياب ليوردن سنانه وريده وليفجعن

به وليده ووديده فنبذ زمام الناقة وحاص وأبلت وله حصاص

فقال لي أبو زيد تسلمها وتسنمها فإنها إحدى الحسنيين وهي أجود من

ويا بين. قال الحارث بن همام فجرت بين لوم أبي زيد وشكره وزنة نفعه بضره

فكأنه توجس بأن خطر ببالي أو تكشف ما خامر سري فقابلني بوجه طليق

وأنشد بلسان ذليق

يا أخي الحامل ضيمي دون إخواني وقومي

إن يكن ساءك أمسي فلقد سرك يومي

فاغتفر ذا لهذا واطرح شكري ولومي

ثم قال إني متهم وأنت منجد فكيف نتفق ثم ولى يفري أديم الأرض

ويكوطر به أيما ركض بما عرفت إذ افتقرت مطيتي وعرفت

لطيتي حتى وصلت إلى رحلتي بعد اللتيا والتي

تفسير ما أودعت هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله ربق زهاء الأوغم يعني أولاد ربيعة وقد يخفف ويقال ربق وقوله أخذ أخذ
نعوتهم [illegible] يعني اقتدى بهم يقال منه أخذ أخذه والإخذة بكسر الهمزة وفتحها والنجمة
نحو المائة من الإبل والثلة القطيع من الغنم وأما غير الإبل والثلة غير الشاء ومنه

فوقهم ماله ثاغيه ولا راغيه اي ماله ناقة ولا شاة. **قوله** ارهات اقيال اي يخلفون الملوك اذا غابوا **قوله** ابناء اقوال اي وصفا. يقال للمنطيق انه ابن اقوال **قوله** يتدثرت
ربما عصفار النذر الوثوب على ظهر الفرس والحمار والجمع الشعر يد العدم وهو ماخوذ من
من العمر العق **قوله** افرد كل شجعاء وفرد الافتراء تتبع طارض والشجعاء ان النجع والمراد
الغالبة من الشبات ومنه اشتقاق داود يغلو وجمعه من الشعر **قوله** يعل الداعي الى الصلاة
يعني به قول المؤذن حي على الصلاة حي على الفلاح والمصدر منه الحيعلة ومثله من المصادر البعلبة
والحوقلة والبسملة والحسبلة والسبحلة والجعفلة والحمدلة فالحيعلة حكاية قول لا الرحل
الله والحوقلة حكاية قول لا حول ولا قوة الا بالله والبسملة حكاية قول بسم الله والحسبلة
قول حسبي الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله والجعفلة حكاية قول جعلت فداك والحمدلة
حكاية قول الحمد لله **قوله** من لقته عن طهي الركوبة يعني المركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة
وحلوبة وقد قرئ فمنها ركوبتهم والصهوة مقعد الفارس والنجوة الخطوة والجمع فصح
النواحي عرضا **قوله** حكة عمي يعني في غابر الضميه وقد اختلف في اطه فقيل كان عمي
رجلا مغوارا يغزو فوما عند غابر الظهيرة وصكهم صكة شديدة فعظ رمثله لكل من جاء في ذلك الوقت
وقيل المراد به الضبي لانه يشتد في الهواجر فيصطك بما يستقبله كما صكه كا عمي ثم صغر
تصغير الترخيم فقيل عمي كما صغر اسود فقيل سويد وزهير **قوله** وكان يوما الطول
من ظل القناة يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف اليوم القصير بابهام القطاة والعرب
تزعم ان ظل القناة اطول ظل ومنه قول الشاعر

وبوم كظل الرمح قصر طوله · دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقوله اجري من مع المغلات معي الثقة لا يعيش له ولد فهو معها ابدا حارة لحزنها لانه
يقال ان في معة الحزن حارة وفي معة السرور باردة ولهذا قيل للمدعو له اقر الله عينه ماخوذ
من القر وهو البرد وقيل المدعو عليه اسخن الله عينه ماخوذ من السخنة وهي الحرارة وقيل ان
اقرار العين ماخوذ من القرار فكانه دعا له ان يرزق ما يقر عينه حتى لا تطمح الى ما لغيره وكانت
الجاهلية تزعم ان المغلات اذا وطيت على قتيل شريف عاش ولدها والى هذا اشار بشر
ابن ابي حازم بقوله · تظل مقاليت النساء يطانه · يقلن الا يلقى على المرء مئزر
قوله علقت في شعوب يعني المنية ولا يدخلها الالف واللام اذا كانت التعريف فيها جلية وعربية **قوله**
اغور تخته اي المغير بان التغوير النزول في القايلة كما ان التعريس النزول في اخر الليل للمسير اي
للاستراحة والمغير بان تصغير مغرب وكان قياس تصغير المغرب الا ان العرب لخففت ذلك
العل ونونا على طريق الشذوذ **وقوله** تضيفا مهجة بجوابه اي ضافا فجعل الشي تحت
حضنه واضطبان ان يجعله تحت ضبنه والضبن ما بين الابط والكشح وكلاهما متقارب
واول مراتب الحمل الابط ثم الحضن وهو اسفل من الكشح وهو عند الجنب والتجراب مصدر
جاب وجميع المصادر التي جاءت على تفعال مفتوحة التاء الا قولهم تبيان وتلقاء لا غير وقال

بعضهم

فـ
على دمعة الحرة ودمعة
السرور في العرف ا... (and similar)
... قول العامة اقر الله عينيك

فـ
قول العامة انه لا يدخلها اداة
التعريف

بعضهم وتنظار من المناظرة **وقوله** عجره وبجره يريد جميع امره الظاهر والباطن واصل
العجر العقد الناتية في العصب والبجر العقد الناتية في البطن **وقوله** ولم يقل في ابي
لم يلومه بالكف يقال للمستقل اداة ولم يستنكف ابي **وقوله** لا برما جزع قصير انفه قصير
معناه من مولى جديمة الابرش وكان جزع انفه بيده حين قتلت الزباء مولاه ثم اتاها
او همها ان عمرو بن عدي بن اخت جديمة هو الذي جزع انفه انها مالت بانه هو الذي غش خاله
جديمة اذ اشار عليه بقصدها فحظي بهذا القول عندها حتى جمعت له الى العراق مرارا
وكان يلتقي بالهدية منه الى ان استصحب في اخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصل الى
قتلها واخذ بثار مولاه منها وقصتها مشهورة **وقوله** ولو كان ابن بوحك يعني به ولد
الظبية ... ولد في باحة الدار وهي عرصته وجمعها بوح وقيل ان البوح هو اسماء الذكر
وقوله ... ناجي معها نشر الحي وقيل انهما حرثان وتموز في الحر ابو بكر بن دريد معنا
العول وقال معنا طلوع نجم **قوله** يبيت بليلة نابغيه اي هي في قول النابغة

يبيت كاني ساورتني ضئيلة · من الرقش في انيابها السم ناقع

قوله المعتف اليه ينوي يعني انثنت اليه يقال مثنه اليه وليع يعني اخر **قوله** بليغ ويجب
مثل يضرب لمن يبطل ويشكو يقال حاث العقرب تجيء حيا وحينا بفتح الفاء وكسرها اذا
صوتت وكذلك الجرح وما احسن قول ابن الرومي في هذا المعنى

تشكي المحب وتشكوا وهي ظالمة · كالقوس تجيء الرماية وهي مرتاب

قوله ينزوا ويلين معنا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال ان الطلة التي بعزوا وهو صغير فاذا كبر
لان **قوله** لا بنا حليلا النمر معنا المثل يضرب للمستفتح الحيي كان النمر اجراء من السبع واقله احتمالا
للضيم ومن معنا الاستنقاق قولهم تنمر ابو طاهر مثل النمر **قوله** فالمخوق بالقارظين الطوق القارظ
انه الذي يجني القرظ وهو النبات الذي يدبغ به والقارظان المشار اليهما احدهما من عنزة والاخر
من النمر بن قاسط وكانا خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غايب
لا يرجى ايابه واليهما اشار ابو ذؤيب في قوله

وحتى يؤوب القارظان كلاهما · وينشر في القتلى كليب لوايل

قوله اطل من درين يسموم الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح الحارة نهارا وقد تقام احدا
مقام الاخرى مجازا وقال بعضهم الحرور يكون ليلا ونهارا والسموم يختص بالنهار **قوله** في العربية
يعني به ماوي السبع يقال عريس وعريسة باثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين
وعرينة بالما القبيل والخيس فلا تلحق الهاء بهما **وقوله** ابلغ ولم حصاص معنا المثل يضرب لمن اخذ
ملكة انشغ عليه بعد ما كاد يموج فيه والحصاص العدو وقيل الضراط فكانه لفزعه يعدو وادا
ويضرط **وقوله** وبل العمرو ويلين معنا المثل يضرب لمن نالته بعض المكروه ومثله قول الشاعر
حنانيك بعض الشر اهون من بعض **وقوله** انا تيق وانت تيق فكيف نتفق معنا المثل يضرب
للمتنافرين والخلق لان التيق هو الممتلي غيظا ومنه قولهم اتيقت الاناء اذا ملاته والتيق السريع

وهو الباكي ويكاد النبيو بنزع الى الشم والغيظ والمبس يضبو ذرعا باحتماله ومثله قول الداخي
اناكلها وانت ظالمه مكيدا تالف قوله لحيته يعني لغصص ووجهتي فتربغا فيه لحبة بالتجفيف
وقوله بعد اللتيا والتي تصغير التي وهو على غير قياس التصغير المطرد لان القياس ان يضم اول
الاسم اذا صغر وقوله سواد اصحه على فتحته لاطلبة عند تصغيره لان العرب عوضته عن ضم اوله
بان زادته الفا في اخره وقراءته اسما لاشارة عند تصغيرها على حكمه بقالك في تصغير الذي
والتي اللذيا واللتيا وفي تصغير ذا وذاك ذيا وذياك وقد اختلف في معنى قولهم اللتيا والتي فقيل
هما اسماء الداهية وقيل المراد بهما بعد صغير المكروه وكبيره

المقامة الثامنة والعشرون وتعرف بالسمرقندية

أخبر الحرث بن همام قال استنضيت في بعض أسفاري العنس وقصدت
بها سمرقند وكنت يومئذ قريع الشطاط جموح النشاط أرمي عن قوس
المراح إلى غرض الأفراح وأستعين بماء الشباب على ملاح السراب فوا
فيتها بكرة عروبة بعد أن كابدت الصعوبة فسعيت وما ونيت إلى
أن حصلت البيت فلما نقلت إليه قتبي وملكت قرار عيبتي عجت إلى
الحمام على الأثر فأمطت عني وعثاء السفر وأخذت في غسل الجمعة بالله
ثم بادرت في هيئة الخاشع إلى مسجدها الجامع كي أتبع هدي من يقرب من
الإمام ويقرب أفضل النعام فحظيت بأن جليت في الحلبة وتخيرت المركز
لاستماع الخطبة ولم يزل الناس يدخلون في دين الله أفواجا ويردون
أفرادا وأزواجا حتى اكتظ الجامع بحفله وأطل تساوي الشخص
وظله برز الخطيب في أهبته متهاديا خلف عصبته فارتقى في منبر

الدعوة إلى أن مثل بالذروة فسلم مشيرا باليمين ثم جلس حتى ختم نظم
التأذين ثم قام وقال الحمد لله الممدوح الأسماء المحمود الآلاء الواسع
العطاء المدعو لحسم اللأواء مالك الأمم ومصور الرمم وأهل السماح
والكرم ومهلك عاد وإرم أدرك كل سر علمه ووسع كل مصر حلمه
وعم كل عالم طوله وهد كل مارد حوله أحمده حمد موحد مسلم و
أدعوه دعاء مؤمل مسلم وهو الله لا إله إلا هو الواحد الأحد العادل
الصمد لا ولد له ولا والد ولا رادء له ولا مساعد أرسل محمدا للإسلام ممهدا
وللملة موطدا ولأدلة الرسل مؤكدا وللأسود والأحمر مسددا وصل الأر
حام وعلم الأحكام ووسم الحلال والحرام ورسم الإحلال والإحرام كرم
الله محله وكمل السلام والصلاة له ورحم آله الكرماء وأهله الرحماء ما همر
ركام وسح حمام وسرح سوام وسطا حسام اعملوا رحمكم الله
عمل الصلحاء واكدحوا لمعادكم كدح الأصحاء واردعوا أهواءكم ردع الأعداء
وأعدوا للرحلة إعداد السعداء وادرعوا حلل الورع وداووا علل الطمع
وسووا أود العمل وعاصوا وساوس الأمل وصوروا لأوهامكم حول الأحوال
وحلول الأهوال ومساورة الإعلال ومصارمة المال والآل وادكروا الحمام
وسكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه واللحد ووحدة مودعه والملك

وروعه سؤاله ومطلعه والمحل الرمس ولؤم كره وسوء محاله ومكره
كم طمس معلما وأمر مطعما وطحطح عرمرما ودمر ملكا مكرما همه
سد المسامع وسح المدامع وإكداء المطامع وإرداء المسمع والسامع عم
حكمه الملوك والرعاع والمسود والمطاع والمحسود والحاسد والحاسر والأسا
ود والأسد ما مول الآمال وعكس ما أمل ولا وصل الآمال وطال وكلم الأوطال
ولا أسى الأوساء ولؤم ولا أسا ولا أصح الأملد ولا الداء وروع له ودا الله الله
رعاكم الله إلام مداومة اللهو ومواصلة السهو وهول الإصرار وحمل
الأوطار والطراح كلام الحكماء ومعاداة إله السماء أما الهرم حصادكم و
المدر مهادكم أما الحمام موردكم والصراط مسلككم أما الساعة مو
عدكم والساهرة موردكم أما أهوال الحاطمة لكم مرصدة أما دار العصاة
الحطمة الموصدة حارسهم مالك وروادهم حالك وطعامهم السموم و
مراوهم السموم وما لهم المهل وما وراءهم الموت لا مال أسعدهم ولا ولد
ولا عدد حماهم ولا عدد ألا رحم الله امرءا أملك هواه ولأم مسالك الهدى
وأحكم طاعة مولاه وكد لروح مأواه وعمل ما دام العمر مطاوعا والدهر
موادعا والصحة كاملة والسلامة حاصلة وإلا دهمه عدم المرام وحصل
الكلام وإلمام الآلام وحموم الحمام ومعدوم الحواس ومراسم الأرماس

وأما لها حصرة المها مدكر وأمرها سرمد وما رسها مكرم ما لسو
لهمه حاسم ولا لسرمه راحم ولا له مما عراه عاصم ألهمكم الله أحمد
الإلهام وردّاكم رداء الإكرام وأحلكم دار السلام وأسأله الرحمة لكم
ولأهل ملة الإسلام وهو أسمح الكرام والمسلم والسلام. قال الحارث
ابن همام فلما رأيت الخطبة نخبة بلا سقط وعروسا بغير نقط د-
دعاني الإعجاب بنظمها العجيب إلى استجلاء وجه الخطيب فأخذت
أتوسمه جدا وأقلب الطرف فيه مجدا إلى أن وضح لي بصدق العلامات أنه
شيخنا ذو المقامات ولم يكن بد من الصمت في ذلك الوقت فأمسكت
حتى تحلل من المحضر وحل لي الانتشار في الأرض ثم واجهت تلقاءه وابتدرت
لقاءه فلما لحظني خف في القيام وأحفى في الإكرام ثم استصحبني إلى داره
وأودعني خطائر أسراره وحين انتشر جناح الظلام وحان هجعات المنام
أحضر أباريق المدام معكومة بالفدام فقلت أتحسوها أمام النوم وأنت
إمام القوم فقال مه أنا بالنهار خطيب وبالليل أطيب فقلت له والله ما أدري
أأعجب من تسليك عن ناسك وسفط راسك أم من خطابتك مع أدنا
س كأسك فأشاح بوجهه عني

ثم قال اسمع مني

لا تبك إلفا نأى ولا دارا ... ودر مع الدهر كيفما دارا

واتخذ الناس كلهم سكنا ... ومثل الأرض كلها دارا

واصبر على خلق من تعاشره ... وداره فاللبيب من دارى

ولا تضع فرصة الزمان فما ... تدري أيوما تعيش أم دارا

واعلم بأن المنون جائلة ... وقد أدارت على الورى دارا

وأقسمت لا تزال قانصة ... ما كر عصر الحيا وما دارا

فكيف يرجو النجاة من شرك ... لم ينج منه كسرى ولا دارا

قال فلما اغتورتنا الكؤوس وطربت النفوس جرعني اليمين الغموس أن أخفط عليه مغزى الناموس فاتبعت مرامه ورعيت ذمامه وأنزلته بين المها منزلة الفضيل وسرلنا الزنابيل على مخارق الليل ولم يزل ذلك دابه ودابي إلى أن تهيا إيابي فودعته وهو مصر على التدليس وممن حسو الخندريس

المقامة التاسعة والعشرون وتعرف بالواسطية

حكى الحارث بن همام قال ألجأني حكم دهر قاسط إلى أن أنتجع أرض واسط فقصدتها وأنا لا أعرف بها سكنا ولا أملك فيها مسكنا ولما حللتها حلول الحوت بالبيدا والشعرة البيضاء في اللمة السودا قادني الحظ الناقص والجد الناكص إلى خان ينزله شذاذ

الآفاق وأخلاط الرفاق وهو لنظافة مكانه وظرافة سكانه يرغب الغريب في إيطانه وينسيه هوى أوطانه فاستعهدت منها حجرة ولم أنابذ في الأجرة فما كان إلا كلمح طرف أو خطفة حرف حتى سمعت جاري بين بيت يقول لنزيل في البيت قم يا بني لا قعد جدك ولا فاض خطك واستصحب ذا الوجه البدري والنور الدري والأرج العطري والجسم الشقري الذي قبض ونشر وسجر وشهر وسعى وبطن وأدخل النار بعدما ألجم ثم أركض في السوق ركض المشوق فقابض به اللامع الملمع المقمر المطلع المكمم المبرج المعنى المروح ذا الريب المخروق والجبين المشقوق والعقد المقنع والنبل المصنع الذي إذا طرق رعد وبرق وباح بالخرز ونفثه في الخروق **قال الراوي** فلما فهمت شقشقة الهادر ولم يبن لي صدر الصادر برزت لتمييز ما معه أنيس من أبتي عضلة تلعب بالعقول وتغري بالرحول عن الفضول فانطلقت في إثر الغلام لأخبر مجرى الكلام فلم يزل يسعى سعي العفاريت ويتفقد نطائف الحوانيت حتى انتهى عند أن راح إلى مجاورة القداح فناول بائعها رغيفا وتناول منه حجر الحيا فعجبت من فطانة المرسل والمرسل وعلمت أنه أنفاس وحية وإن لم أسل وما كذبت أن بادرت إلى الخان مهطلو العنان لا نظر كنه

فبينا وهل من صرح التكهن شخص فإذا أنا بالفراسة فارس وأبو
زيد بن صيد الغار جالس فتهادينا بشرى الالتقاء وتقارضنا تحية أل
هدفاء ثم قال ما الذي نابك حتى زايلت جنابك فقلت دهر معاض و
جور باض فقال والذي أنزل المطر من الغمام وأخرج الثمر من الأكمام
لقد بسر ان ما زعم العزاب وعدم المعوان في الله المستعان
فكيف أبلت وعلى أي وصفيك أجفلت فقلت اتخذت البر فيطا
وإذ نجت فيه خبيطا فاطرق ينكث في الأرض ويبكي في ارتياد
الجرض والقرض ثم امتطى مطية مركبه فنض أو برق له برض فقال
قد علق بقلبي أن تطامن بالسواجد خطه ويربش جناح بقلت فكيف
الجمع بين غل وقل ومن ذا الذي يرغب في ضأبي ظل فقال أنا المشير بها والبك
والوكيل لك وعليك مع أن دين القوم جبر الكسير وبذل اليسير واختيار
العشير واستصلاح المشير الا أنهم لو خطب اليهم ابراهيم بن ادهم أو جبلة
ابن الأيهم لما زوجوه الا على خمسمائة درهم اقتداء بما مهر به رسول الله صلى
الله عليه وسلم زوجاته وعقد به انكحة بناته على أنك لن تهاب بصداق
ولا تلجأ الى طلاق ثم إذ ساخطب في موقف عقدك وجمع حشدك خطبة
لم تعتور توشيع ولا خطب بمثلها في جمع. قال الحارث بن همام فازدهاني

بوصف الخطبة المتلوة دون الخطبة المجلوة حتى قلت له قد وكلت اليك هذا
الخطب بزمه وتدبيره من طب لمن حب فنهض مهرولا ثم عاد متهللا فقال أبشر
باعتاب الزمن واجتلاب الرزق مفر وليت العقد وأكملت النقد وكان
قد ثم أخذ في مواعدة أهل الحي واعداد حلواء الحي فلما مر الليل الهنا
به واغلق كل ذي باب بابه أذن في الجماعة الا احضروا في هذه الساعة
فلم يبق منهم الا من لبى صوته وحضر بيته فلما اصطف الدنية واجتمع
الشاهد والمشهود عليه جعل يرمق الاصطرلاب ويضعه ويلحظ النجو
م ويدعه إلى أن نعس القوم وغشي النوم فقلت له يا هذا اضع العافر في
الزمان وخلق الناس فنظر نظرة في النجوم ثم انتشط من عقلة الوجوم و
أقسم بالطور وكتاب مسطور ليكشفن سر هذا الأمر المستور وليمنعن
ذكره الى يوم النشور ثم انه جثى على ركبتيه واستدعى الاستماع لخطبته
وقال الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصور كل مولود
ومآل كل مطرود ساطح المهاد وموطد الأطواد ومرسل الأمطار
ومسهل الأوطار عالم الأسرار ومدركها ومدمر الأملاك ومهلكها
ومكور الدهور ومكررها ومورد الأمور ومصدرها عم سماحه وكمل
ومطل ركامه وهمل وطاوع السؤال والأمل وأوسع المرمل والأرمل

أحمده حمداً مسدداً أمداه وأوحده كما وحده الأواه وهو الله
لا إله للأمم سواه ولا صادع لما عدله وسواه أرسل محمداً عليه السلام
علماً للإسلام وإماماً للحكام ومسدداً للرعاع ومعطلاً أحكام ود و
سواع أعلم وعلّم وأحكم وحكم وأصّل الأصول ومهّد وأكّد الوعود
وأوعد واصل الله له الإكرام وأودع روحه السلام ورحم آله وأهله
الكرام ما لمع آل وملع رال وطلع هلال وسمع إهلال اعملوا
رحمكم الله أصلح الأعمال واسلكوا مسالك الحلال واطرحوا الحرام ودعوه
واسمعوا أمر الله وعوه وصلوا الأرحام وراعوها وعاصوا الأ
هواء واردعوها وصاهروا أهل الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو
والطمع ومصاهركم أطهر الأحرار مولداً وأسراهم سؤدداً وأحلاهم مو
رداً وأصحهم موعداً وها هو أمّكم وحلّ حرمكم مملكاً عروسكم المكرمة
وماهراً لها كما مهر رسول الله أم سلمة وهو أكرم صهر أودع الأولاد و
ملك ما أراد وما سها مملكه ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم أسأل
الله لكم إحماد وصاله ودوام إسعاده وألهم كلاً إصلاح حاله والإ
عداد لمعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله محمد فلما فرغ من
خطبته البديعة النظام العرية عن الإعجام عقد العقد على الخمس المئين

وقال لي بالرفاء والبنين ثم أحضر الحلواء التي كان أعدها وأبرى الأبردة
عن عهدها فأقبلت إقبال الجماعة عليها وكرت أفواههم إليها فزجرني
عن المواكلة وانتضى للمنازلة فوالله ما كان بأسرع من تصافح الأجفان
حتى خر القوم للأذقان فلما رأيتهم كأعجاز نخل خاوية أو صرعى بنت حا
نة علمت أنها أخت البنج وأم العنج فقلت له يا عدي نفسه و
عبد فلسه أعددت للقوم حلواء أم بلواء فقال لم أعد خبيص البنج في صحا
ف الخلنج فقلت أقسم بمن أطلع زهراً ومهد بها الساري لقد جئت
شيئاً نكراً وأبقيت لنا في المخزيات ذكراً ثم حرت وكره في صور أمره وخيفة
من عدوى عره حتى كادت نفسي تشعاع وأرعدت فرائصي ارتياعاً فلما رأى
استطارة روعي واستشاطة قلقي قال لي ما معنى العكس المرمض وارتياع المر
مض بأن تكرع وكربي في أجلي من أجلي بأن الآن أرتع والحقي وأفرى بفروة
البغية مني وأفتح وكم مثلها فارقتها وهي تصيح وإن تكن تطلب النفسة
وحزر أن قد بسطت فتناً وبطالة الخبيص وطب نفساً عن القميص حتى نامن
المستعرى والمعرى ويتمقل لك المقام من بعرته والآن فالمرء
فبلوان تسعب ونجم ثم عاد لاستخراج ما في البيوت من الأكياس والتخوت
وجعل يستخلص خلاصة كل مخزون ونخبة كل مصنوع وموزون

حتى غادر ما ألفاه نخبة كعصف استخرج حبّه فلما نقى ما اصطفاه
وزمّ وشمّر عن ذراعيه وتحزّم أقبل عليّ إقبال من لبس الصفاقة وخلع
الصدق والصداقة وقال من لي في المطاحنة الى البطيحة لا طلبا باخرى
مليحة بأقسمت له بالذي جعله مباركا أينما كان ولم يجعله من خارج
خان إنه لا أقبل في بنكاح حرتين ومعاشرة ضرتين ثم ملت له ميل المتطبع
بطباعة الكابل له بطاعة فنه كعيني الأولى نجزا فالطلب أخي للأخرى
فتبسم من كلامي ودلف الي التزامي فلويت عنه عذاري وأبديت له ازوراري
فلما بعي بانقباضي وتجلّا له إعراضي **أنشد**

يا طارقا يبغي المودة وان مار له صروف
ومعنعي في بعض ما حاورت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما أنيت فإنني بهم عروف
ولقد نزلت بمن فلم أر منهم إلا عون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف
ما فيهم إلا مخيف ان تنكر أو مخوف
لا بالضعيف ولا القوي ولا الخفي ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذيب الضري على الخروف
وتركتهم صرعى كأنهم سقوا ماء الحتوف
وتحكمت فيما اقتسوه يدي ومن رغم الانوف
ثم انثنيت بمغنم حلو المجاني والقطوف
ولطالما خلفت مكلوم الحشا خلفي يطوف
وورثت أرباب الزرانق والأرايك والسجوف
ولكم بلغت بحيلتي ما ليس يبلغ بالسيوف
ووقفت في هول تراع الأسد فيه من الوقوف
ولكم سفكت وكم فتكت وكم هتكت حما انوف
وكم ارتكاض من بني في الزنوب وكم خفوف
لكنني أعددت حسن الظن بالمولى الرؤوف

قال فلما انتهى الرمز الى البيت لج في الاستعبار وألحف بالاستغفار
حتى استمال رضى قلبي المنحرف ورجوت له ما يرجى للمعترف بالمعترف ثم إنه
عبق دمعه المنهمل وتأبط جرابه واستهل وقال لابنه احتمل البان والله
للواقي **قال المخبر** بهذه الحكاية فلما رأيت انسيابه انسياب الحية
والحية وانتهاء الداء الى الكية علمت أن تربتي بالغار تخلية للهوان
فضممت رحلي وجمعت للرحلة ذيلي وبت ليلتي أسري الى الحبيب -ه

وأحتسب الله عن الخطيب

المقامة الثلاثون وتعرف بالصورية

حكى الحرث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور إلى بلد صور فلما
حصلت بها ذا رفعة وخفض ومالك رفع وخفض تقت إلى مصر توقان
السقيم إلى الأساة والكريم إلى المواساة فرفضت علائق الإستقامة
ونفضت عوائق المقامة واعروريت حنف ابن النعامة وأجفلت نحوها
إجفال النعامة فلما دخلتها بعد معاناة الأين ومداناة الحين كلفت
بها كلف النشوان بالاصطباح والحيران بتنفس الصباح فبينا أنا يوما
بعطف أطوف وتحتي فرس قطوف إذ رأيت على جرد من الخيل عصبة
كمصابيح الليل فسألت لانتجاع النزهة عن العصبة والوجهة فقيل
أما القوم فشهود وأما المقصد فإملاك مشهود فحفزتني هزة النشاط
إلى أن سرت مع الفراط لأفوز بحلاوة اللقاط وأحوز حلواء السماط فأ
فضينا بعد مكابدة العناء إلى دار رحيبة البنا واسعة الفنا تشهد
لبانيها بالثراء والسنا فلما نزلنا عن صهوات الخيول وتقدمنا لافتراع
الدخول رأيت دهليزها مجللا بالأطمار مخرقة ومكللا بمخارق معلقة و
مناد شيخ على قطيفة بموذكة لحفة قد ابتنى عنوان الصحيفة

ومرءا أمرده البزعة الخزبعة ودعا التطيير بتلك المناحس الأول
عمرت لزلوك الجالس بعزمت عليه بمعرض الأفراز لبعج بعي من رب
هذه الدار بعنان ما لها مالك معتبر ولا صاحب مبين إنما هي مخطبة
المغيبين والمرزدزين وبهجة المتشقشقين والمجلوزين فغلت في
نفسي إنا لله على طائر المشغق وإفحال المرعى وهممت في الحال بالر
جعى لكني استهجنت العود من فوره والقهقرى دون غيره فولجت
الدار متجرعا الغصص كما يلج العصفور القفص فإذا فيها أرائك منقوشة
وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفة وسجوف مرصوفة وقد أقبل المملك
يميس في بردته ويتبهنس بين حفدته بخير حلم كأنه ابن ماء السماء نا
دى مناد من قبل الأحما وحرمة ساسان أستاذ الأستاذين وقدوة الشحا
ذين لا عقد هذا العقد المبجل في ذا اليوم الأغر المحجل إلا الذي جال وجاب
وشب في الكربة وشاب فأعجب رهط القوم ما أشاروا إليه وأذنوا
في احتفار المنصوص عليه فبرز حبنبز شيخ قد أمال الملوان قامته ونور
القتيار ثغامته فتباشرت الجماعة بإقباله وتبادرت إلى استقباله
فلما جلس على زربيته وسكنت الضوضاء لهيبته ازدلف إلى مسنده
ومسح سبلته بيده ثم قال الحمد لله المتفرد بالإفضال المتنزع

خطبة

للنوال المندوب إليه بالسؤال الذي شرع الزكاة في الأموال وزجر
عن نهر السؤال وندب إلى مواساة المضطر وأمر بإطعام القانع و
المعتر ووصف عباده المتقين في كتابه المبين فقال وهو أصدق القائلين
والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم **أحمده** على ما زوى من
طعمة هنية وأعوذ به من استماع دعوة بلا نية وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده كاشف بلاه إلها يجزي المتصدقين والمتصدقات ويمحق الربوا
ويربي الصدقات وأشهد أن محمدا عبده الرحيم ورسوله الكريم ابتعثه
لينسخ بنوره الظلمة بالضيا وينتصف للفقراء من الأغنيا فبر صلى الله
عليه بالمساكين وخفض جناحه للمستكين وفرض الحقوق في أموال المث
رين وبين ما يجب للمقلين على المكثرين صلى الله عليه وسلم صلاة تحظيه
بالزلفة وعلى أصحابه وأصحابه أهل الصفة **أما بعد** فإن الله تعالى
شرع النكاح لتتعففوا وسن التناسل لكي تتضاعفوا فقال سبحانه
لتعرفوا يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبا
ئل لتعارفوا وهذا أبو الزوار وولاج بن خراج ذو الوجه الوقاح
والإفك الصراح والعرب والصياح والإبرام والإلحاح يخطب سليطة
أمثلها وشر بطة بعلها فيبسر ابنت أبي العنبس لما بلغه من انتخابها

بإنجابها

بإنجابها وإيرابها في استجابها وانكماشها على معاشها وانتعا
شها عند هراشها وقد بذل لها من الصداق شلاقا وعكازا وصفا عا
وكرازا فأنكحوه إنكاح مثله وطوا حبلكم بحبله وإن خفتم عيلة ف
سوف يغنيكم الله من فضله أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم و
أسأله أن يكثر في المحاصب شملكم ويجري من المعاطب سلكم **فلما**
فرغ الشيخ من خطبته وأبرم للختن عقد خطبته تساقط من النثار
ما استغرق حد الإكثار وأغرى الشحيح بالإيثار ثم نهض الشيخ يجر ذلا
دله ويقدم أراذله **قال الحارث بن همام** فاتبعته لأنظر عرجة القوم
وأكمل بهجة اليوم فعاج بهم إلى سماط رتبت طهاته وتناصفت في
الحسن جهاته فجبر ربع كل شخص في ربضته وطفق يرتع في روضته
انسللت من الصف وفررت من الزحف فحانت من الشيخ لفتة إلي ونظرة
فجم بها طرفه علي فقال إلى أين يا بن م وهلا عاشرت معاشرة مس
يه كرم فقلت والذي خلقها طباقا وطبقها إشراقا لا ذقت
لماقا ولا لست رفاقا أو تخبرني ذا أين مدرب صباك ومن أين مهب ص
باك فتنفس الصعداء مرارا وأرسل البكاء مدرارا حتى إذا ا
ستنزف الدمع واستنصت الجمع قال اسمع

منشئي أرض سروج وبها كنت أموج
بلدة يوجد فيها كل شيء ويروج
وردها من سلسبيل وصحاريها مروج
وبنوها ومغانيهم نجوم وبروج
حبذا نفحة رياها ومرآها البهيج
وأزاهير رباها حين تنجاب الثلوج
حبذا نفحة رياها ومرآها البهيج
من رآها قال مرسى جنة الدنيا سروج
ولمن ينزح عنها زفرات ونشيج
مثل ما لاقيت مذ زحزحني عنها العلوج
عبرة تهمي وشجو كلما فاه يهيج
وهموم كل يوم خطبها خطب مريج
ومساع في التجي فاترات الحظ عوج
ليت يومي حم لما حم لي منها الخروج

قال فلما تبينت بلده ووعيت ما أنشده أيقنت أنه علامتنا أبو زيد وإن كان الهرم أوثقه بقيد فبادرت إلى مصافحته واغتنمت

مواكلته

مواكلته من صحفته وظلت مدة مقامي بمصر أعشو إلى شواظه وأ
حتشو أصداف سمعي من درر ألفاظه إلى أن نعب بيننا غراب البين ففارقته
مفارقة الجفن للعين

المقامة الحادية والثلاثون وتعرف بالرملية

حكى الحرث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب وريعان
العيش اللباب أقلي الاكتنان بالغاب وأهوى الإنياد من الاغتراب
لعلمي أن السفر ينتج السفر وينتج الظفر ومعاقرة الوطن تعقر
العصر وتحقر من نضر فأجلت قداح الاستشارة واقتدحت زناد الا
ستخارة ثم استجشت جاشا أثبت من الحجارة وأصعدت إلى سا
حل الشام للتجارة فلما خيمت بالرملة وألقيت بها عصا الرحلة
صادفت بها ركابا تعد للسرى ورحالا تشد إلى أم القرى فعصفت
بي ريح الغرام من صفت نافتي وشددت علقي وعلاقتي

وقلت للائمي أقصر فإني سأختار المقام على المقام
وأنفق ما جمعت بأرض جمع وأسلو بالحطيم عن الحطام

ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية السيل و
إلى الخير جري الخيل فلم نزل بين إخبات وتأويب وإيجاف وتقريب

إلى أن حبسنا أبين المطايا بالتخبة في إيصالنا إلى الجحفة فحللناها
متأهبين للإحرام متباشرين بإدراك المرام فلم يكن إلا أن أنخنا بها الر
كاب وحططنا الحقائب حتى طلع من بين الهضاب شخص ضاحي الإ
هاب وهو ينادي يا أهل هذا النادي هلم إلى ما ينجي يوم التنادي فا
نثال إليه الحجيج وانضموا واحتفوا به وأنصتوا فلما رأى اتباعهم
حوله واستطلاعهم قوله تسنم إحدى الآكام ثم تنحنح مستفتحا
للكلام وقال يا معشر الحجاج النسلين من الفجاج أتعقلون ما توا
جهون وإلى من تتوجهون أم تدرون على من تقدمون وعلام تقدمون
أتخالون أن الحج هو اختيار الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل
وإيقار الزوامل أم تظنون أن النسك هو نضو الأردان وإنضاء الأ
بدان ومفارقة الولدان والتنائي عن البلدان كلا والله بل هو
اجتناب الخطية قبل اجتلاب المطية وإخلاص النية في قصد تلك
البنية وإمحاض الطاعة عند وجدان الاستطاعة وإصلاح المعا
ملات أمام إعمال اليعملات فوالذي شرع المناسك للناسك وأرشد
السالك في الليل الحالك ما ينقي الاغتسال بالذنوب من الانغماس في
الذنوب ولا تجزي تعرية الأجسام بتغطية الأجرام ولا تغني لبسة

الإحرام عن التلبس بالحرام ولا ينفع الإضحاء بالإزار مع الاضطلاع
بالأوزار ولا يجدي التقرب بالحلق مع التقلب في ظلم الخلق ولا يرحض
التنسك بالتعفير دون التمسك بالتقصي ولا يشعر بعرفة غير
أهل المعرفة ولا يزكو بالخيف من يتهب في الحيف ولا يشهد المقام
إلا من استقام ولا يحظى بقبول الحجة من زاغ عن المحجة فرحم الله امرأ
صفا قبل مسعاه إلى الصفا وورد شريعة الرضا قبل شروعه على الأضا
ونزع عن تلبيسه قبل نزع ملبوسه وفاض بمعروفه قبل الإفاضة
من تعريفه ثم رفع عقيرته بصوت أسمع الصم وكاد يزعزع الجبال
الشم

وأنشد

ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجا ... ولا اغتباطك أجمالا وأحداجا
الحج أن تقصد البيت الحرام على ... تجريد حج تقضي به حاجا
وتمتطي كاهل الإنصاف متخذا ... زاد التقى هاديا والحق منهاجا
وأن تواسي ما أوتيت مقدرة ... من مد كفا إلى الجدوى أو احتاجا
فهذه إن حوتها حجة كملت ... وإن خلا الحج منها كان إخراجا
حسب المرائي بأن غبنا أنهم غرسوا ... وما جنوا ولقوا كدا وإزعاجا
وأنهم حرموا أجرا ومحمدة ... والهم آفا ضحكهم من عاب أو هاجا

أخو ابغ بما تبر به من قرب وجه المهيمن إدلاجا وإخراجا

فليس يخفى على الرحمن خافية إذا أخلص العبد في الطاعات أو داجا

وبادر الموت بالحسنى تقدمها مما يبهته داعي الموت إزعاجا

وافر التواضع خلقا لا تزايله عند الليالي وإن ألبستك التاجا

وانشر لكل خال لاح بارقه وإن تراءى معنون الشيب ثجاجا

ما كل داع بأن عران يطاح له كم قد أصم بنعي بعض من ناجا

وما اللبيب سوى من بات مقتنعا ببلغة يزجي الأيام إزجاجا

فكل كثر الوفر مغبتنه وكل آن إلى البلى وإن هاجا

قال الراوي فلما ألقى عقد الأفهام بسحر الكلام استروحت ريح
أبي زيد وما دبي الارتياح إليه أي مبير فكنت حتى استوعبت بث
حكمته والغرر من أكمته ثم دلفت إليه لأتصفح صفحات محياه وأ
ستشف جوهر حلاه فإذا هو الضالة التي أنشدها والناظم القلادة
التي أنشرها فعانقته عناق اللام للألف ونزلته منزلة البرد
عند الرنف وسألته أن يلازمني فأبى أو يزاملني فنبى وقال إني
في حجتي هذه أن لا أحتقب ولا أعتقب ولا أكتسب ولا أنتسب ولا
أرتقي ولا أرتقي من تنايف ثم ذهب يهرول وغادرني أولول فلم

أزل

أزل أقربه نظري وأود لو يمشي على ناظري حتى توفل آخر الأعواد
ووقف الحجيج بالمرصاد بحيث شاهد إيضاع الركبان في الكثبان
وقع بالبنان على البنان وانبرى ينشد بالبيان

ليس من حج راكبا مثل ساع على قدم

لا ولا خادم الصلا ة كعاص من الخدم

كيف يا قوم يستوي سعي بار ومن هدم

سيقيم المقصو ر غدا مأتم الندم

ويقول الذي نسك ب طوبى لمن خدم

ويبكيا نفسي فرمى طلحا عندي الغرم

واذكر مصرع الجها ل إذا خطبه صدم

وازدري زخرف الحيا ة فموجوداته عدم

وانتدي يعلل القبيح وسجي له ندم

واذ بغيبة بتوبة قبل أن تحلم الأدم

فعسى الله أن يقيلك التشعب الذي اجترم

يوم لا عثرة تقا ل ولا ينفع الندم

ثم قال إنه أغمر عقب لسانه وانطلق لشأنه فما زلت في كل موسم

نزره، ومحي من نشوته، انتقعت بأفقره، واستنجد من بشره فلا
نجدة حتى خلت أن الجن اختطفته أو الأرض استطفته بما كابدت في
مدة الغربة كهول الكربة، ولا منيت في سفرة بمثلها من زمن.

المقامة الثانية والثلاثون وتعرف بالطيبية

حكى الحرث بن همام قال أزمعت حين قضيت مناسك الحج وأقمت
وظائف العج والثج أن أقصد طيبة مع رفقة من بني شيبة لأزور قبر
المصطفى وأخرج من قبيل من حج وجفا فأرجفت بأن السابلة شاغرة
وأن عرب الحرمين متشاجرة فحرت بين إشفاق يثبطني وأ
شواق تنشطني إلى أن ألقي في روعي الاستسلام وتغليب زيارة
قبره عليه السلام فاغتنمت الفجرة وأعددت العدة وسرت
والرفقة لا تلوي على عرجة ولا تثني في تأويب ولا دلجة حتى وافينا
بني حرب وقد آبوا من حرب فأزمعنا أن نفضي إلى اليوم في حلة
القوم فبينما نحن نتخير المناخ ونرود المورد النفاخ إذ رأيناهم
يركضون كأنهم إلى نصب يوفضون فرابنا انثيالهم وسألناهم ما بالهم
فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب فإنهم أعظم لهذا السبب
فقلت لرفقتي ألا نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد من الغي فقالوا

لقد أسمعت إذ دعوت ونصحت وما ألوت ثم نهضنا نتبع الهادي
ونؤم النادي حتى إذا أطللنا عليه واستشرفنا الفقيه المشهور
إليه ألفيناه أبا زيد ذا الشغب والبغي والعوافي والعقر وقد اعتم القفداء
واشتمل الصماء وقعد القرفصاء وأعيان الحي به محتفون وأخلاطهم
عليه ملتفون وهو يقول سلوني عن المعضلات واستوضحوا مني
المشكلات فوالذي فطر السماء وعلم آدم الأسماء إني لفقيه العرب
العرباء وأعلم من تحت الخضراء فتصدى له فتى فتيق اللسان جريء
الجنان وقال إني حاضرت فقهاء الدنيا حتى انتخبت منهم مائة فتيا
فإن كنت ممن يرغب عن بنات غير ويرغب منا في مير فاستمع وأجب
لتقابل بما يجب فقال الله أكبر سيبين المخبر وينكشف السر المضمر
فاصدع بما تؤمر **قال** ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله **قال**
انتقض وضوءه من فعله **قال** فإن توضأ ثم اتكأ البرد **قال**
يجدد الوضوء من بعد **قال** أيجوز الوضوء بما يقذفه الثعبان
قال وهل أنظف منه للعربان **قال** أيمسح المتوضئ أنثييه **قال**
قد ندب إليه ولم يجب عليه **قال** أيستباح ماء الضرير **قال** نعم و
يجتنب ماء البصير **قال** أيحل الصوم في الربيع **قال** يكره ذلك لما

للحرث الشنيع قال أيجب غسل على من أمنى قال كلا ولو ثنى قال
فهل يجب على الجنب غسل فروته قال أجل وغسل إبريته قال فإن أخل
بغسل فليلته قال هو كما لو أخل بغسل راسه قال ما تقول فيمن تيمم ثم رأى
روضا قال يبطل تيممه فليتوضا قال أيجوز أن يسجد الرجل في
العذرة قال نعم وليجانب القذرة قال فهل له السجود على الخلاف
قال لا ولا على أحد الأطراف قال فإن سجد على شماله قال لا بأس بفعاله
قال فهل يجوز السجود على الكراع قال نعم دون الذراع قال أيصلي
على رأس الكلب قال نعم كسائر الهضب قال ما تقول فيمن صلى وعانته
بارزة قال صلاته جائزة قال فإن صلى وعليه صوم قال يعيد ولو صلى
مائة يوم قال أيجوز صلاة حامل القروة قال لا ولو صلى فوق المروة قال
فإن حمل جروا وصلى قال هو كما لو حمل باقلا قال فإن قطر على ثوب المصلي
نجو قال يمضي في صلاته ولا غرو قال أيجوز أن يؤم الرجال مقنع قال
نعم ومدرع قال فإن أمهم من في يده وقف قال يعيدون ولو أنهم ألف
قال فإن أمهم من فخذه بادية قال صلاته وصلاتهم ماضية قال فإن
أمهم الثور الأجم قال صل وخلاك ذم قال فهل يدخل القصر في صلاة الشاهد
قال لا والغائب الشاهد قال أيجوز للمعذور أن يفطر في شهر رمضان

قال

قال ما رخص فيه إلا للصبيان قال فهل يجوز للمعرس أن يأكل فيه قال نعم و
يحل فيه قال فإن أفطر فيه العراة قال لا تنكر عليهم الزوات قال فإن أكل
الصائم بعدما أصبح قال هو أحوط له وأصلح قال فإن عمد لأن أكل الليلة قال
ليستمر للقضاء بلا قال فإن أفطر قبل أن تتوارى البيضاء قال يلزمه والله
القضا قال فإن استشار الصائم الكبد قال أفطر ومن أحل الصيد قال فهل يتيمم
بالخلاج الطالح قال نعم لا بطامي المطالح قال فإن ضحكت المرأة في صومها قال
بطل صوم يومها قال فإن لطم الحجري على ضرتها قال تفطر إذا دخل مضرتها
قال ما يجب في مائة مصباح قال حقتان يا صاح قال فإن ملك عشر خناجر قال
يخرج شاتين ولا يشاجر قال فإن سمح للساعي بخميصة قال يا بشرى له يوم قبيا
منه قال أيستحق حملة الأوزار من الزكاة جزءا قال نعم إذا كانوا غزى قال
أيجوز للحاج أن يعتمر قال لا ولا أن يختمر قال فهل له أن يقتل الشجاع قال نعم
كما يقتل السباع قال فإن قتل زمارة في الحرم قال عليه بدنة من النعم قال
فإن رمى ساق حر فجدله قال يخرج شاة بدله قال فإن قتل أم عوف بعد الإحرام
قال يتصدق بقبضة من الطعام قال أيجب على الحاج استصحاب القارب
قال نعم ليسوقهم إلى المشارب قال فما تقول في الحرام بعد السبت قال فرحل في
ذلك الوقت قال ما تقول في بيع الكميت قال حرام كبيع الميت قال أيجوز

بيع الخل بلحم الجمل قال لا ولا بلحم الحمل قال أيجوز بيع المقربة قال لا و
لا بيع السبية قال ما تقول في بيع العقيقة قال محظور على العقيقة قال
أيجوز بيع الراعي على الراعي قال لا ولا على الساعي قال أيباع الصقر بالتمر
قال لا ومالك الخلق والأمر قال أيشتري المسلم سلب المسلمات قال نعم
ويورث عنه إذا مات قال أيجوز أن يباع الشافع قال ما يجوز من دافعه
قال أيباع الهربذ على ابنه الأصغر قال يكره كبيع المغنم قال أيجوز بيع الـ
جار صبيته قال لا ولكن ليسع صبيته قال فإن اشترى عبدا فبان به
جراح قال ما في رده جناح قال أتثبت الشفعة للشريك في الصحراء قال
لا ولا للشريك في الصقر قال أيحل أن يمنع ماء البئر والخلا قال إن كان في الفلا
فلا قال ما تقول في ميتة الكافر قال حل للمقيم والمسافر قال أيجوز أن يضحى
بالخرف قال نعم وأجدر بالغبرز قال فهل يضحى بالطالق قال نعم ويغلي منها
الطارق قال فإن ضحى مثل خضيرة الغزالة قال شاة لحم بلا محالة قال أيحل
الكسب بالطرق قال نعم كالقمار بلا فرق قال أيسلم القائم على القاعد
قال محظور بما برئ إلا باعر قال أيباع العلاق تحت الربيع قال أحب به
في البقيع قال أيمنع الزمن من قتل العجوز قال معارضته في العجوز لا
تجوز قال أيجوز أن يشتغل الرجل عن عمارة أبيه قال ما يجوز لخامل ولا لنبيه

قال ما تقول في حصر البلية قال أعظم به من خطية قال ما تقول في التعوذة
قال مفتاح التزود قال أيجوز ضرب السعيم قال نعم والحمل على المتشيم
قال أيعق الرجل أباه قال يفعله البر ولا يأباه قال فما تقول فيمن أفقر أخاه
قال أجر أما من خاله قال فإن أعرى ولده قال يا حسن ما اعتمره قال فإن أصلى
مملوكه النار قال لا إثم عليه ولا عار قال أيجوز للمرأة أن تضرب بعلها قال ما
حضر أحد بعلها قال فهل تؤدب المرأة على الخجل قال أجل قال ما تقول فيمن
نحت أثلة أخيه قال آثم ولو أذن له بنيه قال أيجب الختان على صاحب الثور
قال نعم لما مع غابلة الجزور قال فهل له أن يمسح على يد اليتيم قال نعم إذا أن يستعيم
قال فهل يجوز أن يتخذ له ربضا قال لا ولو كان له رضى قال فمتى يباع بزون
السعية قال حين يرى له الخلة بيه قال فهل يجوز له أن يبتاع له حشا قال
نعم إذا لم يكن مغشي قال أيجوز أن يكون الحاكم ظالما قال نعم إذا كان عالما
قال أيستقضى من ليست له بصيرة قال نعم إذا حسنت منه السيرة قال
فإن تعرى من العقل قال ذلك عنوان الفضل قال فإن كان له زمن جبار قال
لا إنكار ولا إكبار قال أيجوز أن يكون الشاهد مريبا قال نعم إذا كان أريبا
قال فإن بان أنه لاط قال هو كما لو خاط قال فإن عثر على أنه غل قال
ترد شهادته ولا تقبل قال فإن وضح أنه عاير قال هو وصف له زاين قال

ما يجب على عابر الحق قال يحلف بالله الخالق قال ما تقول فيمن أبقل
عين بلبل عامدًا قال يفقأ عينه قودًا واحدًا قال فإن جرح قطاة امرأة
فماتت قال النفس بالنفس إذا ماتت قال فإن أنفت انحام حنشيشا
مرضية قال ليكفر بالإعتاق من ذنبه قال ما يجب على المجتمع في الشرع
قال القطع لإقامة الردع قال فإن سرق أساود الدار قال يقطع إذا ساوى
ربع دينار قال فإن سرق ثمينًا من ذهب قال لا قطع كما لو غصب
قال فإن بان على المرأة الشرق قال لا حرج عليه ولا فرق قال ابن عقد
نكاح لم يشعره الغوارى قال لا والخالق الباري قال ما تقول في عروس
باتت بليلة حرة ثم ردت في حلم نهارها بسخطه قال يجب لها نصف الصداق
ولا تلزمها عدة الطلاق فقال له السائل لله درك من بحر لا
يغضغضه المائح وحبر لا يبلغ مدحه المادح ثم أحرو الخراق
الحيق وأرم إرمام العيي فقال له أبو زيد إيه يا فتى إلى متى
وإلى متى فقال له إنه لم تبوح كنانتي من مالة ولا تعد أشراق صحيفة
مهارات فبالله أي أبرك رضوانت بما أحسن ما أبنت فأنشد بلسان
ذلق وصوت صهصلق

أنا في العالم مثله ولا في العلم قبله

غنى إذ كل نوع ومن تغرب بين ورحله
والغريب الدار لو حل بطوبى لم تطب له

ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هدي ويفري فاجعلنا ممن يقتدي
ويهدي فساق إليه القوم ذودًا مع فتية وسألوه أن يزور مع القينة
بعد القينة فجعل يميس العود ويرجي الأمة والزود قال الحارث
ابن همام فأعرضته وقلت له عهدي بك سعيها متوفر فيها
مظاهيبه يجول ثم أنشأ يقول

لبست لكل زمان لبوسا ولابست صرفيه نعمى وبوسا
وعاشرت كل جليس بما يلائمه كي يروق الجليسا
فعند الرواة أدير الكلام وعند الثقاة أدير الكؤوسا
بطورًا أبو عظة أسيل الدموع وطورًا بلهوي أسر النفوسا
وأذني المسامع إما نطقت بيانًا يقود الحرون الشموسا
وإن شئت أرعد كفي اليراع فيسامط در إجلى الطروسا
وكم مشكلات حكيت النهى فجاءت بغرس يكشف شموسا
وكم ملح في خلبت العقول وأسارت في كل قلب رسيسا
وعزراء فهت بها فانثنى عليها الثناء طليقًا حبيسا

على أنني من زمانٍ حُصِصتُ بكِبَرٍ وأكبرُ من عمر موسى
يسعى بدي كل يومٍ وغَـــا أطامن لحاها وحبسا وحبسا
ويخرفني بالخطوب التي يزين القوى ويشيب الرؤوسا
ويدني إلى البعيد البغيض ويبعد عني القريب الأنيسا
ولولا خصاصة أخلاقه لما كان حظي منه خسيسا

فقلت له خفف الأحزان وتألم الزمان وانكص عن تقلد مذهب إبليس إلى مذهب ابن إدريس فقال دع النهتار ولا تهتك الأستار وانهض بنا النضب إلى منحدر يثرب فعسى أن نحظى بالمزار ودرك الأوزار فقلت هيهات أن أسهى أو أبغيه التعسيس فقال تالله لقد أوجبت ذمما وطلبت إذ طلبت أمما فهاك ما ينتفع النفس وينفي اللبس فقال لها ازح المعمى وكشف عني الغما شددنا الأكوار وسرت وسار ولم أزل من منطوقه متأنسا بما أسنى من الشفقة ووددت معه بقر الشقة حتى إذا حللنا مدينة الرسول وقد تام الحج بارح بالشوق أشام وأعرقت وغرب وشرق

المقامة الثالثة والثلاثون وتعرف بالتفليسية

أخبر الحرث بن همام قال عاهدت الله مذ نيطت الا أوخر الصلاة ما استطعت فكنت مع جوب الفلوات وعلو الخلوات أراعي أوقات الصلوات وأحاذر من مأثم الفوات وإذا رافقت في رحلة أو حللت بحلة رجحت بقول الداعي إليها واقتديت بمن يحافظ عليها فاتفق أني دخلت تفليس لصلاة مع عصبة مفاليس فلما قضينا الصلاة وأزمعنا الانفلات برز شيخ بادي القحولة بالي الكسوة والقوة فقال عزمت على من خلق من طينة الحرية وتفوح من العصبية إلا ما تكلف لي لبثة واستمع مني نفثة ثم له الخيار من بعد وبيده البذل والرد فعقدوا له الحبى ورسوا أمثال الربا فلما آنس حسن إنصاتهم ورزانة حصاتهم قال يا أولي الأبصار الرامقة والبصائر إن الرائقة أما يغني عن الخبر العيان وينبئ عن النار الدخان شيب لائح وداء واضح والباطن فاضح ولقد كنت والله ممن ملك ومال وولي وولى وأفضل وأنال ورفد ونال ووطل وصال فلم تزل الجوائح تسحت والنوائب تنحت حتى أقوى الوكر وقفر والكف صفر والشعار ضر والعيش مر والصبية يتضاغون من الضوى ويتمنون مصاصة النوى ولم أقم هذا المقام الشائن وأكشف لكم الضر الباطن إلا بعد ما شقيت ولقيت وشبت مما لقيت فليتني لم أك بقيت

ثم تأوّه تأوّه الأسيف وأنشد بصوت ضعيف

أشكو إلى الرحمن سبحانه ... تقلّب الدهر وعدوانه

وحادثات فرعت مروتي ... وقوّضت مجدي وبنيانه

وانتقصت عودي وبأوي الذي ... تهتصر الأيام أغصانه

وأمحلت ربعي حتى خلت ... من بعد انجفال جيرانه

وغادرتني حائرا بائسا ... أكابد الفقر وأشجانه

من بعد ما كنت أخا ثروة ... يسحب بالنعمة أردانه

يختبط العافون أوراقه ... ويحمد الساري نيرانه

فأصبح اليوم كأن لم يكن ... أعانه الدهر الذي عانه

وازورّ من كان له زائرا ... وعاف عافي العرف عرفانه

فهل فتى يحزنه ما جرى ... من ضيم شيخ دهره خانه

فيفرج الهمّ الذي همّه ... ويصلح الشأن الذي شانه

قال الراوي فصبت الجماعة إلى أن تستثبته لتستخبر خبيئته وتستشف حقيقته فقالت له قد عرفنا قدر زنتك ورأينا درّ مزنتك فعرّفنا دوح شعبتك وأخبر الفتاة عن نسبتك فأعرض إعراض من مُني بالإعنات أو بُشّر بالبنات وجعل يلعن الضرورات ويتأفف

من تعنيف الهفوات ثم أنشد بلفظ صادع وجرس خادع

لعمرك ما كل فرع يدل ... جناه اللذيذ على أصله

فكم ما حلا جنى توتيه ... وأنتجت الشهد من نحله

ومن إذا ما اعتصرت الكروم ... سلافة عصرك من خله

لتغلي وتزهو عن خبره ... وتشهى كلا يشرى مثله

فعار على الغصن اللدن عود ... خول الغمير في عقله

قال فأذهل القوم بزكانته ودماثته واختلبهم بحسن أدائه مع دهائه حتى جمعوا له خبايا الخبن وخبايا الثبن وقالوا له يا هذا إنك جثمت على ركبة بكيته وتعرضت لخلبة خلبته بحذره هذه الصبابة ومنيتها حظا وما إصابة فنزل فلهم منزلة الكنز وواصلوه له بالشكر ثم تولى يجر نشفه ويتعب بالخبط طرفه

قال المخبر بهذه الحكاية فصور لي أنه مجيل حلبته متصنع في مشيته فنهضت أقفو منهاجه وأقفو أدراجه وهو يلحظني شزرا ويوسعني هجرا حتى إذا أخلى الطريق وأمكن التحقيق نظر إلي نظر من هش وبش ومحض بعدما غش وقال إنه لا خالد إلا خالا غربه ورأيت ضغنه فهل لك في رجوع فوق يد وبزفو وتنعو

عليها وينفق فقال لي لقد وجدت فاغتبط واستكتم ما زينته
ثم ضحك مليا وتمثل لي بشرا سويا فإذا هو شيخنا السروجي ولا
قلبه بجسمه ولا شبهة في وسمه ففرحت بلقيته وكرهت لعوته
وهممت بملامته على سوء مقامته فشحا فاه وانشد قبل ان افاه

لبست برنسي لكيما يقال ... فقير يرجي اذ ما المرء جا
واظهرت للناس ان قد تلجنت ... فكم نال قلبي بها ما ترجا
ولولا الثلاثة لم يرث لي ... ولولا التعاجج لم الق ملجا

ثم قال انه لم يبق بهذه الارض مرتع ولا في اهلها مطمع فان
كنت الرفيق فالطريق الطريق فسرنا منها مجرين ورافقته عامين
اجرديين وكنت على ان اصحبه ما عشت فابى الزمن المشت

المقامة الرابعة والثلاثون وتعرف بالزبيدية

حكى الحرث بن همام قال لما جبت البيد الى زبيد صحبني غلام
كنت ربيته الى ان بلغ اشده وثقفته الى ان اكمل رشده و
كان انس باخلاقي وخبر مخالبي ووفاقي فلم يكن يتخطى مرامي ولا
يخطئ في المرامي لا جرم اني قرنته الثالث بصفي واستخلصته
لحضري وسفري فالوى به الزمن المبير حتى ضمنا زبيد فلما

شالت

شالت نعامته وسكنت نعامته بقيت عاما لا اسيغ طعاما ولا
اريغ غلاما حتى لجاتني شوائب الوحدة ومتاعب القومة والقعدة
الى ان اعتاض عن الزند الجمد وارتاد ما فوق سواد من عبد فقصدت من
يبيع العبيد بسوق زبيد فقلت اريد غلاما يعجب اذا قلب ويحمد اذا
جرب وليكن ممن خرجه الاكياس واخرجه الى السوق الافلاس فاعنتهم
كل منهم لطلبي ووثب وبذل تحصيله عن كثب ثم دارت الاهلة دورها
وتقلبت حورها وكورها وما نجم من وعودهم وعد ولا سنح لهم عمرد
فلما رايت النخاسين ناسين او متناسين علمت ان ليس كل من خلق يفري
وان لن يحك جلدي مثل ظفري فرفضت مذهب التفويض وخرجت الى السوق
بالصفر والبيض لاستطرف الغلمان واستشف الاثمان اذ عارضني
رجل قد اختطم بلثام وقبض على زند غلام وقال

من يشتري مني غلاما صنعا ... في خلقه وخلقه قد برعا
بكل ما نيط به مضطلعا ... يشفيك ان قال وان قلت وعى
وان تصبه عثرة يقل لعا ... وان تسمه السعي في النار سعى
وان تطاعنه وان تومارعا ... وان تفقه بطلب نسعى
ولا اجاب مطمعا يردعا ... ولا استجار تيسرا ودعا

وَنمو على الكبير الذي قد جمعا ما جاءه فيه كاذبا وادّعا

وطالما أبدع فيما صنعا وفاق في النظم وفي النثر معا

والله لولا ضنك عيش صرعا وصبية أضحوا عراة جوعا

ما بعته بملء كسرى أجمعا

قال فلما تأملت خلقه القويم وحسنه الصميم خلته من ولدان جنة النعيم وقلت ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ثم استنطقته عن اسمه لا رغبة في علمه بل لأنظر أين فصاحته من صباحته وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق بحلوة ولا مرة ولا فاه فوهة ابن أمة ولا حرة فأضربت عنه صفحا وقلت قبحا للعبيد وشقحا فغار في الضحك وأنجز ثم أنغض إلي رأسه وأنشد

يا من تلهب غيظه أن لم أبح باسمي له ما هكذا من ينصف

إن كان لا يرضيك إلا كشفه فاصخ له أنا يوسف أنا يوسف

ولقد كشفت لك الغطاء فإن تكن فطنا عرفت وما إخالك تعرف

قال فسرّى عني بشعره واستسبى لبي بسحره حتى شريت متاع التحقيق وأنسيت قصة يوسف الصديق ولم يكن لي هم إلا مساومة مولاه فيه واستطلاع طلع الثمن فيه وكنت أحسب أنه سيشتط شزرا إليّ ويغلي السيمة علي فما حلو الحيث حلت



ولا أغتلي بما به اعتلقت بل ما أرى أن العبد إذا زكى ثمنه وخفت مؤونته تبرك به مولاه وانتفع عليه مولاه وإذا لا أوثر تغبيبه إليك بأن أخفف ثمنه عليك فزن ما أنشدته من أرشيت واشكر لي ما حبيت بمعرفته المبلغ في الحال كما ينقد في أن حسّ الغلاء ولم يخطر لي بال أن كل رخيص غال فلما تخففت الصفقة وحقت الفرقة هملت عينا الغلام وانهمرت كدمع الغمام ثم أقبل على صاحبه وقال

لحاك الله هل مثلي يباع لكيما تشبع الكرش الجياع

وهل في شرعة الإنصاف أني أكلف خطة لا تستطاع

وأن أبلى وعي بعد روع ومثلي حين يبلى لا يراع

أما جربتني فخبرت مني نصائح لم يمازجها خداع

وكم أحرزت من ربح كالصبير بعثت وفي حبائلي السباع

ونلت بي المطالب باستقامة مطاوعة وكان بها امتناع

وأي كريمة لم أبل فيها وغنم لم يكن لي فيه باع

وما أبديت في الإبلاغ جرما فيكشف عن مصارمتي القناع

ولم تعثر بحمد الله مني على عيب يكتم أو يذاع

فبأي شناعة عندك بعد عمري كما ابتيعت بمراتبها الضباع

ولم سمحت قرونك باقتطاعي وأن أُشرى كما يُشرى المتاع

وهلّا صنت عرضي عنه صوني حديثك يوم جدّ بنا الوداع

وقلت لمن يساوم بي هزارًا سكابِ فما تُعار ولا تُباع

فما أنا دون ذاك الطِّرف لكن تباعد بون فضل تلك الطباع

على أني سأنشد حين بيعي أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا

قال فلما وعى الشيخ أبياته وعقل مناغاته تنفس الصعداء وبكى حتى أبكا العبرات ثم قال إليّ لأحل هذا الغلام محل ولدي ولم أميزه عن أفلاذ كبدي ولولا خلوّ راحتي وخبوّ مصباحي لما درج عن عشي إلى أن يشيّع نعشي ومذ رأيتَ ما نزل به من لوعة البين والهون مثبت تفعل الحاذ في تسلية قلبه وتسرية كربه بأن تعاهدني فيه على الإقالة متى استقلت وأن تستقلني وإن ثقلت بعد الآثار المنتقاة المدونة عن الثقات من أقال نادمًا بيعته أقال الله عثرته

قال الحارث بن همام فوعزته وغرائز الحيا وجد القلب أشياء وأشيا فاسترني حبيب الغلام إليه وقبّل ما بين عينيه وأنشد

الدمع يرفض من عينيه خفق يدنا النفس ما تلاقي

من حالة الوجد والإشفاق بما تصور امرؤه العـ[illegible]ـاق

وأنني ركائب التلاق بحشر عن الغاد والخلاق

ثم قال استودعتك من مودع المولى وشمر ذيله وولّى فلبث الغلام في زفير وعويل ريثما يقطع مراحل فلما استفاق وكفكف دمعه المهراق قال أتدري لم أعولت وعلام عولت قلت أظن أنه أو هواك مولاي أبكاك فقال أنت لفي واد وأنا في واد ولكم بين مريد ومراد ثم أنشد

لم أبك والله على إلف نزح ولا على فوت نعيم وترح

وإنما مدمع أجفاني سفح على غبي لحظه حين طمح

وزهده حتى نفى وافتضح وصبغ المغشوشة البيض الوضح

وبعد أما ناجده ما يبدا الملح بأنني حر وبيعي لم يبح

إذكار في يوسف معنى قد وضح

قال فتمثلت مقالته في مرآة المراعب ومعرض الملاعب فتطلبت تطلب المحنق وتبرأ من طينة إذ رق مجلسنا في مخاصمة اتصلت بملاكمة وأفضت إلى محاكمة فلما أوضحنا للقاضي الصورة وتلونا عليه السورة قال إلا إن من أنذر فقد أعذر ومن حذر كمن بشر ومن صدق فما فسق وإن فيما شرحتماه لدليلًا على أن هذا الغلام قد تبرعها أرعوتك ونصح لك فيما وعيت فاستذأ بالهدى واكتمه ولم تفد وآتمنه وحذار من اعتلالك فيه والطمع في استرقاقه فإنه حر الأديم غير معرض للتقويم ونز

كان أبوه أحضره أمس قبل أفول الشمس واعترف بأنه من غرائم

إنشائه وأن لا وارث له سواه فقلت للقاضي أو تعرف أباه أخي الآفات

فقال فيصل يحمل أبو زيد الذي جرحه جبار وعند كل ما خولة أخبار وأ

خبار قال فتحرقت حنيني وحوقلت وأمعنت ولكن حيرات الوقت

وأيقنت أن لشامة كان شرك مكيدته وبيت قصيدته فنكست طرفي

وأبيت أن أعامل ملثما ما بقيت ولم أزل أتأوه بحسم صفقتي والاقتطح

بين رفقتي فقال لي القاضي حيرة المتعاظي وحر ارتماضي بإما

ذهب من مالك ما وعظك ولا أجمع البكا من أيقظك باتعظ بما لا بد

وكان أخطأ بك ما أصابك وترك أبرأ مادمعا لتنفي الذكر ودرأ مهما

وتخلو تحلو من ابتلي بصبر وتجلت له العبر فاعتبر فودعته لابسا

ثوب الخجل والحزن بما جاد بالعبر والعبر ونويت مكاشفة أبي زيد

بالهجر ومطارحته يد الرمي فجعلت أتنكب عن ذراه وأتجنب أن أراه

إلى أن غشيني في طريق ضيق فحباني تحية شيق ما زادت على أن عبست

وما بسمت فقال ما لك شمخت بأنفك على العبد فقلت أأنسيت أنك ه

احتلت وختلت وفعلت فعلتك التي فعلت فاضطرد منها

زبنا وأنشد مثلا بينا

يا من برامته صروف توحش ونقم

وغرائب بشر ملا وما تمرد ونفق الأشتهم

ويقول من أخي يباع كما يباع الأدهم

أقصر فما أنا فيه بدعا مثل ما تتوهم

فقد باعت الأسباط قبلي يوسفا وهم هم

نفرا وأقسم بالذي يسري إليها المتهم

والطائفين بها ومن شعث النواصي سهم

ما جئت ذا الموقف المخزي وعندي زمهم

بالعذر أخاذا وكف عنه ملام من لا يعلم

ثم قال أما معذرتي فقد لاحت وأما درهمك فقد طاحت

فإن كان أقنعك ارتجاعي وازورارك عني لفرط شفقتك على عتقي

نفقتك فلست ممن يلسع من جحر مرتين ويبوء على جمرتين وإن كنت

طويت كشحك وأطعت شحك لتستنفدن ما علو باشراكي

فلتشد على عقد البواكي قال الحرث بن همام فاضطررت بلفظه

الخالب وسحره الغالب إلى أن عدت له صفيا وبه حفيا ونبذت

فعلته ظهريا وإن كانت شيئا فريا

المقامة الخامسة والثلاثون تعرف بالشيرازية

روى الحرث بن همام قال مررت في تطوافي بشيراز على ناد
يستوقف المجتاز ولو كان على أوفاز فلم أستطع عن تعريجه ولا
خطت قدمي في تخطيه فعجت إليه لأسبر سرجوهره ولأنظر كيف
ثمرة مزهره فإذا أمثله أفراده والطارئ إليه معاده وبينما نحن في كلم
هي أعذب من الأعاريب وأطيب من حلب العناقيب إذ اختلف بنا
ذو طمرين قد كاد يناهز العمرين فحيا بلسان طليق وأبان عن بلاغة
منطيق ثم احتبى حبوة المتنمرين وقال اجعلنا اللهم من المقتربين
فازدراه القوم لطمرته ونسوا أن المرء بأصغريه وأخذوا يتراعون
مطل الخطاب ويغترفون عودة من الأخطاب ويموتون بكلمة
ولا يبسمون عن بسمة إلى أن شيمه من أبعدهم وخصه بلمع ورأى فيهم مخبر استخف
دما يسمع واستشعر كتابتهم مال يا قوم لو علمتم أن وراء القرام صقر
الغرام لما احتقرتم ذا إخلاق وقلتم ماله من خلاق ثم فجر من ينابيع أ
دبه والنكت والنخب ما جلب به بدائع العجب واستوجب أن يكتب
بذوب الذهب فلما خلب كل خلب وقلب إليه كل قلب نفض الحلبي
حل و تأهب ليذهب فتعلقت الجماعة بذيله وعاقته عن سبيله

وقالت

وقالت له قد أربيتنا ونشر فرحك وأريتنا من نفحك فخبرنا عن بنطك
ويحك ولهاني منسبك وصنعك بصمتك صموت من أفحم ثم أعول حتى
رحم **قال الراوي** فلما رأيت شوب أبي زيد وزوبه وأسلوبه المألوف
وصوبه تأملت الشيخ على سمرة محياه وسهوكة رياه فإذا هو
إياه فكتمت سره كما يكتم الداء الدخيل وسترت مكره وإن لم يكن
بخيل حتى إذا نزع عن إعواله وفزع في عثوره على حالة رمقني بعين
مضحاك وأنشد بلسان متباك

أستغفر الله وأعوانه ... من رطبات أثقلت لهفرية
يا قوم كم من عاتق عانس ... ممدوحة الأوصاف في الأندية
قتلتها لا أتقي وارثا ... يطلب مني قود أو دية
وكلما استزنيت في قتلها ... أحلت في الزنب على الأمضية
ولم تزل نفسي في غيها ... وقتلها الأبكار مستشرية
حتى نهاني الشيب لما برا ... في مفرقي عن تلكم المعصية
فلم أرق مذ شاب فودي دما ... من عاتق يوما ولا مضية
وها أنا اليوم على ما ترى ... في زمن حرفتي المكدية
أرب بالأطمار تغنيها ... وحبها حتى عن الأهوية

ومن على التغليس مخطوبة ... كخطبة الغانية المغنية
وليس يكفيني لتجهيزها ... على ارضى بالزور الامنية
والبر لا تزكو على ردهم ... والارض قفر والسما مصحية
فهل معين لي على نقلها ... محجوبة بالغبنة الملهية
فيغسل الهم بصابونه ... والقلب من افكاره المضنية
ويغتدي مني الثناء الذي ... يضوع رياه مع الادعية

قال فلم يبق في الجماعة الا من نديت له كفه وانباع اليه عرفه فلما نجحت بغيته وكملت منيته صعق بثناء عليهم بصالح وتسنم عرنينا وبارح فتبعته لاعرف ما ريبته خزرة ومن فتاة حجر ثار امره فكان ونثى فيما مثلت له مرامي بان دلف مني وقال اقف عني

فتل مثلي يا صاح نهج المرام ... ليس قتلي بالمضرمي او حسام
ولتجهيزها الى الطاهر والكا ... س فينا من الهزى وسقام
التي عنيت من البكر بنت الكر ... م لا البكر من بنات الكرام
فتبعهم ما قلته ونعم الحكـ ... ـم في التغاضي ان شئت او في الملام

ثم قال انا عزيز وانت رغيد وبيننا بون بعيد ثم ودعني وانطلق ورد
وفي نظرة من خد علق

المقامة السادسة والثلاثون وتعرف بالملطية

حكى الحرث بن همام قال الفيت بملطية مطية البين وحقيبتي ملأى من العين فجعلت همي ايد من الفيت بها عصا تسيار ان اتورد موارد المرح واتصيد شوارد الملح فلم يعن لي بها منظر ولا مسمع ولا خلا مني ملعب ولا مرتع حتى اذا لم يبق لي بها مارب ولا في الثواء بها مرغب عمدت لانفاق الذهب في ابتياع الاهب فلما اكملت الاعتاد ونفيت الزهاب منها او كاد رايت تسعة رهط قد تسنموا ذروة وارتبعوا ربوة وهم ما تنتميهم غير الالحاظ ولا تفهم حلاوة الالفاظ فنحوتهم طلبا للانس بمثافنتهم لا المرام بمنادمتهم وشغفا بما نجتنيه لا برجاجتهم فلما انتظمت عاشرهم واحظيت معاشرهم الفيتهم ابناء علات ونزائع فلوات الا ان لحمة الادب قد الفت شملهم الفة النسب ونسقتهم في الرتب حتى لاحوا مثل كواكب الجوزا وبدوا كالجملة المتناسبة الاجزا فاعجبني اهتزاز البشر واحمدت الطالع الذي اطلعني عليهم وطفقت ابيض في وجوههم مع افراحهم واستشفي بافراحهم كل الا حتى اذ تناشدوا تناشجون المعاوضة الى التحاجي بالمعايضة كقولك اذا عنيت به الكرامات ما مثل النوم بات وانشانا نجلوا السقى

والقمر ونجتني الشوك والثمر وبينا نحن ننتقد القشيب والرث ونستل
السمين والغث طلع علينا شيخ ذهب حبره وسبره وبقي خبره وسبره
فمثل مثول من يسمع وينظر ويلتقط ما ينثر إلى أن نفضنا الأكياس وحصحص
الياس فلما رأى إجبال القرائح وإكداء الماتح والمائح جمع أذياله
وولانا قذاله وقال ما كل سوداء تمرة ولا كل صهباء خمرة فاعتلقنا به
اعتلاق الحرباء بالأعواد وضربنا دونه بالأسداد وقلنا له إن
دواء الشق أن يحاص وإلا فالقصاص القصاص فلا تطمع في أن تخرج
وتتمتع بالفتو وتسرح فلوى عنانه راجعا ثم جثم بمكانه رابضا
وقال أما إذا استثرتموني بالبحث فما أحكم حكم سليمان في الحرث **اعلموا**
يا ذوي الشمائل الأدبية والشمول الذهبية أن وضع الأحاجي لامتحان الألمعية
واستخراج الخبيئة الخفية وشرطها أن تكون ذات مماثلة حقيقية
وألفاظ معنوية ولطيفة أدبية فمتى نافت هذا النمط طاشت السهم
ولم تدخل السبعة ولم أر كحاجيتكم على هذه الجرود وكالمزيف المقبول منها
والمردود فقلنا له صدقت بكل لنا من لبابك وأمض علينا من عبابك
فقال أفعل لئلا يرتاب المبطلون ولا تخرص بي الظنون ثم قال يا ناظورة
القوم وقال اسمع اليوم ولا لوم

يا من سما بذكاء / في الفضل واري الزناد
ماذا يماثل قولي / جوع أمد بزاد

ثم صغا إلى الثاني وأنشد من غير تواني

يا ذا الذي فاق فطنا / ولم يرنه تعيب
ما مثل قول المحاجي / نعم أصابته عيني

ثم لحظ إلى الثالث وأنشد من غير أن يتعابث

يا من نتائج فكره / مثل النقود الجائزه
ما مثل قولك للمزيد / حاجيت صادق جائزه

ثم أتلع الرابع وقال من غير أن يتراجع

أيا مستنبط الغامض من لغز وإضمار
ألا اكشف لي مثل تناول الغد بإفطار

ثم رنا الخامس بحظه وأنشد من درره

يا أيها الألمعي أخو الذكاء المجلي
ما مثل أهمل حلبة بترهيبه وعجل

ثم التفت لقفت السادس وقال من غير أن يلابس

يا من تقصر عن مداه خطا مجاريه وتضعف

يا من إذا الشكل المعمّى جلّته أفكاره الرقيقة
إن قال يوماً لك المحاجي خزتلها ما مثله حقيقة
ثم ثنى جيده إلى الثاني وقال
يا من برا بيانه عن فضله مبينا
ماذا امتثال قولهم حمار وحش زيتنا
ثم أومى إلى الثالث ببعض يده وقال
يا من غدا في فضله وذكائه كالأصمعي
ما مثل قولك للذي حاجاك أنعق تقمع
ثم حملق إلى الرابع وأنشد
يا من إذا ما عويص دجا أنار ظلامه
ماذا يماثل قولي استنشق ريح مرامه
ثم أومض إلى الخامس وقال
يا من تنزّه فهمه عن أن يرى أو بشكا
ما مثل قولك للذي أضحى يحاجي عم هلكا
ثم أقبل على السادس وأنشد
يا أخا الفطنة التي بان فيها كماله

ما مثل قولك للذي أضحى يحاجيه اكفه اكفف
ثم خالج السابع بحاجبيه وأنشد ولم يكترث به
يا من له فطنة تجلّت ورتبة في الذكاء جلّت
بيّن فما زلت ذا بيان ما مثل قولي اشغب أقلت
ثم استنصت الثامن وأنشد ولم يراجع
يا من جرى في فضله مطلولة الأزهار عقه
ما مثل قولك للمحاجي جوده النجا ما اختار بضه
ثم حدج ببصره التاسع وقال ولم ينازع
يا من يشار إليه في الغلب الزكي وفي البراعة
أوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي دس جماعة
قال الراوي فلما انتهى إليّ هز منكبي وأقبل عليّ وقال
يا من له النكت التي يشجي الخصوم بها ويبكت
أنت المبير فقل لنا ما مثل قولك خال اسكت
ثم قال قد أنظرتكم وأمهلتكم وإن شئتم أن أعللكم عللتكم
قال فأجابنا لهب الغلل إلى استنباء العلل فقال لهم كم تستأثر
على تربه وكامن سهمه في أدبه ثم كر على الأول وأنشد ويحك

يامن

سرى بالليل مرة   أي شيء مثله

ثم تحول بوجهه إلى السابع وقال

يا من تحلى بعقل   أفلح في الناس سوقه

لك البيان فبين   ما مثل الخبز فروقه

ثم قصد قصد الثامن وأنشد

يا من تبوأ ذروة   في الفضل فاتت كل ذروة

ما مثل قولك أغر   إني بغا بلوح بغير عروة

ثم ابتسم إلى التاسع وقال

يا من حوى حسن الدراية والبيان بغير شك

ما مثل قولك للمحاجي ذي الذكاء النور ملكي

ثم قبض بجمعه على ردني وقال استمع مني

يا من سما بثقوب ذهنه في المشكلات ونور كوكبه

ماذا امتثال صبيح جحفلة بينه بنانك ندري به

قال الحرث بن همام فلما أطربنا بما سمعناه وطالبنا بكشف معناه قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان ولا لنا بحل هذه العقد يدان فإن أبيت منّنت بطول بشاور نقسبه وبغلب من خيبة حتى هار بذل الماعون علبه

فأقبل حينئذ على الجماعة وقال يا أهل البلاغة والبراعة سأعلمكم ما لم تكونوا تعلمون وإن كنتم أنكم تعلمون فاتركوا عليه الأوعية و روضوا به الأندية ثم أخذ في تفسير ما صقل به الأذهان واستودع معناه الآذان حتى أضحت الأفهام أنور من الشمس والأحكام كأن لم تغن بالأمس ولما هم بالقيام سئل عن المقام فتنفس كما يتنفس المكروب وأنشد

كل شعب لي شعب   وبه ربعي رحب

غير أني بسروج   مستهام القلب صب

هي أرضي البكر والجو الذي منه المهب

وإلى ربضيها الغناء ذو الرأي وفي أصب

ما حلا لي بعدها حلو ولا أعذوذب عذب

قال الراوي فقلت لأصحابي هو أبو زيد السروجي الذي ملحه الأحاجي وأحببت أن أصف لهم حسن توشيته وانقياد الكلام لمشيئته ثم انبعث بإذابته فتطمر وثنا بما فسر فعجبنا مما صنع ولم نر أبرع كعمه

تفسير الأحاجي المودعة في هذه المقامة

أما قوله جوع امرئ أد فمثله هو أميد وأما ضم اصابة عين فمثله هما عين وأما طرف جارية فمثله العاطف وأما ثمانون دل العد دينار فمثله ماديه وأما محل حلية فمثله الغاشية وأما كعب كعب فمثله مه مه وأما التشفي بالك فمثله داخا وأما ما اختار بعضه فمثله اباريقه

لان ابن بيغة من اسماء الضبع وقد نطق به النبي صلى الله عليه وسلم بقال في ابن بيغة ربع العشر واما دهم جماعة بمثله حاجبه واما خال لو اسكت بمثله خالصة لانه اذا انتدبت مظا باا ربعه جاز لك اثبات اليا، وحذبه ساكنة ومتحركة وقد حذف هاهنا حرف العلة كما حذف في الناحية وهو بمعنى اسكت واما قوله خرتلك بمثله ما تيك واما حمار وحش زبنا بمثله من زين لا العير حمار الوحش ومنه الحربة كل الصيد في جوف العير واما قوله انبق تقمع بمثله منتفع لان الطعام ومان بين ومع مقارع ومنت نغم دو واما استشريح سراحه بمثله رحراح لان الحمار ومس استرعا، الراجح زح واما عنه مليكي بمثله صنبور لان الصنبور هو الملكي وهو الغوار وكنية قوما برا واما سرى بالليل قوما بمثله سراحين واما احبب قرونه بمثله مقلاع لان كان طارم ومن يمن يمن واللاع الجبان يقال فلان لاع هاع اذا كان جبانا جزوعا واما اعطار ابن بغا يلوح بغير عروة بمثله اسكوب لان الاسر العكا والام منه اسر والكوب الابريق بغير عروة واما صبير جحفل بمثله مكاشعه لان المكا الصغير قال الله عز وجل وما كان صلاتهم عند البيت الا مكا، وتصدية والاصل في المكا الهمز ولكنه قصر في منزه الناجية في احزه همزة العرا في الناجية وكلا الامرين من قصر الممدود وحذف همزه حلبي. ٥

المقامة السابعة والثلاثون وتعرف بالصعدية

حكى الحرث بن همام قال أصعدت إلى صعدة وأنا ذو شطاط يحكي الصعدة واشتداد ينبري من صعدة فلما رأيت نضرتها وربعت خضرتها سألت عن نخبة من السراة ومعادن الخيرات لأتخذه جذوة في الظلمات ونجدة في الظلامات فنعت لي قاضيها رحيب الباع خصيب الرباع شريف النسب والطباع فلم أزل أتقرب إليه بالإلمام وأتنفق عليه بالإجمام حتى صرت من أصفيائه وسمار بيته وكنت مع انتشار شهرته وانتشاء زنده أستقري مناهج الخصوم وأتبع بين المخصوم منهم والموصوم فبينما القاضي جالس لإنجاز يوم المحفل

الاحتفال

والاحتفال إذ دخل شيخ بالي الرياش بادي الارتعاش فتشبث المحفل بعد نفاد ثم زعم أن له خصما غير منقاد فلم يكن إلا كلحظة شرارة أو وحي إشارة حتى أحضر غلاما كأنه ضرغام فقال الشيخ أيد الله القاضي وعصمه من التغاضي إن ابني هذا كالقلم الرديّ والسيف الصدي يجهل وطأة الانتطاف ويتضع أخلاق الخلاف إن أنزمته أحجم وإن أغريته أعجم وإن أذكيته أخمد ومتوقدته رمد مع أني كفلته مذ دب إلى أن شب وكنت له دانعا من كل حرب فأكبر القاضي ما شكي إليه وأطرق إلى من حوله ثم قال أشهد بالله إن العقوق أحد الثكلين ولرب عقوق أم لا تلغي فقال الغلام وقد أنغضه هذا الكلام والذي نصب القضاة للعدل وملكهم أعنة الفصل والفضل إنه ما دعاني إلا أمنت ولا أدعوا إلا أمنت ولا البر إلا واختصت ولا أوتي الأواضحت إلا أنه كمن يبغي بيض الأنوق ويطلب الكبار من النوق فقال له القاضي وهم أعنته وأمنحركا عنه فقال إنه منذ صحبني الآل ومني بالإمحال يسومني أن أتحطط بالسؤال وأستمطر سحب النوال ليبيض شريه الزغاض ويتجمي من حاله ما انهاض ويركاد حين أخذني من الدرس وعلمني أدب النفس أشرب قلبي أن الحرص متعبة والطمع مغيبة والشح متحمة والمسئلة ملأمة ثم أنشدني من يلوجه وتحت قوانيه

ارض بأدنى العيش واشكر عليه * شكر من القل كثير لديه

وجانب الحرص الذي لم يزل * يحط قدر المترقي إليه

وحام عن عرضك واستبقه * كما يحامي الليث عن لبدتيه

واصبر على ما ناب من فاقة * صبر أولي العزم وأغض عليه

وانز وماء المحيا ولو * خولك المسؤول ما يرتديه

فالحر من إن فريت عيبته * أخفى قذا عينيه عن ناظريه

ومن إذا أخلق ديباجه * لم ير أن يخلق ديباجتيه

قال فعبس الشيخ واكفهر وانبرى على ابنه وهر وقال له مه يا عقق ويا من هو الشجى والشرق وبل أتعلم أمد البطاء وضيق الرضاع لقد تحككت العقرب بالأفعى واستنت الفصال حتى القرعى ثم كأنه ندم على ما فرط من فيه وحرقته المقة على تلافيه فرنا إليه بعين عاطفة وخفض له جناح ملاطف وقال له ويحك يا بني إن من أمر بالقناعة وزجر عن الضراعة من أرباب البضاعة وأولو الكسب بالصناعة فأما ذوو الضرورات فقد استثني بهم في المحظورات وهبك جهلت هذا التأويل ولم يبلغك ما قيل السمنت الذي عارض أباه إذ قال وما حاباه

لاتقعدن

لا تقعدن على ضر ومسغبة * لكي يقال عزيز النفس مصطبر

وانظر بعينيك هل أرض معطلة * من النبات كأرض حفها الشجر

فعد عما يشير الأغبياء به * فأي فضل لعود ما له ثمر

وارحل ركابك عن ربع ظمئت به * إلى الجناب الذي يهمي به المطر

واستنزل الري من در السحاب فإن * بلت يداك به فليهنك الظفر

وإن ردت بما أملت منقصة * عليك فنزد موسى قبل والخضر

قال فلما رأى القاضي تنافي قول الفتى وفعله وتحليه بما ليس من أهله نظر إليه بعين غضبى وقال أتبيعنا مرة وتبتاعنا أخرى أم لي أم لم تبتغض ما تقول وتتلون كما يتلون الغول **فقال** الغلام والذي جعلك مفتاحا للحق وميزانا بين الخلق لقد أنسيت من أبيت وصدى ذهني من صديت على أنه أبو الألباب الفتح والعطاء الشرح ومن يغوص فيستخرج بالعقل وإذا استطعم يقولها **فقال له** القاضي من فيح الخواطر سهم صائب وما كل برق خالب ميمي البروق إذا شمت واستمطرا بما علمت **فلما** تبين للشيخ أن القاضي قد غضب لكلام وأعظم تبخيل جميع الأنام علم أنه سيفضح كلمته ويطفي ذكر ومنه بما كذب أن نصب شبكته وشوى في الجحيم سمكته وأنشأ يقول

يا أيها القاضي الذي علمه ... وحلمه أربى على رضوى

فرادي عن معزى عن حمله ... أو ليس في الرتبة أحرى وأولى

وما درى أنك من معشر ... عطاؤهم كالمن والسلوى

تجود بالتنبيه منهم بما ... مما اقتنى من مركز الجدوى

وانثني جذلان أثني بما ... أوليت من جدوى ومن عدوى

قال فهش القاضي لقوله واحتمل له من هوله ثم لفت وجهه إلى الغلام ونضح له أسهم الملام وقال له أرأيت بطن نعمة وخلا بنفسه فلا تعجل بعد ما يوم ولا تنحت عود أمثل مجحم وإياك وتأبيك عن طاعة أبيك فإنك إن عققته حاق بك لومي ما تستحقه بسفه الفتى في برة وكان يجفو والده ثم نهض الفتى يحفز وتبعه الشيخ ينشد

مرضاته أو طار ذو مغره ... فليغفر القاضي صغره

سماحه أزرى بمن نيله ... وعزله أتعب من بعده

قال الراوي فعجبت من تغربه الشيخ وتنكيره إلى أن اخرورم المسيه فناجيت النفس باتباعه ولزوم رباعه علي أحضى على أسراره أو أغرف شجرة ناره فبرزت الغلق وانطلقت حين انطلق ولم يزل يحث وأعنف وبعد وأقرب إلى أن تراءا الشخصان وحق الشعار على القلعان

جا بري

فأبرى حينئذ الانتعاش ورفع الابن انتعاش وقال من كاذب أخاله فلا عاش من يعرف عند أبان أنه الشيخ وجن بلا محالة وأخو احتاله فبادرت إليه لاطيفه واستعرف ساحة وبارحة فجعل يحيط ونظر ابن أجنبا البر وزكي ومن بلد بقر الفتى أو أقبيه ثم قرر كلام من بعد ومن التثبت عينهما وأراهما

المقامة الثامنة والثلاثون وتعرف بالمروية

حكى الحارث بن همام قال حبب إلي مذ سعت قدمي ونفث قلمي أن أتخذ الأدب شرعة والاقتباس منه نجعة وكنت أنقب عن أخياره وحفظة أسراره فإذا ألفيت منهم بغية الملتمس وجذوة المقتبس شددت يدي بغرزه واستنزلت منه زكاة كنزه على أني لم ألق كالسروجي في غزارة الأدب ووضع الهناء مواضع النقب إلا أنه كان أسير من المثل وأسرع من القمر في النقل وكنت لهوى لقيانه واستحلاء مقاماته أرغب في الاغتراب وأستعذب الشهد الذي يرتضعه من العذاب فلما تطوحت الإمرة بالغربة وتقشى بالغداة زهر الخصيب والعال الذي يتوسم بي الخصيب فلم أزل أنشده في المحافل وعند تلقي القوافل فلا أجد عنه مخبرا ولا أرى له أثرا حتى غلبه البادئ الطمع وانزوى التأميل وانقطع فإني لذات يوم بحضرة والي مرو وكان ممن جمع الفضل والسرو إذ طلع أبو زيد في

خلو مملاق وخلو ملاق فحيا الوالي تحية المحتاج إذا لقي رب التاج
ثم قال له اعلم وقيت الذم وكفيت الهم أن من عرفت به الأعمال علقت
به الآمال ومن رفعت له الدرجات رفعت إليه الحاجات وإن السعيد من إذا
من وواتاه القدر أدى زكاة النعم كما تؤدى زكاة النعم لا مثل الغرم كما
يلتزم لأمثال الحرم وقد أصبحت بحمد الله عميد مصرك وعماد عصرك
ترجى أن كأبيك إلى حرمك وترجو أن غايبك من كرمك وتنزل المطالب
بساحتك وتستنزل الراحة من راحتك وكان فضل الله عليك عظيما ثم
إني شيخ ترب بعد الإتراب وعدم الأعشاب حين شاب فصرت من محلة نابا
زغب وحالة زارحة أمامي نجهد دفعه ومرجاي عندك رفعه والتأميل
أفضل وسائل السائل ونائل النائل فأوجب لي ما يجب عليك وأحسن
كما أحسن الله إليك وإياك أن تلوي عذارك عمن زارك أو ازدارك
أو تقبض راحتك عمن امتاحك وامتار سماحك فوالله ما تحرز من حمد
ولا رتب من مجد بل اللبيب من إذا وجد جاد وإن بدأ بعائدة عاد و
الكريم من إذا استوهب الذهب لم يهب أن يهب ثم أمسك بعد أن أكل
عزته وبرح مطية نفسه وأحب الوالي أن يعلم هل نطفته ثمد أو لغم
بجنة مرد فأطرق يرود في استنباط رأيه واستشفاف من نزله والتمس

علي

على أبي زيد سر صمته وإرجاء صلته فتميز غضبا وأنشد مقتضبا

لا تحقرن أبيت اللعن ذا أدب ... لأن بدا خلق البردين سبروتا
ولا تضع لأخي التأميل حرمته ... أكان ذا النشب أم كان سكيتا
وانعم بعيش بكم وإياه مغتبطا ... وانعش بعوده من ألفيته منكوتا
فخير مال الفتى مال أشاد له ... ذكرا تناقله الركبان أو صيتا
وما على المشتري حمدا بموهبة ... غبن ولو كان ما أعطاه ياقوتا
لولا المروءة ضاق العذر عن فطن ... إذا اشرأب إلى ما جاوز القوتا
لكنه لابتناء المجد جرجر ومن ... حب السماح ثنا نحو العلا ليتا
وما تنشق نشر الشكر ذو كرم ... إلا وأزرى بنشر المسك مفتوتا
والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما ... حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا
والشح في الناس ممقوت خلائقه ... والحازم الكف ما ينفك ممقوتا
والمتجم على أمواله عجل ... ينوشه بوسعه أبدا دما وتبكيتا
مجر بما جمعته كفاه من نشب ... حتى يرى مجتنيه جره مبهوتا
وخذ نصيبك منه قبل رائعة ... من الزمان تريك العود منحوتا
بالزمن أنكى من تستمر به ... حال تكرهت تلك الحال أم شيتا

فقال له الوالي تالله لقد أحسنت فأوعلي العجال إنك فنظر إليه عن

عوض ولا نشر وهو مغض

لا تنس الغر من أبوه ورز خلائه ثم طله أو فاخره

بما يشير البلاف حين حلا من انها كونها ابنة الحمرة

قال فعرفت لبيانه الفاتن حتى أحله معقر الخاتن ثم مرض له

من شيب نيله ماء إذ بطول ذيله وفض ليله فنهض عنه بهدن

ملئان وقلب جذلان وتبعته حاضيا خزوه وقافيا خطوه حتى إذا

خرج من بابه وفصل عن غابه قلت له هنيت بما أوتيت وملئت بما أوليت

فأسفر وجهه وتلألأ وقال الله أشكر الله تعالى ثم خطر احتيالا

وأنشد ارتجالا

من يكن نال بالحماقة حظا أو سما قدره لطيب الأصول

فبفضلي انتفعت لا بفضولي وبقولي ارتفعت لا بفضولي

ثم قال تعسا لمن جرب الأدب وطوبى لمن جد فيه ودأب ثم ودعني

وذهب وأودعني اللهب

المقامة التاسعة والثلاثون وهي العمانية

حدث الحارث بن همام قال لهجت مذ اخضر إزاري وبقل عذاري

بأن أجوب البراري على متون المهاري أنجد طورا وأسلك تارة

غورا

غورا حتى ملئت المعالم والمجاهل وبلوت المنازل والمناهل وأدميت

السنابك والمناسم وأنضيت السوابق والرواسم فلما

مللت الأصحار ومن سنح لي أمل بإبحار ملت إلى اختيار التيار

واختيار الفلك السيار فنقلت إليه أساودي واستصحبت زادي

وقمت ثم ركبت فيه ركوب حاذر نادم عاذل لنفسه عاذر

فلما شرعنا في القلعة وتهيأنا للشرع للشرعة سمعنا من شاطئ

المرسى حين دجا الليل وأغسى هاتفا يقول يا أهل الفلك القويم

المزجي في البحر العظيم بتقدير العزيز العليم هل أدلكم على تجارة تنجيكم

من عذاب أليم فقلنا له أقبسنا نارك أيها الدليل وأرشدنا كما

يرشد الخليل الخليل فقال أتستصحبون ابن سبيل زاده في زبيل وظله

غير ثقيل وما يبغي سوى مقيل فأجمعنا على الجنوح إليه وأن

نتغالى بما عز عليه **فلما** استوى على الفلك قال نعوذ بالله مالك

الملك من مسالك الهلك ثم قال إنا روينا في الأخبار المنقولة عن

الأخيار أن الله تعالى ما أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء

أن يعلموا وإن معي لعوذة عن الأنبياء مأخوذة وعندي لكم نصيحة

برهنتها صحيحة وما وسعني الكتمان ولا من شيمي الخمان

فتوبوا والقول وتفهموه واعملوا بما تعلمون وعلموه ثم طاح
صيحة المباهي وقال أتدرون ما هي هي والله حرز السفر عند
مسيرهم في البحر والجنة من الغم إذا ما جاش موج اليم وبها
استعصم نوح من الطوفان ونجى ومن معه من الحيوان على ما صدعت
به آي القرآن ثم قرأ بعد أساطير تلاها وزخارف جلاها وقال اركبوا
فيها بسم الله مجريها ومرسيها ثم تنفس تنفس المغرمين أو عباد
الله المخلصين وقال أما أنا فعبد قمت فيكم مقام المبلغين ونصحت لكم
نصح المبالغين وسلكت بكم محجة الراشدين فاشهد اللهم وأنت خير الشا
هدين قال الحارث بن همام فأعجبنا بيانه البادي الطلاوة وعجبت له
أصواتنا بالتلاوة وانشرح قلبي من جرسه فخرجت عن شمسه فقلت له بالذي
سخر البحر اللجي ألست السروجي فقال بلى وهل يخفى ابن جلا بأحمر تجتبيه
السفر وسعيت عن نفسي إذ سعى ولم نزل نسير والبحر رهو والعيش صفو
والجو صحو والزمان لهو وأنا أجد لعقيانه وجد المثري بعقيانه وأوذن بمناجاته
فرح الغريق بنجاته إلى أن عصفت الجنوب وعصفت الجنوب ونسي السفر
ما كان وجاءهم الموج من كل مكان فألجأنا هذا الحدث الثاني إلى إحدى الجزائر
لنريح ونستريح ريثما تؤاتي الريح وتمادى اعتياص المسير حتى نفد

الزاد



أن أذاعت الصيحة فقال لي أبو زيد إنه لن يجتنى العود بالقعود فهل لك
في استثارة السعود بالصعود فقلت له إذ لا حول لحاضر تقلبه وأ
تبع لك من خلقه فنهضنا إلى الجزيرة على ضعف من الحريرة لنبتغي اقتراء
الخبرة وكلانا لا يملك فتيلا ولا يهتدي فيها سبيلا فأقبلنا نجوس خلالها
ونتفيأ ظلالها حتى أفضينا إلى قصر مشيد له باب من حديد ودونه زمرة
من عبيد فناسمناهم لنتخذهم سلما إلى الارتقاء وأرشية للاستقاء فما
لقينا كلا منهم في مسد كئيب وكرب أشيب فقلنا أيتها الغلمة لم هذه
الغمة فلم يحيروا ببنت شفة ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء فلما رأينا زمرة
كالحجارة وخبرهم كمرأى الشبابيب قلنا شاهت الوجوه ورجع
القلق ومن نجوة فانبرى خادم قد علته كبرة وعرته عبرة فقال يا قوم
لا توسعنكم سبا ولا توجعنا عتبا فإنا لفي حزن شامل وشغل عن الحديث
شاغل فقال له أبو زيد نفس عن خناقك وانفث ما أرقك فإنك ستجد على
النفث فإنك ستجد مني غواصا كافيا ووصابا شافيا فقال له اعلم
أن صاحب هذا القصر هو قطب هذه البقعة وسناء هذه الرقعة إلا أنه
لم يزل مذ كان خلوا من ولد ولم يزل يستنكح المعارش ويتخير من الفعا
رش النفائس إلى أن بشر بحمل عقيلة وآذنت رقلته بفسيلة فنذرت

له الفرزر نوا أحصيت الأيام والشهور، ولما حان النتاج وجع

الطلق والتاج عشي مخاض الوضع حتى حسبه على الأجل والنزع

فبينما نحن نبغي فرارا ولا يطعم النوم إلا غرارا ثم أجهش بالبكاء

وأعول وردد الأنين جاء وطرز فقال أبو زيد اشكروا هذا واستبشر

وأبشر بالفرج وبشر فعنى عن بت الطلق التي انشئ سمعها في الخلق

فتبادرت الغلمة الأقوام متسابقين يكشف بلوامع فلم يكن إلا كلا وكلا

حتى برز منهم غلام بذا إليه فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه قال ألا في

زبرليهند منازلنا إرصدق مقالنا ولم يقل قالنا فاستخف فلما مثر بنا

زبرا بحيلا وزعم أنا قد فيد ماء ورد نضيفه فما أن رجع النفس

حتى أخذ الملتمس فسجد أبو زيد وعفى وسبح واستقبع ثم أخذ القلم

واستمنع وكتب على أن يد بالمزعم

أيها الجنين إني نصيح لك والنصح من شروط الدين

أنت مستعصم بكن كنين وقرار من الشكول مكين

ما ترى فيه ما يروع من الألف مداج ولا عدو مبين

فمتى ما برزت منه تحولت إلى منزل الأذى والهون

وتراءى لك الشقاء الذي تلقى فتبكي له بدمع هتون

ما ستريه عبسندلى غيره وحاذر أن تبيع المحقق بالمظنون

واحترس من مخادع لك يرتيه فيلقيك في العذاب المهين

ولعمري لقد نصحت ولكن كم نصيح مشبه بضنين

ثم إنه ضمن المكتوب على غفلة وتفل عليه مائة تفلة وشدّه في برد

خرقة حرير بعد ما ضمخها بالعبير وأمر بتعليقها على فخذ الماخض وأن

لا تعلق بها يد حائض فلم يكن إلا كفواق شارب أو نبوة حالب حتى

اندلق شخص الولد بتخصيص ابن معززة الواحد الصمد فامتلأ

الفؤاد حبورا واستطير عجبا وعبيده سرورا وأحاطت الجماعة

بأبي زيد تثني عليه وتقبل يديه وتتبرك بمسابر حضرته حتى خيل إلي

أنه القرني أويس أو الأسدي دبيس ثم انثال عليه من جوائز الجارات

ووصائل الصلات ما ضفى له الغنا وبيض وجه المنى ولم يزل يتنابه النول

من نتج له النحل إلى أن أعطوه البحر إذا ماز ونسني الإبهام إلى

عمان فانتهى أبو زيد بالنخلة وتأهب للرحلة فلم يسمح الوالي

بحركته بعد نجح تربكته بل أوعز بضمه إلى حاشيته وأن يطلق

يده في خزانته قال الحارث بن همام فلما رأيته قد ماز إلى حيث

يكتسب المال الخبيث عليه بالتعنيف وهجنت له مفارقة الألف والأليف

حزأبته

فقال: إليك عني، واسمع مني:

لا تصبون إلى وطن ... فيه تضام وتمتهن

وارحل عن الدار التي ... تعلي الوهاد على القنن

وانفر إلى الكن يقي ... ولو انه حضنا حضن

وارب بنفسك أن تقيم ... بحيث يغشاك الدرن

وجب البلاد فأيها ... أرضاك فاختره وطن

ودع التذكر للمعاهد ... والحنين إلى السكن

واعلم بأن الحر في ... أوطانه يلقى الغبن

كالدر في الأصداف يستزري ويبخس في الثمن

ثم قال: حسبك ما استمعت، وحبذا أنت لو اتبعت، فأوضحت له معاذيري، وقلت: كن عذيري، فعذر واعتذر، وزود حتى لم يزل يشيعني تشييع الأقارب، إلى أن ركبت في القارب، فودعته وأنا أشكو الفراق، وأذمه، وأود لو هلك الجنين وأمه.

المقامة الأربعون وتعرف بالتبريزية

أخبر الحارث بن همام قال: أزمعت الشخوص من تبريز، حين نبت بالذليل والعزيز، وخلت من المجير والمجيز، فبينما أنا في إعداد الأهبة، وارتياد الصحبة، لقيت أبا زيد السروجي ملتفا بكساء، ومحتفا بنساء، فسألته عن خطبه، وإلى أين يسرب مع سربه، فأومى إلى امرأة منهن باهرة السفور، ظاهرة النفور، وقال: تزوجت هذه لتؤنسني في الغربة، وترحض عني قشف العزبة، فلقيت منها عرق القربة، تحملني عجفي، وتكلفني فوق طوقي، فأنا منها نضو وجى، وحلف شجو وشجى، وها نحن قد تساعينا إلى الحاكم، ليضرب على يد الظالم، فإن انتظم الوفاق، وإلا فالطلاق والانطلاق. قال: فملت إلى أن أخبر من الغالب، وكيف يكون المنقلب، فجعلت شغلي دبر أذني، وصحبتهما وإن كنت لا أغني. فلما حضر القاضي، وكان ممن يرى فضل الإمساك، ويضن بنفاثة السواك، جثا أبو زيد بين يديه، وقال: أيد الله القاضي وأحسن إليه، إن مطيتي هذه أبية القياد، كثيرة الشراد، مع أني لها أطوع من بنانها، وأحنى عليها من جنانها. فقال لها القاضي: ويحك، أما علمت أن النشوز يغضب الرب، ويوجب الضرب. فقالت: إنه ممن يدور خلف الدار، ويأخذ الجار بالجار. فقال له القاضي: تبا لك، أتبذر في السباخ، وتستفرخ حيث لا إفراخ، اعزب عني لا عم عوفك، ولا أمن خوفك. فقال أبو زيد: إنها ومرسل الرياح، لأكذب من سجاح. فقالت

بلى ومن طوق الحمامة وجنح النعامة أكذب من أبي ثمامة حين
مخرق باليمامة فزفر أبو زيد زفير الشواظ واستشاط استشاطة
المغتاظ وقال ويلك يا دفار يا فجار يا غصة البعل والجار أتعمدين
في الخلوة لتعذيبي وتبرزين في الحفلة لتكذيبي وقد علمت أني حين
بنيت عليك وبنوت إليك ألفيتك أقبح من قردة وأيبس من قدة
وأخشن من ليفة وأنتن من جيفة وأثقل من هيضة وأقذر من حيضة
وأبرد من قشة وأبرد من قرة وأحمق من رجلة وأوسع من دجلة فسترت
عوارك ولم أبد عارك على أنه لو حبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها
وبلقيس بعرشها وبوران بفرشها والزباء بملكها ورابعة بنسكها
وخندف بفخرها والخنساء بشعرها في صخرها لأنفت أن تكوني
قعيدة رحلي وطروقة فحلي قال فتذمرت المرأة وتنمرت وحسرت
عن ساعدها وشمرت وقالت له يا ألأم من مادر وأشأم من قاشر و
أجبن من صافر وأطيش من طامر أترميني بشنارك وتفري عرضي
بشفارك وأنت تعلم أنك أحقر من قلامة وأعيب من بغلة
أبي دلامة وأفضح من حبقة في حلقة وأحير من بقة في حقة وأين
الحسن في لفظه ووعظه والشعبي في علمه وحفظه والخليل في
عروض

عروضه ونحوه وجرير في غزله وهجوه وقس في فصاحته وخطابته
وعبد الحميد في بلاغته وكتابته وأبا عمرو في قراءته وإعرابه وابن
قريب في روايته عن أعرابه أتظنني أن أرضاك إماما للمحراب أو حساما
للحراب كلا والله ولا بوابا للباب ولا عصى للجراب فقال لهما القاضي أرا
كما شنا وطبقة وحدأة وبندقة فاترك أيها الرجل اللدد واسلك
في سيرك الجدد وأما أنت فكفي عن سبابه وقفي إذا أتى البيت من
بابه فقالت المرأة والله ما أتحجر عنه لساني إلا إذا كساني ولا أرفع
له شراعي دون إشباعي فحلف له أبو زيد بالمحرجات الثلاث إنه
لا يملك سوى أطماره الرثاث فنظر القاضي في قصصهما نظر الألمعي
وبحث فكرة العود عن ثم أقبل عليهما بوجه قد قطبه ومجن قد قلبه
وقال ألم يكفكما التساب في مجلس الحكم والإقدام على ارتكاب الجرم
حتى ترقيتما من عضيهة القذاف إلى خبث الخداع وايم الله لقد
أخطأت استكما الحفرة ولم تصب سهمكما الثغرة فإن أمير المؤمنين
أعز الله بطاعته الدين نصبني لأقضي بين الخصماء لا لأقضي دين الغرماء
وحق نعمته التي أحلتني هذا المحل وملكتني العقد والحل لئن لم
تكشفا لي عن جلية خطبكما وخبية خبكما لأنددن بكما في الأقطار

ثم انفعلتكما عبرة بالإيقاد الانبجاس فأطرق أبو زيد الجرأة والشجاع
ثم قال أسماع سماع

أنا السروجي وهذي عرسي ... وليس كفؤ البدر غير الشمس
وما تنافى أنسها وأنسي ... ولا نأى ديرها عن قسي
ولا عدت سقياي أرض غرسي ... لكننا منذ ليال خمس
نصبح في ثوب الطوى ونمسي ... لا نعرف المضغ ولا التحسي
حتى كأنا لخفوت النفس ... أشباح موتى نشروا من رمس
فحين عز الصبر والتأسي ... وشفنا الضر الأليم المس
قمنا لسعد الجد أو للنحس ... هذا المقام لاجتلاب فلس
والفقر يلجي الحر حين يرسي ... إلى التحلي بلباس اللبس
فهذه حالي وهذا درسي ... فانظر إلى يومي وسل عن أمسي
وامر بجبري إن تشا أو حبسي ... بيد يديك صحتي ونكسي

فقال له القاضي ليثب أنسك ولتطب نفسك فقد حق لك أن تعفى د
خطبتك وتوفى عطيتك فثارت الزوجة عند ذلك واستطالت
وأشارت إلى الحاضرين وقالت

يا أهل تبريز لكم حاكم ... أوفى على الحكام تبريزا

مايه

ما فيه من عيب سوى أنه ... يوم الندى قسمته ضيزى
قصدته والشيخ نبغي جنى ... عوده فما زال مهزوزا
فسرح الشيخ وقد نال من ... جدواه تخصيصا وتمييزا
وردني أخيب من شائم ... برقا خفا في شهر تموزا
كأنه لم يدر أني التي ... لقنت الشيخ الأراجيزا
وأنني لو شئت غادرته ... أضحوكة في أهل تبريزا

فلما رأى القاضي اجتراء جنانها وانصلات لسانها علم أنه قد
مني منهما بالداء العياء والداهية الدهياء وأنه متى منح أحدهما
وصرف الآخر طعن النير كلو كمن فض الزبر بالزبر أو طلى الجرب ب
كعقبي بجلسه وحرشن واخرنطم وتربد وهمهم وغمغم ثم التفت
يمنة وشأمة وتململ كآبة وندامة واخرنبق القضاء وصاحبه و
يعدد نوائبه ونوائبه ويغير طالبه وصاحبه ثم تنفس تنفس الحزين
وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب وقال إن هذا لشيء عجيب أن يشرى في
موقف بمفسدين الزوج في قضية مع منتز الصوان أرض الغطمش
ومزاين ومزاين ثم عطف على حاجبه المتجعد مقاربه وقال ما هذا يوم
حكم وقضا وفصل وإمضا هذا يوم الاغتمام هذا يوم الاغتمام هذا

يوم النحر ان هذا يوم الغنم ان هذا يوم عصيب هذا يوم نصاب
فيه ذا نصيب فأخرجني من هذا المغفر أزبن وانقطع لسانهما عني
بريبا ربن ثم قرن واله صحاب وغلق الأبواب واشتغ في الناس أنه
يوم مزموم وأن القاضي فيه مغموم لئلا يتخير خصوم قال
فأمر القاضي على ادعائه وتباكى لبكائه ثم نقد أبا زيد وعرسه
المتقالين وقال أشهد بالله أنكما لأخيل الثقلين إلا أحتم ما
مجالس الحكام واجتنبا فيها فحش الكلام فما كل قاض قاض
نعم بن ولا كل وقت تسمع الأراجيز فقالا له مثلك من جنبه و
شكر ذا نزوجت ونقطا وقد خصنا بربنا زبن وأضلنا قلب القاضي
نار بن

تفسير ما تضمنت هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله لعينة منها حظي في القرية هذا مثل يضرب لمن يبلغ شيئا من أمر الغير أوله كلمة لابن
حامل الغرية يأتي جمع لحيتي بعير وقوله وجعلته دبر أذني اطرحته وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء
ظهورهم وقوله أكذب من سجاح يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب وسارت إليه لتناظره
وتختبره ثم آمنت به وزوجته نفسها له وهذا الاسم مبني على الكسر مثل حذام وقطام لكونه
من أسماء المعدولة واشتقاقه من السجاحة وهي السهولة ومنه قولهم ملكت فاسجح وقوله أكذب
من أبي ثمامة هذه كنية مسيلمة الكذاب وكان تنبأ باليمامة وتحكى في أيام أبي بكر فسار إليه خالد بن
الوليد فقتله وقوله لا نعم عوفك العوف الحال والعوف أيضا الذكر ويدعى للباني على امرأته
فيقال له نعم عوفك وقوله بلد جار بالبحار هذه أسماء معروفة من أسماء ... والدم
النفس وبه سميت الدنيا أم دفر وكل ما يسمى بصفة غالبة وعوار والعبال يبنى على الكسر

١١٨

عن النداء كقولهم يا لكاع يا خباث يا دبار يا فجار ولا يجوز استعمال لكاع في غير النداء إلا في
ضرورة الشعر كقول الشاعر. أطوف ما أطوف ثم آوي. إلى بيت قعيدته لكاع. وأما
قوله أحمق من رجله يعني ضرب من الحمض تنبت في مجاري السيل فيحتفر به وأما قوله ألأم من مادر فهو
رجل من بني هلال بن عامر كان الخزاعي يسقي إبله فلما رويت سلح فيه ومذر بسلحه لئلا
ينتفع به غيره فضربت العرب مثلا وأما قوله أشأم من قاشر فإنه فحل كان في بعض قبائل بني سعد
ابن زيد مناة ما طرق إبلا فقط إلا ماتت وقيل المراد به العام المجدب ويسمى ذلك لقشره وجه الأرض
من النبات وأما قوله أجبن من صافر فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم عني به كل من يصفر من
الطير وخص بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومطايير الأرض وقيل إنه طائر بعينه إذا جنه
الليل تعلق بغصن ذي أغصان ولم يزل يصفر طول ليله خوفا من أن ينام فيؤخذ وقيل إنه الذي يصفر
بالمرأة الريبة فهو يجبن وقت صفيره مخافة أن يطلع على أمره وقيل إن المراد به في المثل المصفور
وهو الأبيض بالصفير فعلى هذا القول فاعل هنا بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق أي
مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى محمولة وهذا كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله
تعالى حجابا مستورا أي ساترا وأما قولها الحيش من كلامه فالمراد به البرغوث ويسمى بذلك
لكثرة وثوبه وأما قول القاضي أنتما شنا وطبقة وحذام وتعرفه فإنه أراد به أن كلا من
منهما كفء لصاحبه ومقاوم له والكل واحد من المثلين تفسير مختلف فيه أما شن وطبقة فإن العلماء
مختلفون في معنى قولهم وافق شن طبقة فقال الأكثرون إنهما قبيلتان فشن هو ابن أفصى بن عبد القيس
ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حي من إياد وكانت طبقة لا تطاق فوقعت بها شن
فانتصفت منها وقال بعضهم كان شن رجلا من دهاة العرب وكان ألزم نفسه ألا يتزوج إلا بامرأة
تلائمه فكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته فصحبه رجل في بعض أسفاره فلما أخذ منهما
التعب قال له شن أتحملني أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل أنا راكب وأنت راكب فأمسك وسارا
حتى أتيا على زرع فقال له شن أترى هذا الزرع قد أكل فقال له أما ترى يا جاهل أنه في سنبله
فأمسك إلى أن استقبلتهما جنازة فقال له شن أترى صاحبها حيا أم لا فقال له ما رأيت أجهل منك
أتراهم حملوه إلى القبر حيا فأمسك شن إلى أن سار حتى وطئا قرية الرجل فعطف به إلى منزله و
كانت له بنت تسمى طبقة فأخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق إلا بالصواب ولا استفهم
عما يستفهم عن مثله أولو الألباب أما قوله أتحملني أو أحملك فإنه أراد تحدثني أم أحدثك حتى
نقطع الطريق بالحديث وأما قوله أترى هذا الزرع قد أكل فإنه أراد هل استسلفه أهله فأكلوا ثمنه
أم لا وأما استفهامه عن صاحب الجنازة أحي هو أم لا فإنه أراد به أخلف عقبا يحيى ذكره به
أم لا فلما خرج إلى الرجل حدثه بتأويل ابنته كلامه فخطبها إليه فزوجه إياها فلما حملها إلى
قومه وخبروا ما فيها من الدهاء والفطنة قالوا وافق شن طبقة فجرت مثلا وحكى الأصمعي
سيلا عن تفسير هذا المثل فقال إن الشن وعاء من أدم كان قد استشن فلما اتخذوا له غطاء
وافقه ضرب له هذا المثل وأما حذام وتعرفه فإنه يقال في المثل المضروب لمن يفزع بغيره

ويستلي بنظره حرا أحرا أراد بني فزارة وكلاب طوحراة بانثيات المها برحم في الندا وفراخيله
في المراد بهما فقيل هما الطاير المعروف وبنو فزارة الى امي وقيل انهما قبيلتان من بعد العشيرة
باغارت حراة وكانت تنزل بالكوفة على بني فزارة وكانت تنزل بالعيص فبان منهم ثم قرنه بني فزارة
على حراه بانت منهم ودون بعضهم هذا المثل حرا احرا غير مهموز على امثال عصى وقيل ورم
بعضهم انه اسم القبيلة **وأما** قوله اخطات استكما الحيرة بانه مثل يضرب لمن يخطي في مقصده و
يضع الشي في غير موضعه **وأما** قوله خليع وطرس بمعنى خليع ترنه وجهه وطرس اي اطرق
اخي نظر اي غضب مع تعبس وكلوح ونكب وفيه سبع وغمغ معنى اخي نظر اي غضب
مع تكبر وبرطم اي غضب مع تعبس وكلوح تحجج وغمغم الجمل ببيس الكلام

المقامة الحادية والأربعون وتعرف بالتنيسية

أخبر الحارث بن همام قال أطعت داعي التصابي في غلواء شبابي
فلم أزل زير الغيد وأذنا للأغاريد إلى أن وافى النذير وولى العيش
النضير فنهضت إلى رشد الانتباه وندمت على ما فرطت في جنب الله
ثم أخذت في كسع الهنات بالحسنات وتلافي الهفوات قبل الفوات
فملت عن مغاداة الغادات إلى ملاقاة التقات وعن مغاناة القينات
إلى مداناة أهل الديانات وآليت أن لا أصحب إلا من نزع عن الغي وبان
رشده من الغي وإن ألفيت من هو خليع الرسن مريد الوسن أتأيت
داره عن داره وفررت عن عرته وعاره **فلما** ألقيت الغربة بتنيس وآ
حلتني بمسجدها الأنيس رأيت بها ذا حلقة ملتحمة ونظارة مزدحمة
وهو يقول بجأش مكين ولسان مبين مسكين ابن آدم وأي مسكين ركن

من الدنيا إلى غير ركين يكلف بها لغباوته ويكلب عليها لشقاوته
ويعتد فيها لمفاخرته ولا يتزود منها لآخرته أقسم بمن مرج البحرين
ونور القمرين ورفع قدر الحجرين لو عقل ابن آدم لما نادم ولو فكر
فيما قدم لبكى الدم ولو ذكر المكافاة لاستدرك ما فات ولو نظر في
المآل لحسن قبح الأعمال يا عجبا كل العجب لمن يقتحم ذات اللهب في اكتناز
الذهب واختزان النشب لذوي النسب ثم من البدع العجيب أن يعظك و
خط المشيب وتؤذن شمسك بالمغيب ولست ترى أن تنيب وتهذب
المعيب ثم اندفع ينشد إنشاد من نشد

يا ويح من أنذره شيبه ... وهو على غي الصبا منكمش
يعشو إلى نار الهوى بعدما ... أصبح من ضعف القوى يرتعش
ويمتطي اللهو ويغتره ... أن لها ما يفترش المفترش
لم يهب الشيب الذي ما رأى ... نجومه ذو اللب إلا دهش
ولا انتهى عما نهاه النهى ... عنه ولا بالى بعرض خدش
بزاد إن مات فبعدا له ... وإن يعش فهو كمن لم يعش
لا خير في محيا امرئ نشره ... كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبذا من عرضه طيب ... وحسنه مثل برد رقش

بقلبِ مَن قد شاكَهُ ذنبُهُ   عَلِقْتَ يا مستكبِرُ أو تنتقِش
بأخلصِ التوبةِ تطهيرُها   مِن الخطايا السُّودِ ما قد نَعِش
وعاشِرِ الناسَ بخُلقٍ رضًى   ودارِ مَن كاشَرَ ومَن لم يَهِش
ورِشْ جَناحَ الحُرِّ إن حَصَّهُ   زمانُه لا كانَ مَن لم يَرِش
وأنجِدِ الموتورَ ظُلمًا فإن   عَجَزتَ عن إنجادِه فاستجِش
وانعَشْ إذا ناداكَ ذو كَبوةٍ   عساكَ في الحشرِ به تنتعِش
ونادِ كاسَ النُّصحِ باشِرْ وجُدْ   بفَضْلَةِ الكاسِ على مَن عَطِش

قال فلما فرغ مِن مُنكِياتِه وفضَّ إنشادَ أبياتِه نهضَ صبيٌّ نَزْرُ الشَّرَن
رائعُ البِشرِ وقال يا ذوي الحَصاةِ والإنصاتِ إلى الوصاةِ قد وعيتُم
الإنشادَ وفهِمتُمُ الإرشادَ فمَن نوى منكم أن يَقبَلَ ويُصلِحَ المُستقبَلَ
فليَبِرَّني عن نيّتِه ولا يَعزِلْ عنّي بعطيّتِه فوالذي يعلمُ الأسرارَ و
يغمرُ الأبرارَ إنّ بِرّي لكامِنٌ وإنّ زِيّي ليستوجبُ الصَّوْنَ فما
عيشي رَنْقُ العَوْنِ قال وأخذ الشيخُ بما يَعطِفُ عليه القلوبَ
ويُبيّنُ له المطلوبَ حتى أنبطَ حفيرَه واعشوشبَ فقيرُه فلما أُترِعَ
الكيسُ انطلقَ يميسُ ويجمزُ تنبيس ولم يحلُ للشيخِ المُقامُ بعدما
انصاعَ الغلامُ فاسترفعَ الأيدي للدعاءِ ثم نحا نحوَ الانكفاءِ قال

الراو

الراوي فتاقتْ إلى أنْ أعجُمَه وأخبُرَ مترجمَه فتبعتُه وهو يشتدُّ في
سمتِه ولا يفتُرُ عن توصيتِه فلما أمِنَ المُفاجي وأمكنَ التناجي لفتُّ جيدَه
إليَّ وسلَّمَ تسليمَ البشاشةِ عليَّ ثم قال أراقكَ ذكاءُ ذلك الشُّوَيدِنِ
فقلتُ إي والمؤمنِ المُهيمنِ فقال إنّه فتى السروجيِّ وفرخُ الزُّرِّ من اللُّجي
فقلتُ أشهدُ أنّك لشيخُه ثم نبّهَ وشواظُ شرارتِه بصدقِ كهانتي واستحسن
إبانتي ثم قال هل لك في ابتدارِ البيتِ لنتنازعَ كأسَ الكُمَيتِ فقلتُ
ويحكَ أتأمرون الناسَ بالبِرِّ وتنسونَ أنفسَكم فافترَّ افترارَ متضاحكٍ
ومرَّ عنّي مُضاحكًا ثم بدا له أن تراجعَ إليَّ وقال اخفضها عنّي وعلّي

اصطبحْ فالراحُ عندنا الأسا   وروحُ القلبِ والتكتيب
وقُل لي لا ما فيها جنبٌ   تروّعُ عندَ الهمِّ فيها أثِيب

ثم قال أمّا أنا فسأنطلقُ إلى الحيثُ أصطبحُ وأغتبقُ وإذا كنتَ لا تصحبُ
ولا تلائمُ مَن تطربُ فلستُ في ريقٍ ولا طربٍ فقد بطُروقٍ فحادَ عن سبيلي
ونكِّبْ ولا تتبعْ عيني ولا تتعقّبْ ثم ولّى مُزيّنًا ولم يُعقّبْ قال الحارثُ بنُ
همّامٍ فالتهبتُ وجدًا على انطلاقِه ووددتُ لو لم أُلاقِه

المقامة الثانية والأربعون وتُعرف بالنجرانية

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال ترامتْ بي مرامي النوى ومساري الهوى

إلى أن رضيت أبا كل تربة وأخا كل غربة إلا أني لم أكن أقطع واديا
ولا أشهد ناديا إلا لاقتباس الأدب المسلي عن الأشجان المغلي قيمة
الإنسان حتى عرفت في هذه الشنشنة وتناقلتها عني الألسنة وصا
رت أعلق بي من الهوى ببني عذرة والشجاعة بآل أبي صفرة فلما
ألقيت الجران بنجران واصطفيت بها الخلان والجيران وجعلت
أنديتها معتمري وموسم فكاهتي وسمري فكنت أتعهدها صباحا
ومساء وأطلع فيها على من سر وساء فبينما أنا في ناد محشود و
محفل مشهود إذ جثم لدينا شيخ عليه هدم فحيا تحية ملق بلسان
ذلق ثم قال يا بدور المحافل وبحور النوافل قد برح الصبح لذي عينين
وناب العيان مناب عن الخبر فماذا ترون فيما تزورون أتحسنون
العون أم تنأون فقالوا له والله لقد عققت ورمت أن تنبه فحصت
فباشرهم الله عمادا أصرمهم حتى استوجب ردهم فقالوا كنا نتناضل
بالألغاز كما يتناضل يوم البراز فما تمالك أن شعث من المنضل و
أخو هذا الفضل بنمط الفضول فأسفه لشر الفرع ووجوه بالأسنة
اللوم وأخذ هو يتنصل من هفوته ويتندم على فوهته وهم يصبون
على مؤاخذته ويلجون في مناقرته إلى أن قال لهم يا قوم إن الاحتمال

ل

من كرم الطبع فعدوا عن اللدغ والقدع ثم هلم إلى أن نلغز ونحم المهز
فمكن عنده لكثرة فرقهم وانحلت عقدهم ورضوا بما شرط عليهم و
لهم واقترحوا أن يكون أول من يلغز ريثما يقعد شمع أو يشتد نسغ
ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش وملئتم العيش وأنشد ملغزا في
مروحة الخيش

وجارية في سيرها مشمعلة ... ولكن على إثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها ... على أنه في الاحتثاث رسيلها
ترى في أوان القيظ تنطف بالندى ... ويبدو إذا ولى المصيف نحولها

ثم قال وعليكم يا أولي الفضل ومراجع العقل وأنشد ملغزا في حابل النخل

ومنتسب إلى أم ... تنشا أصله منها
يعانقها وقد كانت ... نفته برهة عنها
به يتوصل الجاني ... ولا يلحى وكلا ينهها

ثم قال وحق الحبيبة العلم المعتكز في الظلم وأنشد ملغزا في القلم

وما مأموم به عرف الإملاق ... كما باهت بصحبته الكرام
له إذ يرتوي طيشان صاد ... ويسكن حين يعروه الأوام
ويذري حين يستملي دموعا ... ير فن كما يرون لا ينسلم

ثم قال وعليكم بالناضحة الذليل الفاضحة ما قيل وأنشد ملغزا في الميل

وما ناكح أختين جهرا وخفية ... وليس عليه في النكاح سبيل

متى يغش هذي يغش في الحال هذه ... وإن مال بعل لم تجده يميل

يزيدهما عند المشيب تعهدا ... وبرا وهذا في البعول قليل

ثم قال وهذه يا أولي الألباب معيار الآداب وأنشد ملغزا في الدولاب

وجار وهو موثوق ... وصول السير بالناجي

غريق بارز يا عجبا ... له من راسب طاحي

يسح دموع مظلوم ... ويهضم هضم ملتاحي

وتخشى منه جريته ... ولكن قلبه صاحي

قال فلما رشق بالجمر التي نشق قال يا قوم تدبروا إملاء المخمس واعقدوا عليها الخنصر ثم رأيكم وضح الدليل أو الازدياد من الكيل قال فاستعفت القوم شقوة ابن بلادة على ما أشربوا من البلادة فقالوا له إن وقوفنا دون حوزك ليلجمنا عن استيفاء زندك فإن أتممت عشرا فمن عندنا فاهتز اهتزاز من فلج سهمه وأخرج خطه ثم افتتح النطق بالبسملة وأنشد ملغزا في الحرملة

ومسرورة مغمومة طول دهرها ... وما هي تزيد ما التم وردا النعم

تقرب أحيانا إلى أجل جيبها ... وثم ولم تنواله يلعق الأمم

وتبعد أحيانا وما حال عهدها ... وإبعاد من لم يستحل عهده ظلم

إذا فض الإبل الشتاء حالها ... وإن طال بالأمر اعوجاج وطعمها نغم

لها صلب باد إنه مبطن ... بلا زند كالرماية زند الحكم

ثم كشر عن أنيابه الفتي وأنشد ملغزا في الطلع

ومن هو بالشبان ام ... وملبن على ما يشرب

يرى في العشر دون الخمس ... فاسمع وصفه واعجب

ثم تجاوز تجاوز النعمى بث وأنشد ملغزا في طاقة الكبريت

وما محفورة تزري وتنقضي ... وما منها إذا قمت تبر

لها رأسان يشبهها حزا ... وكل منهما لاحبه ضر

تعرب أزها خضبا وتلغا ... إذا عزم الخطاب فلا تعز

ثم تخنه تخنه الغزم وأنشد ملغزا في حلب الكرم

وما شيء إذا فسدا ... تحول غيبه رشدا

وإن هو راق أو طابا ... أتاك الشر حيث بدا

زكي عرق والده ... ولكن بئس ما ولدا

ثم إنه اغتصر عصا التسيار وأنشد ملغزا في الخيار

١١٢

وفي كيسه شقة ما أبل وما عابه بهما عاقل
يرى أبدا فوق عليته كما يعتلي الملك العادل
تساوى لديه الحضيض والنضار وما يستوي الحق والباطل
وأعجب أوصافه إن نظرت كما ينظر الكيس الفاضل
تراضى الخصوم به حاكما وقد علموا أنه مائل

قال فظلت الأفكار تهيم في أودية الأوهام وتجول جولان المستهام إلى أن طال الأمد وحصحص الكمد فلما رآهم يزدردون وآسنا ونبغض النهار بالمنى قال يا قوم إلى م تنظرون وحتى م تستنظرون أما آن لكم استخراج الخبيئة أو استسلام الغبي فقالوا إنه تالله لقد غوصت ونصبت الشرك فاقتنصت فتحكم كيف شئت وخل الغرم والصيت فعرض على كل منهم قسطا واستخلصه منهم نطا ثم فتح الأقفال ووسم الأغفال وأزال الإعجال بأغلوطة مزة الفوه وقال لابنه قم إلى اليوم فانتصب فنزل إلى نطاق وهنها منعة الطلاق بالحرى حتى قلنا مريب ثم أنشد والدمع يجيب

سروح مطلع شمسي وربع لهوي وأنسي
لا رحمت نعيمي بها ولذة نفسي
يا قعقعت منها اغترابا أمر يومي وأمسي
ما لي مقر بأرض ولا قرار لعنسي
يوما بنجد ويوما بالشام أضحي وأمسي
أزجي الزمان بقوت منغص مستخس
ولا أبيت وعندي فلس ومن لي بفلس
ومن يعش مثل عيشي باع الحياة ببخس

ثم إنه اختبس خلاصة النفس وندر ضاربا بيده الأرض فما شعرنا إلا بعوده وأنسينا له الوعود فلا وأبيك ما رجع ولا التعريج له نجع

المقامة الثالثة والأربعون وتعرف بالبكرية

أخبر الحرث بن همام قال هفا بي البين المطوح والسير المبرح إلى أرض يضل بها الخريت وتفرق فيها المصاليت فوجدت ما يجد الحائر الوحيد ورأيت ما كنت منه أحيد إلا أني شجعت قلبي المزؤود ونضوت المجهود وسرت سير الضارب بقدحين المستسلم للحين ولم أزل بين وخد وذميل وإجازة ميل بعد ميل إلى أن كادت الشمس تجب ومراد الضياء يحتجب فارتعت لإظلال الظلام واقتحام جيش حام ولم أدر أأكفت الذيل وأرتبط أم أعتمر الليل وأختبط وبينا أنا أقلب العزم وأنتخل الحزم تراءى لي شبح جمل مستنيخ تحت جبل مشمخ فعلمت أنه مريح

ونصرته نصر مشيح فإذا الحق كهانة والركوب عيانة والمرح
فرازه من يجاده واكتحال قاده فجلست عند رأسه حتى هب من
نعاسه فلما ازدهم سراجاه وأحس من باجاه نعر كما ينعق الحريب و
قال أحود أم الربيب فقلت خابط ليل ضل المسلك فأضئ لي أنرح
لك فقال ليهمس عندها همس قرب أخ لك لم تلده أمك فلا تسر عند
ذلك إشفاقي وسرى الروس إلى آمالي فقال عند الصباح يحمد القوم
السرى فهل ترى كما أرى فقلت إني لا أهوى لك من حبابك وأوفق
من غرائبك مصرع لحجتي وتخبخ بصحبتي ثم اختطلنا مجتز وارتحلنا
مرجبين ولم نزل نعاني السرى ونعاصي الكرى إلى أن بلغ الليل غايته
ورفع الفجر رايته فلما أسفر الفاجح ولم يبق إلا واضح توسمته
رفيق رحلتي وسمير ليلتي فإذا هو أبو زيد مطلب الناشد ومعلم
الراشد فتهادينا تحية المحبين إذا التقيا بعد البين ثم تباثثنا
الأسرار وتناثينا الأخبار وبعيره نغلة من الكلال وراحلته تزف
زفيف الرئال فأعجبني اشتداد أسرها واشتداد صبرها وأخذت
أستشف جوهرها وأسأله من حيث نجرها فقال إن لهذه الناقة خبر
حلو الرواية مليح السياقة فإن أحببت استماعه فأنخ وإن لم تشأ فلا

تج

١١٦

نضج فأخنت لقوله نضوي وأمرقت السمع لما يروي فقال اعلم أنه
اشتغ ضمنها بحضرموت وكابدت في تحصيلها الموت فما زلت أجوب
عليها البلدان وأهصر بأخفافها الظران إلى أن وجدتها عجز أسفار
وعدة من لا يلحقها العنا ولا تراهقها وجنا ولا تدري ما القنا فلا
زجرتها بالعنيم والنش وأخللتها محل الابن الشهم فاتفق أن ندت من مدة
وما لحقوا بها من فترة فاستشعرت الأسف واستشرفت التلف و
نسيت كل رزء سلف فمكثت ثلاثا لا أستطيع انبعاثا ولا أطعم النوم
إلا حثاثا ثم أخذت في استقراء المسالك وتفقد المسارح والمبارك
وأنا لا أستنشي منها ريحا ولا أستغشي ياسا مريحا وكلما اذكرت مضاءها
في السير وإبراءها على مباراة الطير لاعني الادكار واستغوتني الأفكار فبينما
أنا في حواء بعض الأحياء إذ سمعت من شحط متبعد وصوت مجرد من ظلت له
مطية حضرمية وحلية جلدها نرديم وعرنها من لجين وزمامها من نضم
وظفرها كان فيركم ثم جبر بزين الماشية وتعبر البادية وتقطع المسافة
النائية وتظل أبر لك من رائية لا يعتورها الونى ولا يعترضها الوجى ولا
تحوج إلى العصا ولا تعصي في من عصى **قال أبو زيد** فجذبني الصوت
إلى الصائت وبشرني برد الفائت فلما أفضيت إليه وسلمت عليه

قلت له سلم القصية وتسلم العصية فقال وما قصيتك عمت
مصيبتك قلت ناقة جثتها كالهضبة وذروتها كالقبة وحلبها ملء
العلبة وكنت أعطيت بها عشرين إذ حالت بيبرين فاستزدت الجد
أعطا ودريت أنه أخطا قال فأعرض حين سمع صفتي وقال للسنبطا
حب لقطتي فأخرت بتلابيبه وأصررت على تكذيبه وهممت بتمزيق
جلابيبه وهو يقول يا هذا ما قصيتي بطلبتك فاكفف عن غربك وعد
عن سبك وإلا فتقاضني إلى حكم هذا الحي البريء من الغي فإن أوجبها لك
فتسلم وإن زواها عنك فلا تتكلم فلم أر دواء قصتي وأمساغ غصتي
إلا أن انقاد لحكمه وتولجم فانطلقنا إلى شيخ ركين النصبة أنيق العصبة يونس
منه سكون الطائر والنسير الجائر فانبرأت أتظلم وأتألم وصاحبي
لا ينبس حتى إذا انثلت كنانتي ونضبت من النصح لبانتي أبرز نعلا رثيثة
الحزن مخروطة لمسلك الحزن وقال هذه التي عرفت وإياها وصفت فإن
كانت هي التي أعطى بها عشرين وها هو من المتبرين فقد كذب في دعواه
وكبر ما افتراه اللهم إلا أن يمر قذاله ويبين مصرا وما قاله فقال الحكم
اللهم غفرا وجعل يقلب النعل بطنا وظهرا ثم قال أما هذه النعل فنعلي
وأما مطيتك ففي رحلي فانهض لتسلم ناقتك وافعل الخير بحسب :.

طاقتك

كما قنطا قعمت وقلت ... أقسم بالبيت العتيق الحرم
والطائفين العاكفين في الحرم ... إنا نعم من الله تحتكم
وخير قاض في الأعاريب حكم ... فأسلم ودم ذا النعام والنعم

فأجاب من غير روية ولا عزبية

جزيت عن شكري خيرا يا ابن عم ... إذ لمت أستوجب شكرا يلتزم
شر الأنام من إذا استقضى ظلم ... ثم من استرعى فلم يرع الحرم
فزار والكلب سواء في القيم ... ثم إنه بعث نفرا من يسلم الناقة التي لم يبق منها على فرحتنا أجز
ذيل الطرب وأفوز بالعجب

قال الحارث بن همام فقلت له تالله لقد أحرزت وهرقت بما عرفت
فبارك الله فيك أشخص منك بلاغة وأخصر لفظة صياغة فقال
اللهم نعم فاسمع وانعم كنت عن مدة حين اتهمت على أن أحترز عيبه
لتكون لي معينة فجبن تعبير الخطب وكاد الأمر يستتب أفكرت في النجم
من النوم المتأمل كيف مسقط السهم وبث يلقى أناجي القلب المعذب
وأقلب العزم المذبذب إلى أن أجمعت على أن أنجع وأنشأ وأزور من
أنضر بلمه نوض الظلمة أطنابها وولت الشهب أذنابها :.
عزوت عن المتعرف وانتكرت انتكار المتعيف فانبرى لي بائع في
وجهه تابع فتيممت بمنظره البهيج واستفزني رأيه في التزويج

فقال أتبغيها عوانًا أو بكرًا تعانا فقلت اختر لي ما ترى فقد ألقيت
إليك العرى فقال لي التنبيه وعليك التخيير فاسمع أنا أبو زيد بعد
دعاء عليه **أما** البكر فالدرة المخزونة والبيضة المكنونة والثمرة
الباكورة والسلافة المذخورة والروضة الأنف والطوق الذي لم يتثقف
لم يدنسها لامس ولا استغشاها لابس ولا مارسها عابث ولا وكسها طا
مث ولها الوجه الحيي والطرف الخفي واللسان العيي والقلب النقي ثم
هي الدمية الملاعبة واللعبة المداعبة والغزالة المغازلة والملحة
الكاملة والوشاح الطاهر القشيب والضجيع الذي يشب ولا يشيب **وأما**
الثيب فالمطية المذللة واللهنة المعجلة والبغية المسهلة والطبة
المعللة والقرينة المتحببة والخليلة المتقربة والصناع المدبرة و
الفطنة المختبرة ثم إنها عجالة الراكب وأنشوطة الخاطب وقعدة
العاجز ونهزة المبارز عريكتها لينة وعقلتها هينة ودخلتها
متبينة وخدمتها متزينة وأقسم لقد صدقت في النعتين وأجليت
المعنيين فأيهما هام قلبك وعلى أيتهما قام زندك **قال أبو زيد**
فرأيتها جندلة تتقيها المراجم وترمى منها المحاجم إلا أني قلت له
كنت سمعت أن البكر أشد حبًا وأقل خبًا فقال لعمري قيل هذا ولكن

كم

كم قول أذى وقيل أذى أما هي المهرة الأبية العنان والمطية البطية
الإذعان والزندة المتعسرة الاقتداح والقلعة المستصعبة
الافتتاح ثم إن مؤونتها كثيرة ومعونتها يسيرة وعشرتها
صلفة ودالتها متكلفة ويدها خرقاء وفتنتها صماء وعريكتها
خشناء وليلتها ليلاء وفي رياضتها عناء وعلى خبرتها غطاء ولطا
لما أخزت المنازل وفركت المغازل وأضحكت النازل وأضرعت
البعل الباذل ثم إنها التي تقول أنا البس وأجلس فاطلب من يطلي و
يجلس **فقلت له فما** ترى في الثيب يا أبا الطيب فقال ويحك أترغب في
فضالة المآكل وثمالة المناهل واللباس المستبذل والوعاء المستعمل
والزوافة المتطرفة والخراجة المتصرفة والوقاح المتسلطة والمتحكمة
المتسخطة ثم كلمتها أنا كنت وصرت ولطالما بغي علي فنصرت
وشتان ما بين اليوم وأمس وأين القمر من الشمس وإن كانت
الحنانة المنانة والحداقة الملولة فهي الغل القمل والجرح الذي
لا يرم **فقلت له** ما ترى أن أترهب وأسلك هذا المذهب فانتهرني
انتهار الموتور عند زلة المتأدب ثم قال ويلك أتقتدي بالرهبان و
الحق قد استبان أف لك ولوهن رأيك وتبا لك ولأوليك أن ادا

١١٦

ما سمعت بأن لا رهبانية في الإسلام ولا حدثت بما نكح نبيك
عليه السلام ثم أما تعلم أن القرينة الصالحة ترب بيتك وتلبي
صوتك وتغض طرفك وتطيب عرفك وبها ترى قرة عينك وريحانة
أنفك وفرحة قلبك وتعلة يومك وغدك فكيف رغبت عن سنة
المرسلين ومتعة المتأهلين وشرعة المحصنين ومجلبة المال و
البنين والله لقد ساءني فيك ما سمعت من فيك ثم أعرض إعراض
المغضب ونزى نزوان العنظب فقلت له قاتلك الله أتنطق
متعنتا وتتركني متحيرا فقال الضب ترعى الخيم له انخلل عمينه و
تستغني عن المعين فقلت له قبح الله طيبك ولا أشب قرنك ثم
رحت عنه مراح الخزيان ونبت عن مشاورة الصبيان قال الحرث
ابن همام فقلت له أقسم بمن أنبت الأيك إن الخبر منك والنبك ما غيك
في الفحك وضرب ضرب المنتهك ثم قال العوا عسلا ولا تسل وأخذت
أسهب في مدح الأدب وأفضله على ذي النشب وهو ينظر إلي نظر
المستجهل ويغضي عني إغضاء المتمهل فلما أسهبت قال صه واسمع

مني وافقه يقولون إن جمال الفتى وزينته أدب راسخ
وما إن يزين سوى المكثرين ومن طود سودده شامخ

فأما الفقير فخير له من الأدب القرص والكامخ
وأي جمال له أن يقال أديب يعلم أو ناسخ

ثم قال سيتضح لك صدق لهجتي واستنارة حجتي فسرنا لا نألو جهدا
ولا نستفيق جهدا حتى أدانا السير إلى قرية عزب عنها الخير فدخلناها
لالارتياد وكلانا منفض من الزاد فلما بلغنا المحط والمناخ المختط
إذ الفتى غلام لم يبلغ الحنث على عاتقه ضغث فحياه أبو زيد تحية
المسلم وسأله وقفة المفهم فقال وعم تسأل وفقك الله فقال أيباع ها
هنا الرطب بالخطب فقال كلا والله قال ولا البلح بالملح قال كلا والله
قال ولا التمر بالسمر قال هيهات والله قال ولا العصيدة بالقصيدة قال
اسكت عافاك الله قال ولا الثريد بالمعنى الدقيق قال أين يذهب بك أرشدك
الله قال ولا الثرائد بالقلائد قال عد عن هذا أضلك الله واستخلى
أبو زيد تراجع السؤال والجواب والتكايل من هذا الجراب ولمح الغلام
أن الشوط بطين والشيخ شو يطين فقال له حسبك يا شيخ قد عرفت
فنك واستبنت أنك مخز الجواب ضمة واكتف بما خبرته أما بهذا
المكان فلا يشترى الشعر بشعيرة ولا النثر بنثيرة ولا القصص بقصاصة
ولا الرسالة بغسالة وأما جيل هذا الأوان فما يبيعون من يمنح إذا صيغ

والحكم لقمان بلقمة ولا أخبار
الحلاج بلحمة

١٠٧

اذا اصبح له الهريج ولا من يجير اذا نشزت له الاراجيز ولا من يغيث اذا

ارهبه الغريث ولا من ينعش ولو انه امير وعندهم ان مثل الاديب كالربع

الجديب ان لم يجده ربع ديمة فما له قيمة ولا دانته بهيمة وكذلك

الاديب ان لم يعضده نشب فبرزته نصب وحرفته حصب ثم انسدر يعدو

وولى يحدو فقال لي ابو زيد اعلمت ان الادب بار وولت انصاره الادبار

فبؤت له بحسن البصيرة وسلمت بحكم الضرورة فقال دعنا الآن من

المصاع وخذ في حديث القصاع واعلم ان الانتجاع لا تشبع من جاع فما

التدبير فيما يسد الرمق ويطفي الحرق فقلت الامر اليك والزمام بيديك

فقال ارى ان ترهن سيفك لتشبع جوفك وضيفك فناولنيه واقم لي

لانقلب اليك بما تلتقم فاحسنت به الظن وملكته السيف والرهن

فما لبث ان ركب الناقة وركض الصرافة فمكثت مليا ارتقبه

ثم نهضت اتعقبه فكنت كمن ضيع اللبن في الصيف ولم

انعم ولا السيف

المقامة الرابعة والاربعون وتعرف بالصنعبية

حكى الحارث بن همام قال عشوت في ليلة داجية الظلم فاحمة اللمم

الى نار تضرم على علم وتخبر عن كرم وكانت ليلة جوها مقرور وجيبها

مزرور

مزرور ونجمها مغمور وغيمها مركوم وانا فيها اصرد من عين الحربا

والعنز الجربا فلم ازل انضي عنسي واقول طوبى لك يا نفسي الى ان

تبصر الموقد الي وتبين فالتي بالخدر يعدو الجمزا وينشد من تجزا

حييت من خابط ليل سار ... هداه بل اهداه ضوء النار

الى رحيب الباع رحب الدار ... مرحبا بالطارق المشتار

ترحاب جعفر الكف بالدينار ... ليس بمزور عن الزوار

ولا لمغتام القرى مبخار ... اذا اقشعرت ترب الاقطار

وضنت الانواء بالامطار ... فهو على ابرام الضمار

جم الرماد مرهف الشفار ... لم يخل في ليل ولا نهار

من نحر وار وانتحار وار

ثم تلقاني بمحيا حيي وصافحني براحة اريحي فاقتادني الى بيت عشار

تخور واعشار تفور وولايد تموز ومواقد تزور وباكناره

اضياف قد جلبهم جالبي وقلبوا في قالبي وهم يجتنون فاكهة الشتا

ويمرحون مرح ذوي الفتا فاخذت ماخذهم في الاصطلا ووجدت بهم

وجد الثمل بالطلا ولما ان سري الخصر وانسرى الخصر اتينا بموايد

كانها هالات دورا والتي وضات نورا وقد شحنت باطعمة الولايم

وخصيبون من العجايب واللاي من بعضنا ما قيل في الفطنة ورأينا الامعان

بيعانى الفطنة حتى إذا اكتلنا بصاع الخصم واشعبنا على خصم

التحم نعاورنا منشر النعمز ثم تبوأنا مغاعر للسمز واخذ كل منا

يشول بلسانه وينفث ما في صوانه ما عن اشيخنا مشتمسا هودا له مخلق

لقانه داه قانه ربض حجرة وارسعنا هجوله بغاطنا تجيبة الملتبس

موجبة المغرور بيه موبنة إلدا انا الثالثة الغزل وخشينا في المسلة .

الغزل وكلما رمنا ان نعيض كما بضنا او نبيض كما ابضنا اعرض اعراض

العلبة عن الارذلين وتلا ان هذا إلا اساطير الاولين ثم كان الخيبة ها

جنة والنفس الابية ناجنة برله وازدلف وخلع الصلف وبزل ان

يتلافى ما سلف وانربع كالشبل الغام وقال

عندي اعاجيب ارويها بلا كذب عن العيان فكنوني ابا العجب

رأيت يا قوم اقواما غذاؤهم بول العجوز وما اعني ابنة العنب

بول العجوز لبن البقرة والعجوز ايضا من اسماء الخمر

ومستنير من الاعراب فوقهم ان يشتوا خرفة تغني من الشعب

الخرفة القطعة من الجراد

وقادرين متى ما ساء صنعهم ان نقض واقيه قالوا الذنب للحطب

الغادر



الغادر الطاعن في الغدر والغدير المطبوخ في القدر

وكاتبين وما خطت انا ملهم حرفا ولا قروا ما خط في الكتب

الكاتبون الخرازون ويقال كتب البغلة والمزادة اذا خرزهما وكتب

البغلة والناقة اذا جمع بين شفريها بحلقة ومنه قول الشاعر

لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها باسيار

وتابعين عقابا في مسيرهم على تكبيبهم في البيض والعلب

العقاب الراية وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب والبيلب الدروع

ومعشر بزعوية نبل بدت لهم نبيلة فانثنوا منها الى الهرب

النبيلة الجيفة ومنه تنبل البعير اذا مات واروح

وعصبة لم ترى البيت العتيق وقد تحت جثيا بلا شك على الركب

معنى حجت جثيا اي غلبت بالحجة مجادلين جاثمين على الركب وجثي جمع جاث

ونسوة بينما اذ لحن من حلب صحو كاظمة من غير ما تعب

ومن نجبو سروا من ارض كاظمة فاصبحوا حين لاح الصبح في حلب

كاظمة في هذا الموضع كاظمة الغيظ اي اصبحوا يحلبون اللبن

ويا بعا لم بلا شرنقة غاثية ظاهرته وله نسل من العقب

النسل ما نسلنا الغزو ومنه قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون والعقب مؤخر القدم

وشايبا مستصحبا بالمشيب برا في البدو ونحو بنو ابيه لم يشيبه

الشايب هاهنا مازج اللبن والمشيب اللبن الممزوج يقال منه مشيب و

ومرضعا بلبان لم يذقه فمه رايته في شجار بين السبب

الشجار المحفة مالم تكن مظللة فان ظللت فهي الهودج والسبب هاهنا

الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء

وزائر عادة حتى اذا احضرت طارت غنيمته اي بقراها اخو الطرب

الغبيراء السكر المتخذ من الذرة وتسمى ايضا السكركة بلغة الحبش

والكاف وفي الحديث اياكم والغبيراء فانها خمرة العالم

وراكضا وهو معقول على جمر فرغ ايضا وما بقه من خبب

المعقول هاهنا العطشان وغل ايضا اي عطش

ودائر هلو بقناد راحلة ثنته مجلة وهو مأسور اخو كرب

المأسور الذي يحتبس بوله وهو احتباس البول

وجالسا ماشيا تهوي مطيته به وما في الذي اوردت من ريبه

الجالس الذي يجوا والماشي الذي كثرت ماشيته وعليه فسر بعضهم قوله

تعالى ان امشوا واصبروا كانه دعا لهم بالنماء وكثرة الماشية

وحاسبا اجزع الكفين ... فان عجبتم فكم في الخلق من عجب

وساعيا في مسرات ...

الحايك هاهنا الذي اذا مشى حرك منكبيه وركبتيه

وذا نشاط كعير راح في قامته حادبته يمشي يشكو من الحدب

الحدب ما ارتفع من الارض

ومغتنما منك جان ان جالسه وماله في حديث الخلق من ارب

الخلق هاهنا الكذب ومنه قوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين

وذا اذى مالم يرفث بالغيبة مثله وكان ماوله في مذهب العرب

الرمام الاول القصد والثاني جمع رمة وهي البير القليلة الماء وعنى

بالمذهب المسلك اي كلا اي ماله في البرو

وذا قوى ما انثنت فيه لينته ولينه منتشر عنه محتجب

اللين النخل الدقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة

وساجرا فوق محل غير ممكنة بما اتى بال ... ابطل الغرب

وعاذرا لو لما من ظل يعذر له مع التلطف والمعذور في تعب

البعل الحصير المنقوم من ... النخل والعاذر الخاتن والمعذور المختون

وبلدة ما بها ماء لمغترف والماء يجري عليها جري منسكب

البلدة هاهنا الفرجة بين الحاجبين وتسمى ايضا البلجة

وقريبة دون انجوم انقطاع شحت ... بين ... عيشهم من خلسة الشلب

الغربة بيت النمل والدبلم النمل الكثير

وكم كبا ينبو اري عسر روبة الانسان حتى يرى في امنع الحجب

الكوكب النكتة من البياض التي تحدث في العين والانسان هاهنا انسان العين

وزوته فوضت ماله لدخل ونفس صاحبه بالمال لم تطب

اي وثنه مغرم الانس

وصحبة من نضار خالص شربت بغير المكاس بغير الخمر من الذهب

النضار هاهنا شجر النبع وقال بعض الناس يعنى بها اسراريشرب في قدح

النضار وعنى به هنا

ومنحجبنا بخشخاش لبرفع ما اظله من اعاديه فلم يخب

وما لما مرء في كلب وفي فمه نور ولكنه نور بلا ذنب

الخشخاش جماعة عليهم دروع واسلحة والنور القطعة من الانط

وكم رايت ناظرية بيلا على اجمل وقد تورد فوقه الحمل والقتب

وكم لقيت بعرض البيد مشتكيا وما اشتكى قط في جد ولا لعب

العيل ماهنا الرجل العايل الجرار والمشتكي المتخذ شكوة وهي القربة الصغيرة

وكنت ابصرت كرارا الراعية بالروم يبطر من عنبر كالشهب

وكم رايت مقلتي عنبير ما وهما تجري من الغرب والغيناء في حلب

الكراز هاهنا كبش يحمل عليه الراعي اداته والغرب مجرى الدمع والعينان

المقلتان وحلب البلدة المعروفة

وطاد عابالغنام يوم ان علقت كفاه يوما برمح ولم يثب

العنان ارتفاع الانف وتخرب وسطه وصرع بداي كشبه

وكم نزلت بارض لا نخيل بها وبعد يوم رايت البسر في القلب

البسر هاهنا جمع بسرة وهي الماء الحديث العهد بالمطر والقلب جمع قلب

وكم رايت بافطار الفلا ضبعا يصيح في الجو منصبا الى صبب

وكم مشايخ في الدنيا رايتهم مخلدين ومن ينجوا من العضب

الضبع القطعة من الجراد والمخلد الذي ابطا شيبه

وكم براني وحش يشتكي سغبا بمنطق لو امض من القضب

الوحش الرجل الجايع

وكم دعاني منتنج بحادثني وما اخل ولا اخللت بالادب

المستنجي الجالس على نجوة من الارض وهو المكان المرتفع الذي تطوانه بخاوك

وكم اخذت قلوصي تحت جنبرة تظل ما شئت من عجم ومن عرب

الجنبرة القبة والعرب جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها

وكم نظرت الى من ترساعنة ودمعه منتشل القطر كالسحب

سرار قطع سرر وسرر ايضا ويسمى الباقي بعد القطع السرة

وكم رأيت قميصا صاحبه حتى انثنى واهوى داعظا والعصب

القميص هنا الزانة الكثيرة القماش

وكم إزار لدوان الرمح أتلفه بحجف لبن حنيث السبيم مخضرب

الازار المراة ومنه قول الشاعر من الجامز أخي ثقة ازار

معزا وكم مزا ابين معجبة عنها ومن قالح تلهو ومن تخب

بان بطنتم للحمر العوان بان لكم صرف وود لكم طلع على رطب

وان شر تعنتم بان العارية على من لا يميز بين العود والخشب

قال الحارث بن همام بصعفنا نخبط في تغلب فريضة ونازل

معاريضة ومن يلكوا بنا لغوالحلق بالتحجي ويعول البهر بعضد

بادرجي إلى أن تعتم النتاج واستحكم الارتتاج بالعيسا البية

المفادة وخصصنا منه الإبادة بوقفنا بين الصمع والبائن وقال

الإيناس قبل الإبساس فعلمنا انه ممن نشب في الشكم وتنشى

في الحكم وساء ابوامثوانا ان تعرض للغرو او تغيب بالرغم فما

خض ناقة عبرية وحلة سعبرية وقال له خذها حلالا وكان ازا

اضبابي زبالا وقال اشهد انها شنشنة اخزمية وارجية

حاليته

حاليته ثم قابلنا بوجه بشره يشف ونضرته تشف وقال يا قوم إن الليل

فراخلوة والنعاس فراشنجوة فاجمعوا أن المرافقة واغتنموا

راحة الرافقة لتشتبوا نشاطها وتبعثوا نشاطها للتعلم اما ابتسم

وتنسهل لكم المتعسر واستصوب كل ما راه وتوسم وسادة

كراه فلما سنت الاجبال واغبت الضبعار وثب إلى الناقة

فرحلها ثم ارتحلها ورحلها وقال مخاطبا لها

سروج يا ناق وسيري وخدي واذنجي واوبي واسري

حتى تطأ خفاك مرعاها النضر فتنعمي جنبيز وتسعري

وتامنوا ان تنهضي وتخجري ابنه بريد النووجم واجهري

واستعي بالنفسج عين الورد وارقي اديم برير بقربر

والغطي دور ذات الغصر بقر حلقت حلقة المحتهر

نحومة البيت ارميع العمر إنك ان احللتني ببلر

حللت مني بحزالسولر

قال وعلمت انه السروجي الغدا اباع ابباع واذا املالطاع

انطاع ولما انبلج صباح اليوم وهب النوام من النوم اعلمتهم ان

الشيخ حين اغشاهم النعاس طافهم البتات وركب الناقة وبات

[illegible]

وقوله ذهبنا تحت كل كوكب هذا المثل يضرب لمن تختلف في السير طرقهم وتتباين سبلهم

المقامة الخامسة والأربعون وتعرف بالرملية

حكى الحرث بن همام قال كنت أخذت عن أولي التجارب أن التغرب مرآة الأعاجيب فلم أزل أجوب كل تنوفة وأقتحم كل مخوفة حتى اجتليت كل الطرفة فمن أخصر ما لحظته وأغرب ما استملحته أن حضرت قاضي الرملة وكان من أرباب الدولة والصولة فترافع إليه بال و ذات جمال في أسمال فهم الشيخ بالكلام وتبيان المرام فمنعته الفتاة

فأخرتم ما فرط وما حرث ونسوا ما طاب منه بما خبثا ثم انشعبنا في كل منشعب وذهبنا تحت كل كوكب

قال الشيخ الأجل أبو محمد القاسم بن علي أدام الله سعده

[illegible]

عن الأبطاح وخساسته عن البناخ ثم نصت عنه بفضلة الوشاح وأنشدت
بلسان السليطة الوقاح

يا قاضي الرملة يا ذا الذي ... في يده التمرة والجمرة

أشكو إليك جور بعلي الذي ... لم يحجج البيت سوى مرة

وليته لما قضى نسكه ... وخف ظهري إذ رمى الجمرة

كان على رأي أبي يوسف ... في صلة الحجة بالعمرة

هذا على أني من خفتي ... إليه لم أعوله أمره

بمرة إما ألقه حلوة ... ترضو وإما فرقة مرة

من قبل أن أخلع ثوب الحيا ... في طاعة الشيخ أبي مرة

فقال له القاضي قد سمعت ما عزته إليك وتوعرت عليك فجانب ما
عنه ذاد أن يعرك وتعدك فجثا الشيخ على ركبتيه ونجم بشؤبوب بغثاثته وقال

اسمع غداة الروع قولي في ... يوضح فيما رابها عذره

والله ما أعرضت عنها قلا ... ولا هوى قلبي فضى نشره

وإنما الروع عراض به ... فاستلب الدرة والنشرة

فمذ دفعي لا حيز بها ... عقلا من الجزعة والشرزه

وكنت من قبل أرى في التقى ... ودينه رأي بني عذرة

بجز

فمذ نبا الروع بجحت الرما ... نحوي ارعويت احبر حزره

وملت عن حرثي لا رغبة ... عنه ولكن أتقي بذره

فلا تلم من هذه حاله ... واعطف عليه واحتمل هذره

قال فالتفت المرأة من مقالته وانتضت الحجج لجداله وقالت له ويلك
يا من فعال يا من هو كالضفادع والضفادع أتضيق بالولد ذرعا ولكل أكولة مرعى
لقد ضل فهمك وأخطأ سهمك وسفهت نفسك وشقيت بك عرسك فقال لها
القاضي أما أنت فلو جادلت الخنسا لانثنت عنك خرسا وأما هو فبان
كاذبا في زعمه ودعوى عزمه فله في هم فبغيه ما يشغله عن بذره
فأطرقت تنظر ازورارا ولا تراجع حوارا حتى قلنا قد راجعها الخجل أو حاق
بها الفجع فقال لها الشيخ تعسا لك أرزقت أن كتمت ما عرفت فقالت
ونحن هل بعد الفضائح كتم أو بقي لنا على سر ختم وما بيننا الأمر صرق وهتك
صونه إذ نطق بليتنا لا فينا البكم ولم تلو لفكم ثم انبعثت بوشاحها
وتباكت لافتضاحها وجعل القاضي يعجب من خطبيهما ويعجب ويلوم لهما
الزمن ويؤنب ثم أخرج من الورق ألفين وقال أرضيا بها الأجوبين وعاصيا
التلازع بين المحبين فشكراه على حسن السراح وانطلقا وهما كالماء والراح
وطفق القاضي بعد منصرفهما وتناءي شخصهما يثني على أدبهما ويقول

هل من عارف بهما فقال له عين أعوانه وخالصة خلصانه أما الشيخ فالسروجي
المشهود بيقظة وأما المرأة فقعيدة رحله وأما تحاكمهما فمكيدة من مغلة
وأحبولة من حبائل ختله فأحفظ القاضي ما سمع وتلهف كيف خدع ثم قال
للراوي بهما امض فخذهما ثم اقصرهما وصدهما بنقض ينقض مذروبه ثم
عاد بعد أن أضرب به فقال له القاضي أطلعني على ما نبثت ولا تخف عني ما
استخبثت فقال ما زلت أستقري الطرق وأستفتح الغلق إلى أن أدركتهما
مصحرين وقد زمّا مطيّ البين من غيبتهما في القلق وتكلفت لهما بنزر الأمل
والشرب فقلب الشيخ أذن يائس وقال العراء ويغراب أكبر وقالت المرأة بل
العود أحمد والعروة يثمر فلما تبين الشيخ سعة رأيها وعوار اجترائها
أمسك ذكاء لها وأنشأ يقول لها

دونك نصحي يا فتى سبله ... واغن عن التفصيل بالجمله
لهيبة متى نفرت من خلة ... وطلقيها بتة بتله
وحاذر العود إليها ولو ... سبلها ناظورها الأبله
يحق ما اللص إذا لم يرى ... بلدة فيها له عمله

ثم قال لعن عنيت فيها وليت ما زجع رعيث جنت ومن حربها ارتبت
زودا لا تعب جيلك بالأذى فتضحى وشمل الحال والجمع منصرع

ولا تتغضب من تزيد سائل بما هو في صوغ اللسان بمنسرع
وإن ند قرناء تعاسنه خربعة فقبلك الشيخ الأشج بني فقرع
فقال له القاضي قاتله الله ما أخبث شجونه وأملح فنونه ثم إنه أصحب
رائده بديتي وصرة من العين وقال له بن سني من كان ... اتبعاه إلى أن ترى
الشيخ والفتاة فبل بريهما بهرة الحبا وبر لهما الخداع للأدبا فقال
الراوي فلم أر في اغترابي كهذا العجب العجاب ولا سمعت بمثله من حاكي وجاب

المقامة السادسة والأربعون وتعرف بالحلبية

حدث الحارث بن همام قال نزع بي إلى حلب شوق فرفلت وطلب
يا له من طلب وكنت يومئذ خفيف الحاذ حثيث النفاذ فأخذت أهبة
السير وخففت نحوها خفوق الطير ولم أزل مذ حللت ربوعها وأر
تعت ربيعها أباكر الأيام فيما يشفي الغرام إلى أن أفرغ القلب عن
ولوعه واستطار غراب البين بعد وقوعه فأغراني الفراغ والخلو والمرح
الحلو بأن أقصد حمص لأطالع بقعتها وأسبر فاعة أهل بقعتها فما
سرعت إليها إسراع النجم إذا انقض للرجم فعبير خيمت بي شومها وو
جرت روح نسيمها لمح طرفي شيخا قد أبر على بنيه وأخذ عن بنيه وعنده
عشرة صبيان صنوان وغير صنوان فطاوعت في نصرة الحرمان لأخبر به

أدبا أحض فبشر ذهبي واقتنه وحيا بأخشن مناجبيته فجلبت إليه لا يلوحني نطفة واكتنه كنه حمقه فما لبث أن أشار بعصيته إلى كمي أصيبية وقال له أنشد الأبيات العواطل واحذر أن تماطل فجثا جثوة ليث وأنشد من غير ريث

أعدد لحسادك حد السلاح ... وأورد الآمل ورد السماح

وصارم اللهو ووصل المها ... وأعمل الكوم وسمر الرماح

واسع لإدراك محل سما ... عطاده لا لادراع المراح

والله ما السؤدد حسو الطلا ... ولا مراد الحمد رود رداح

وأما لحر صدره واسع ... وهمه ما سر أهل الصلاح

مورده حلو لسؤاله ... وماله ما سألوه مطاح

ما أسمع الآمل ردا ولا ... ماطله والمطل لؤم صراح

ولا أطاع اللهو لما دعا ... ولا كسا راحاته كأس راح

سوده إصلاح سره ... ورده أهواءه والطماح

وحط المرح له علمه ... ما مهر العرس مهور الصحاح

فقال له أحسنت يا بني يا رأس الزين ثم قال لتلوه المشتبه بصنوه ادن يا نويره يا فم الدويره فدنى ولم يتباطا حتى حل منه مقعد

المعالا

اقفالها فقال له اجل الأبيات الغرائب وإن لم تكن نفائس في القلم وقفة ثم اختطف اللوح وخط

فتنتني فجننتني تجني ... بتجن يفتن غب تجني

شغفتني بجفن ظبي غضيض ... غنج يقتضي تغيض جفني

غشيتني بزينتين فشفتني ... بتزين يشف بين تثني

فتظنيت تجنيني فنجزيني ... بنعت يشفي بجيب ظنيني

ثبتت في غيض جيب بتزيين ... خبيث يبغي تشفي ضغني

بفن شيق تجنبني فشتتني ... بنشيج يشجي بغير بغي

فلما نظر الشيخ إلى ما حبره وتصفح ما زبره قال له بورك فيك من طلا كما بورك في لا ولا ثم هتف اقترب يا فقيه فاقترب منه فتى يحكي نجم دجية أو تمثال دمية فقال له ارقم الأبيات الأخياف وتجنب الخلاف فأخذ القلم ورقم

اسمح فبث السماح زين ... ولا تخب آملا تضيف

ولا تجز رد ذي سؤال ... فنن أم في السؤال خفيف

ولا تظن الدهور تبقي ... مال ضنين ولو تقشف

واحلم فحفظ الكرام يغضي ... وصدرهم في العطاء نفنف

ولا تخن عن مرتجي ودا ثبت ولا تبخ ما شرقه

فقال له لا شلت يداك ولا كلت مداك ثم نادى يا غشمشم يا عظمظم

فلباه غلام كدرة غواص أو جذوة مقتاض فقال له اكتب الأبيات المختلفة

ولا تكن من المتشائم فتناول القلم المثقف وكتب ولم يتوقف

زينت زينب بقد يقد ... وتلاه ويلاه نهد يهد

جيدها جندها وظرف وطرف ... ناعس ناعش بغير تحد

قدرها قدرها وتاهت وباهت ... واغترت وغرت بجد يجد

فارقتني فأرقني وشطت ... وسطت ثم وجد وجد

فرنت بريث وحنت وحيت ... مغضبا مغضيا بود يود

فطفق الشيخ يتأمل ما سطره ويقلب فيه نظره فلما استحسن خطه

واستصح ضبطه قال له لا شل عشرك ولا استخبث نشرك ثم أملا

بفتى قتار يسعى غرازمها بستان ثم قال له أنشد البيتين المطرفين

المشبعين الطرفين اللذين أسكتا كل نافث وأمنا أن يعززا بثالث

فقال له اسمع لا وقر سمعك ولا مرع جمعك وأنشد من غير تلبث ولا تريث

سم سمة تحسن آثارها ... واشكر لمن أعطى ولو سمسمه

والمكر مهما اسطعت لا تأته ... لتقتني السؤدد والمكرمه

فقال

فقال له لا شلت يداك ولا طغى بك عداك أجدت يا زغلول يا أبا

الفوز ثم نادى أرخ يا ياسين ما يشاكل مردوات السين فنهض

ولم يتأن وأنشد بصوت أغن

تغص الرواة ورسغ الكف مثنية ... سينا هما إن هما خطا وإن درسا

وما كذا السين في قسيب وباسقة ... والسقب والبخس والسم واقبس قبسا

وفي تقسقست بالليل الكلام وفي ... مسيطر وشموس والخزجر نسا

وفي فريس وبزد فارس بمختبر ... الصواب منه وكن للعلم مقتبسا

فقال له أحسنت يا نغيشر يا صناجة الجيش ثم قال ثب يا عنبسة وبين

الضادات الملتبسة فوثب وثبة شبل مشار وأنشد من غير عثار

بالضاد يكتب قد قبضت دراهما ... بأناملي وأضخ لتسمع الخصم

وبضعت أبضور البصاخ وضجة ... والفضر وهو الضرز وافتض الأشم

وخضت مغلتة وهض قرصة ... وتدار عرت منه الفرائض للخوز

ونضت معشرا اذ حبست وقودنا ... فضح النطار وفو عبير منتشم

وقرضته والخمز فارضة اذ ا ... حزت البسار وكل نعرا مستنقم

فقال له رعيا لك يا بني فلقد أقررت عيني ثم استنشد ذا أحشنة

كالنيرق ونغشنة كالشوذق وأمره أن يقف بالمرطاد ويبث ما أجرى

على السين والصاد بمثل ما تحت بن دينه ثم أنشد منشئ أبياته

إن شئت بالسين ملك تكتب ما آتيته وإن تشابه فهو بالصاد يكتتب

مغص وبغص ومصطار وملص وطالع وصراط الجوز والصقب

المغص الوجع المعترض في الجوف وهو مسكن الغين والبغص

بغص البقة والمصطار الخمر المزة ويقال لها المسطار أيضا

الملص الذي يسقط من يد(؟) ما أشبه به والسالغ أخر أسنان في

الخلف والسراط معروف والسقب القرب

والسامغان ونسغ والسويق ومصلاق وعن كل منها تفصح الكتب

السامغان جانبا الفم والسغ طائر معروف والسويق معروف أيضا

والمصلاق الشديد الصوت ومنه قوله تعالى سلقوكم بألسنة حداد

فقال له أحسنت يا جبغة يا عين بقعة ثم نادى بأداء غفل يا أبا زنفل

فلباه فتى أخشن من بنطة في روضة فقال له ما في عقد هجاء الأفعال التي

أخرها الاعتلال فقال له اسمع كلاما صراحا واستمعت عراضا

ثم أنشد وما استرشد

إذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه فألحق به تاء الخطاب ولا تقف

فإن ترقبل التاء ياء كتبته بياء وإلا فهو يكتب بالألف

ما خصب الفعل الثلاثي والمعتل تعزاله والمهموز بذا احتيلف

بطرب الشيخ لما أداه ثم عوذه وفداه ثم قال سمع بل فقعقاع يا نافعة

البقاع فأقبل فتى أحسن من نار القرى في عين ابن السرى فقال له اصدع

بتمييز الظاء من الضاد لتصدع أكباد الأضداد فافتن لقوله

وافتن ثم أنشد بصوت أجش

أيها السائلي عن الظاء والضاد لكيلا تضله الألفاظ

إن حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها استماع امرئ له استيقاظ

هي ظمياء والمظالم والإظلام والظلم والظبا واللحاظ

والعظا والظليم والظبي والشيظم والظل واللظى والشواظ

والتظني واليقظ والنظم والتقريظ والقيظ والظما واللماظ

والحظي والنظيم والظيم والجاحظ والناظرون والإيقاظ

والتشظي والظلف والعظم والظنبوب والظن والشظا والشظاظ

والأظافير والمظفر والمحظور والحافظون والإحفاظ

والحظيرات والمظنة والظنة والكاظمون والمغتاظ

والوظيفة والمواظب والكظة والانتظار والإلظاظ

ووظيف وظالع وعظيم وظهير والفظ والإغلاظ

ونخيف والطرف والخلف الظامي ثم القضيع والنوغلات

وعكات والضغو والخط والخنطاو الفارطات والأوشالات

الملح رمال البحر والفارط جانى الغرط وهو النبات المربوع بشه
والأوشال الأخلاط والجماعات

وطراب الجزار والشطف والباهلات والجعضري والجوالات

الطراب ابن الصغار واحدة طرب والجزار الحمار المجرودة
واحدة طزر والشطف البؤس وسوء العيش والجعضري المتتبع
بما ليس عنده والجوالة العاجز وقيل الاكول المختال

والطرابين والخناطب والعنظب ثم الخيار والأرعال

الطرابين جمع طربان وهو دابة لا يطاق مسوها وتجمع ايضا على
طرابي بحذف النون وعلى طربى وهو جمع شاذ ولم يجئ على فعلى
الا حجلى جمع حجل والخناطب ذكور الخنافس والعنظب ذكر الجراد و
الخيار باسمين البحر والارعال جمع رعل وهو مرخل النطاح العظيم

والشنافي والزلط والطاب والكبكاب والعنظوان والجنعاط

الشنافي نواب الجبل والزلط الربع والطاب الصعب وقيل الباء منه
ميما وقيل ان الطاب والطام اسمان لسيف ابن حارث والعنظوان نبت والكبكاب

الواء يقال ما به طبطاب كما يقال ما به قلبة والجنعاط الأحمق وقيل المنتفخ

والشناظيم والتعاظل والعظلم والبظر بعد والإنعاظ

الشناظيم جمع شنظيم وهو السيء الخلق والتعاظل تلازم الجراد و
الكلاب عند السفاد والعظلم الخطمي

فمن علم سوق الشواذ رباحها فاقتفوا آثار ذي الحفاظ

وانظر فيما طرفت منها كما تقتضيه في ألفاظ كغيظ وناظ

فقال له الشيخ أحسنت لا فض فوك ولا كان من يجفوك فوالله إنك مع

الصبا لفقي اخفى من في الأرض وأجمع من نوع الغرض ولقد أوردتنا و

نقعتنا مشرع زلالك وثقفتنا تثقيف العوالي بأخذك وبذأخذكم واشكروا

لما تكفرون قال الحارث بن همام فعجبت لما أبدى من براعة مجونه

بن فاعه وأظهر من حزانة ممزوجة بمجانة ولم يزل يصرف بصره فيه و

يصوب وينقب عنه وينقب وهو كمن ينظر في خطما أو يبدي في بهما

فلما استراث تنبهي واستثار ترنمي حنو إليه وتبسم وقال لم يبق

من تتوسم فبهت بفحوى كلامه ووجدته أبا زيد عند ابتسامه و

خرق ألومه على تربية بقعة التوكي وتحتي حرفة الجمجمي وكان وجهه

أسفر رمادا أو أشرب سوادا لا أنه أنشد وما تمادى

تخيرت حمص ومللت الصناعة ... لأن رزق حظوة أهل القناعة
فما يحظى الزمن غير أن يبخ ... ولا يوهن المال إلا بضاعة
ولا أخي اللب من دهره ... سوى ما التيم يبقى بضاعة

ثم قال أما إن التعليم أشرف صناعة وأربح بضاعة وأنجح شفاعة و
أفضل براعة ورائده ذو إمرة مطاعة وهيبة مشاعة ورعية مطواعة
يتسيطر تسيطر أمير ويرتب ترتيب وزير ويتحكم تحكم قدير ويتشبه
بملك كبير لولا أنه يخرف في أمد يسير ويتسم بحمق شهير ويتغلب
بعقل صغير ولا ينبئك مثل خبير فقلت له تالله إنك لابن جلا و
علم الأعلام والساحر اللاعب بالأفهام المذلل له سبل الكلام ثم
لم أزل معتكفا بناديه ومكتنفا بمرسل واديه إلى أن غالبت بأيام الغم
ونابت الأحداث الغم بعد رقته ولعيني الغم

المقامة السابعة والأربعون وتعرف باليمامية

حكى الحرث بن همام قال احتجت إلى الحجامة وأنا بحجر اليمامة فأ
رشدت إلى شيخ يحجم بلطافة ويشعر عن نظافة فبعثت غلامي لإحضاره
وأرصدت نفسي لانتظاره فأبطأ بعدما انطلق حتى خلته قد أبق ورتب
هبذا عن صبق ثم عاد عود المخفق مستعداه الكل على مولاه فقلت

له ويلك أبطأت وطولت فزعم أن الشيخ أشغل من ذات النحيين
وفي حرب كحرب حنين فعجبت المشي إلى الحجام وحرت بين الإقدام والإحجام
ثم رأيت أن لا تعنيف على من يأتي الكنيف فلما شعرت موسمه وشا
هدت ميسمه رأيت شيخا هيئته نظيفة وحركته خفيفة و
عليه من النظارة ألوف ومن الزحام صفوف وبين يديه فتى كالقمط
منه مستشرف للحجامة والشيخ يقول له أراك قد أنزرت رأسك و
قبل أن تبرز فضائلك وتبقي نوالك ولم تغل في ذلك ولست ممن
يبيع نقدا بدين ولا يطلب أثرا بعد عين فإن أنت رضخت بالعين حجمت
في أخدعين وإن كنت ترى الشح أولى وخزن الفلس في الكيس أحلى
فاقرأ عبس وتولى واغرب عني وإلا فقال الفتى والذي حرم صوغ
المين كما حرم صيد الحرمين إذ لا فلس من أين بيني فنشوبسبل تلعقني
وأنظرني إلى سعتي فقال الشيخ ويلك إن مثل الموعود كمثل العود
موثق أن يترك العطب أو يترك منه اللهب فما يدريني أعطل
من عود ذاجني أم أخطل منه على عنائه ثم ما الثقة بأنك حين تستعره
ستفي بما تعد وقد صار الغدر كالتحجيل في حلية هذا الجيل فارحني
بالله من مطلك التعريض وارحل إلى حيث يعوي الذئب فاستنوق الغلام

إليه ومنذ استولى الخجل عليه وقال والله ما يخيس بالعهد غير الخسيس

ولا يرد غرب الغرر إلا الوضيع الغرر ولو عرفت من أنا لما

أسمعتني الخنا لكنك جهلت ففعلت وحيث وجب أن تستجر بك

وما أقبح الغربة والإقلال وأحسن قول من قال

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن وكيف حال غريب ما له قوت

لكنه ما تشين الحر موجعة فالمسك يسحق والكافور مفتوت

وطالما أصلي الياقوت جمر غضى ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

فقال له الشيخ يا ويلة أبيك وعولة أهليك أنت في موقف فخر يطمح

وحسب يشمخ أم موقف جلد يكشط ونعي يشرط ومن أراك البيت كما أنا

عبث أيحط من ذلك حجم قدرك لا والله ولو أن أباك كان أناف على عبد

مناف أو خالك دان عبد المدان فلا تضرب في حديد بارد ولا تطلب ما

لست له بواجد وباه إذا باهيت بموجودك لا بجدودك وبمحصولك لا

بأصولك وبصفاتك لا برفاتك وبأعلاقك لا بأعراقك ولا تطع الطمع

فيزلك ولا تتبع الهوى فيضلك ولله در القائل لابنه

بني استقم فالعود تنمو عروقه قويما ويغشاه إذا ما التوى التوى

ولا تطع الحرص المذل وكن فتى إذا التهبت أحشاؤه بالطوى طوى

وعاص الهوى المردي فكم من محلق إلى النجم لما أن أطاع الهوى هوى

وأسعف ذوي القربى بمقتضهم أن ترى على من إلى الحي اللباب انضوى ضوى

وحافظ على من لا يخون إذا نبا زمان ومن يرعى إذا ما النوى نوى

ولا تغترر واصفح فلا حيم دائم إذا اعتلقت أظفاره بالشوى شوى

وإياك والشكوى فلم أر ذا نهى شكى بل أخو الجهل الذي ما ارعوى عوى

فقال الغلام للنظارة يا للعجيبة والطرفة الغريبة أنقد في السما وأنت

في الما ولغة كالصفا وفعل كالحصا ثم أقبل على الشيخ بلسان سليط

وغيظ مستشيط وقال أف لكم من صواغ باللسان وزواغ عن الإحسان فلم يا

ليت وتعوض عن النعم فإن بك سبب تعتبه نعا وصنعتك لم ماها الله بالكما

وإقساد الحساد حتى تكون أفرغ من حجام ساباط وأضيع من قمر الخياط

فقال الشيخ بل سلط الله عليك بنت الفم وتبيع الترع حتى تلجأ إلى حجام عليهم

باشتطاط تقبل باشتراط كلبل المشراط كثير المخاط والضراط قال فلما تبين

الفتى أنه يشكو إلى غير مصمت وبزاول استفتاح باب مصمت أضرب عن رجع

الكلام واختتم للعيام وعلم الشيخ أنه قد ألام بما أسمع الغلام فجنح إلى السلم و

بدا أن يرعى إلى الحلم ولا ينفع أخي أعلى حجنه وأبى الغلام إلا المشي برأيه والمرب مى

لغايه وما زالا في حجاج وسباب ولزاز وجزاب إلى أن ضج الفتى من الشقاق وتلا

١٦١

سورة الاشفاق فاغرورق حينئذ لو بادرة خشيته وانعطاف عرضه وهمه
وأخذ الشيخ يعتذر من فرطاته ويغيض من عبراته وهو ما يصغي إلى
اعتذاره ولا يغض من استعباره إلى أن قال له بداك عمدك وعن الحما بعدك
أما تنام عن الأعوال أما تعرف الاحتمال أما سمعت بمن قال وأخذ بقول من قال

أخمد بحلمك ما يذكيه ذو سفه من نار غيظك واصفح إن جنا جاني
فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به والأخذ بالعفو أحلى ما جنا جاني

فقال له الغلام أما إنك لو اطلعت على عيشي المنكر لعذرت جد دمعي
المنهمر ولأكرمتني على ما ألم بي ما لا في الزبى ثم كأنه نزع إلى الاستحياء
فانقلع عن البكاء وباء إلى الهدوء وقال للشيخ قد رضيت إلى ما اشتهيت بأن
نعم ما أرهبت فقال هيهات شغلت شغلي حرداً بشم بي وسوائي
ثم إنه نهض يشق الصفوف ويستجم الوقوف وينشد من ضر ما يطوف

أقسم بالبيت الحرام الذي تهوي إليه الزمر المحرمة
لو أن عيني قد تبوئت لما مست يدي المشراط والمحجمة
ولا ارتضت نفسي التي لم تزل تسمو إلى المجد بفعل الهمة
ولا اشتكى هذا الفتى غلظة مني ولا أنا كنت منه خصمه
لاكن صروف الدهر غادرنني كخابط بالليلة المظلمة

واظهر

وأحضرني الفقر إلى موقف يود فيه خوض اللظى المضرمة
فهل فتى تدركه رقة على أخي نغصة مرحمة

قال الحارث بن همام فكنت أول من أوى لبلواه ورق لشكواه فنفحته
بدرهم وقلت له لاكانا ولو كان حاضرين ما بتهج بباكورة جناه و
تباأن بها لعناه ولم تزل الدراهم تنهال عليه وتنثال لديه حتى
إذا عيشته خضرا وحقيبته بجرا فازدهاه الفرح عند ذلك وهنا
نفسه هنالك وقال الغلام هذا ربع أنت بذلك وحلب لك شطره
فهلم لنقتسم ولا تحتشم فتقاسماه بينهما شق الأبلمة ونفضا متبقى
الكلمة ولما انتظم عقد الاصطلاح وهم الشيخ بالرواح قلت له
من تبوع دمع ونقلت إليك قدمي فهل لك في أن تحاجيني وتكفكف
ما دهمني فصوب طرفه بي وصعد ثم ازدلف وأنشد

لئن رأيت خدعتي وختلي وما جرى بيني وبين سخلي
بالله يا مهجة عيني قل لي هل أبصرت عيناك قط مثلي
يفتح بالرقية كل قفل ويستبي بالسحر كل عقل
ويجتلي الجد بماء الهزل إن يكن الإسكندري قبلي
بالطل قد بدر أمام الوبل والفضل للوابل لا للطل

فقال فبشهتني أرجوزته عليه وأرتني أنه شيخنا المشار إليه فغمزته
عنه على الابتزاز ولا تغالى بالازدراء بما عرض عما سمع ولم يبل
بما قرع وقال كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع ثم قاطع وفاطنا
المنقار وانطلق هو وابنه كفرسي رهان. قال الشيخ الإمام
الأجل والسيد الأوحد أبو محمد القاسم بن علي أدام الله عزه

ثم أودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلا من أمثال العرب وها أنا أبين منها ما إخاله يلتبس
على من يقتبس أما قوله أبطأ من فند فهو مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص وكانت بعثته بالمدينة
ليقتبس لها نارا فقصد مصر وأقام بها سنة ثم جاء بها بعد السنة وهو يشتد فعثر فتبدد منه فقال
تعست العجلة فقالت عائشة. بعثتك قابسا فلبثت حولا. متى يأتي غياثك من تغيث. وقال أخو
[illegible] قابسا فلبثت حولا وسبب العجلة. وكان فند هذا مؤنثا وأما ذات النحيين فهي
امرأة من تيم اللات بن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلى بها خوات بن جبير لاستطا...
ليبتاعهما منها ففتح أحدهما وذاقه ودفعه إليها فأمسكته بإحدى يديها ثم فتح الآخر وذاقه ودفعه إليها
فأمسكته بيدها الأخرى ثم غشيها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فمي النحيين وشحها على السمن فلما
قام عنها قالت له لا هناك الله فضرب بها المثل فيمن يشغل وهي في هذا المثل مفعول لأنها شغلت وأكثر الأمثال التي
تأتي على أفعل إنما تأتي من فعل الفاعل وأما قوله أنف في السماء واست في الماء فيضرب لمن يتكبر مقالا
ويصغر فعالا وأما قوله أفرغ من حجام ساباط فذكر أنه كان حجاما ملازما ساباط المدائن فمر به الجند بدانق نسيئة وربما
مرت عليه جمعة لا يمر به أحد فكان يحجم أمه ليتناهى عن عطلته ويحجمها لئلا يعير بالبطالة فلا زال يحجمها حتى
نزف دمها وماتت وأما قوله يشكو إلى غير مصمت فهو مثل يضرب لمن لا يكترث بشكوى صاحبه ولا يعبأ باستطار شكاية
بثه لأنه لو اشتكاه لصمت وأمسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جمله. إنك لا تشكو إلى مصمت.
فاصبر على الحمل الثقيل أو مت. ونحو هذا المثل قولهم [illegible] لا ذا الدين وأما قوله تنخلت شعابي
جرم أي ما المراد به أنه لم يبق عندي ما يعطى منه لما أصابه الرغيب والشعاب النواحي واحدها شعب وقوله
كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع معناه أن المجهود يقنع بما يجد والوقع أن تصيب الحجارة القدم فتدمى
منها وأما النعيم الوقع فهو الذي تكفي [illegible] الدين [illegible]

المقامة الثامنة والأربعون وتعرف بالحرامية

روى الحارث بن همام عن أبي زيد السروجي قال ما زلت مذ رحلت عنسي وارتحلت

عن عرسي وغرسي أحن إلى عيان البصرة حنين المظلوم إلى النصرة لما أجمع عليه
أرباب الدراية وأصحاب الرواية من خصائص معالمها وعلمائها ومآثر مشا
هدها وشهدائها وأسأل الله أن يوطئني ثراها لأفوز بمرآها وأن يمطيني
قراها فلما أحلنيها الحظ وسرح فيها اللحظ رأيت بها ما يملأ العين قرة.

لأقتري قراها

ويسلي عن الأوطان كل غريب. فغلست في بعض الأيام حين نصل خضاب الظلام
وهتف أبو المنذر بالنوام لأخطو في خططها وأقضي الوطر من توسطها فأداني
الاختراق في مسالكها والانصلات في سككها إلى محلة موسومة بالاحترام منسوبة
إلى بني حرام ذات مساجد مشهودة وحياض مورودة ومبان وثيقة ومغان
أنيقة وخصائص أثيرة ومزايا كثيرة

بها ما شئت من دين ودنيا وجيران تنافوا في المعاني
فمشغوف بآيات المثاني ومفتون برنات المثاني
ومضطلع بتلخيص المعاني ومطلع إلى تخليص عاني
فكم من قارئ فيها وقار أضر بالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها وناد للتراخي والتهاني
ومغنى لا تزال تغن فيه أغاريد الغواني والأغاني
فصل إن شئت فيها من يصلي وإما شئت فادن من الدنان

١٣٣

ودون صحبة الأكياس فيها أن الكاسات منطق العنا

قال فبينما أنا أنفض طرقها وأستشف زرقها إذ لمحت عند دلوك
براح وانقلال الرواح مسجداً مشتهراً بطرائفه مزدحماً بطوائفه وقد
أجرى أهله ذكر حروف البدل وجروا في حلبة الجدل فعجت نحوهم لا لاستماع
نحوهم لا لاقتباس نحوهم فلم يك إلا كقبسة العجلان حتى ارتفعت الأ
صوات بالأذان ثم ردف التأذين بروز الإمام فأغمدت ظبى الكلام وحلت
الحبى للقيام وشغلنا بالفرض عن استمراء الفوت وبالسجود عن استتمام ال
الجود ولما قضي الفرض وكاد الجمع ينفض انبرى من الجماعة كهل حلو
البراعة له مع الصمت الحسن ذلاقة اللسن وفصاحة الحسن وقال يا
جيرتي الذين اصطفيتهم على أغصان شجرتي وجعلت خطتهم دار هجرتي
واتخذتهم كرشي وعيبتي وأعددتهم لحضرتي وغيبتي أما تعلمون أن
لبوس الصدق أبهى الملابس الفاخرة وأن فضوح الدنيا أهون من فضوح
الآخرة وأن الدين إمحاض النصيحة والإرشاد عنوان العقيدة الصحيحة
وأن المستشار مؤتمن والمسترشد بالنصح قمن وأن أخاك هو الذي عذلك
لا الذي عذرك وصديقك من صدقك لا من صدقك فقال له الحاضرون أيها
الخل الودود والخدن المودود ما سر كلامك المغلق وما شرح خطابك

المزج وما الذي تبغيه منا لننجز ولو أعجز فوالذي حبانا بمحبتك وجعلنا
من صفوة أحبتك ما نألوك نصحا ولا نرخص عندنا نصحا فقال أجزيتم خيرا
ووقيتم ضيرا فإنكم ممن لا يشقى بهم جليسهم ولا يضر عنهم تلبيسهم ولا
يخيب فيهم مظنون ولا يطوى دونهم مكنون وسأبثكم ما حاك في صدري و
أستفتيكم فيما عيل له صبري اعلموا أني كنت عند طوادي نزو وصروده
أخالط الدنية العقار وأعطيتها صفقة العفر على ألا أنساها أبدا ما
ولا عاقر ندامى ولا احتسي قهوة ولا أكتسي نشوة بسلافة في الخلوة
الخطة والشقوة المقدرة أن نادمت الأبطال وعاطيت الأرطال وأطعت
الوقار وأن تضعضعت العقار وامتطيت مطى الكميت وتناسيت التوبة كأ
لمين ثم لم أقنع بما نبيكم المرة في طاعة أي مرة حتى عكفت على الخندريس
في يوم الخميس وبت صريع الصهباء في الليلة الغراء وها أنا بادي الكآبة
لبعد إنابة ناقض التوبة لوطء المدامة شرب رأيتها ومن نقض الميثاق
مغترف بالإسراف في عب الشلاف

فيا قوم من كفارة تعرفونها . تباعدني من ذنبي وتدنيني إلى ربي

قال أبو زيد فلما حل أنشوطة نفثته وقضى الوطر من استكانته
ناجتني نفسي يا أبا زيد هذه نهزة صيد فشمر عن يد وأبز بانتفضت من

تجشمي انتهاض الشمم وانخفضت من الصبا انحل الشمم وقلت

أيها الأروع الذي — فاق مجدا وسوددا

والذي يبتغي ارشا — د ليهدوا به غدا

إن عندي علاج ما — بت منه مسهدا

فاستمعها عجيبة — غادرتني ملددا

أنا من ساكني سرو — ج ذوي الفضل والهدى

كنت ذا ثروة بها — ومطاعا مسوددا

مربعي مألف الضيو — ف ومالي لهم سدا

اشتري الحمد بالنهى — وأقي العرض بالجدا

لا أبالي بمن بغى — طاح بالبذل والندا

أوقد النار باليفا — ع إذا النكس أخمدا

ويراني المؤملو — ن ملاذا ومقصدا

لم يشم بارقي صد — فانثنى يشتكي الصدا

لا ولا رام قابس — قدح زندي فأصلدا

طالما ساعد الزما — ن وأضحت مسعدا

فقضى الله أن يغير ما كان عوّدا

بوأ الدهر أرضنا — بعد خفض تولدا

فاستباحوا خوارجا من — طاد بوه موحدا

وحوى أكلما انتشى — بها وما بدا

فتطوحت في البلا — د طريدا مشردا

أجتني الناس بعدما — كنت من قبل مجتدا

وترى في خصاصة — أنثني للهلال — دا

والبلاء الذي به — شمل أنسي تبددا

اشتباه ابنتي التي — أسروها لتفتدا

فاستبن محنتي ومد — إلى نصرتي يدا

واجز من ان ما — ل الذي جار واعتدا

وأعني على بكا — ء ابنتي من يد العدا

فبرا محيي أنفا — تم عمر تمردا

وبه تقبل الإنا — بة ممن تزهدا

وهو كفارة لمن — زاغ من بعد ما اهتدا

ولمن قضت منشدا — بلغة بغت مرشدا

فاقبل النصح والهدا — ية واشكر لمن هدا

واسمح لمن بالذي يتسنّى لتحمدا

قال أبو زيد فلما أتممت هذرمتي وأوهم المسنون صدق كلمتي
أغرى النهم إلى الكرم بمواساتي ورغبة الكلف بجميل الكلف في مقاساتي
فرضخ لي على الخانم ونضح لي بالعرفة الوارم فانقلبت إلى وكري
فرحا بنجح مكري فربحت من صوغ المكيدة على سوغ الثريدة و
حلت من خوض القصيدة إلى لوك العصيدة قال الحارث بن همام
فقلت له سبحان من أبدعك فما أعظم خدعك فاستغرب في الضحك
ثم أنشد غير متلبث

عش بالخداع فأنت في	دهر بنوه كأسد بيشة
وأدر قناة المكر حتى	تستدير رحى المعيشة
وصد النسور فإن تعذر	صيدها فاقنع بريشة
واجن الثمار فإن تفتك	فرض نفسك بالحشيشة
وأرح فؤادك إن نبا	دهر من الفكر المطيشة
فتغاير الأحداث يؤ	ذن باستحالة كل عيشة

المقامة التاسعة والأربعون وتعرف بالساسانية

حكى الحارث بن همام قال بلغني أن أبا زيد حين ناهز القبضة وابتزّ
نضو القوة والنهضة أحضر ابنه بعدما استحلس وهنه وقال له يا بني
إنه قد دنا ارتحالي من الفناء واكتحالي بمرود الفنا وأنت بحمد الله وليّ
عهدي وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي ومثلك لا تقرع له العصا
ولا ينبه بطرق الحصا ولكن قد يندب إلى الادّكار وجعل صقيلا للأفكار
وإني أوصيك بما لم يوص به شيث الأنباط ولا يعقوب الأسباط فا
حفظ عني وصيتي وجانب معصيتي واحذ مثالي واقتف أمثالي فإ
نك إن استرشدت بنصحي واستصبحت بصبحي أمرع خانك وارتفع
دخانك وإن تناسيت سورتي ونبذت مشورتي قلّ ماء ثادك وز
هد فيك ذوو ودادك يا بني إني جرّبت حقائق الأمور وبلوت
تصاريف الدهور فرأيت المرء بنشبه لا بنسبه والتفحص عن مكسبه لا
عن حسبه وكنت سمعت أن المعايش إمارة وتجارة وزراعة
وصناعة فمارست هذه الأربع لأنظر أيها أوفق وأربع فما أحمد
منها معيشة ولا استرغدت فيها عيشة أما فرص الولايات و
خلس الإمارات فكأضغاث الأحلام والفيء المنتسخ بالظلام ونا
هيك غصة بمرارة الفطام وأما بضائع التجارات فعرضة للمخا
طرات وطعمة للغارات وما أشبهها بالطيور الطيارات وأما

اتخاذ الضياع والتصدي للازدراع منهكة للأعراض وقيود عائقة
عن الارتكاض وقلما خلا ربها من الإذلال ورزق روح البال **وأما**
حرف أولي الصناعات فغير فاضلة عن الأقوات ولا نافقة في جميع الأ
وقات ومعظمها معصوب بشبيبة الحياة **ولم** أر ما هو بارد المغنم لذ
يذ المطعم وافي المكسب صافي المشرب إلا الحرفة التي وضع ساسان أسا
سها ونوع أجناسها وأضرم في الخافقين نارها وأوضح لبني غبراء منا
رها فشهدت وقائعها معلما واختلفت سيماها في ميسمها إذ كانت
المتجر الذي لا يبور والمنهل الذي لا يغور والمصباح الذي يعشو إليه
الجمهور ويستصبح به العمي والعور وكان أهلها أعز قبيل وأسعد
جيل لا يرهقهم مشق حيف ولا يلحقهم سل سيف ولا يخشون حمة لاسع
ولا يدينون لدان ولا شاسع ولا يرهبون من برق ورعد ولا يحفلون
بمن قام وقعد أنديتهم منزهة وقلوبهم مرفهة وطعمهم معجلة
وأوقاتهم عن محلة أينما سقطوا لقطوا وحيثما انخرطوا خرطوا لا يتخذ
ون أوطانا ولا يتقون سلطانا **فقال** له ابنه يا أبت لقد صدقت فيما
نطقت ولكنك رتقت وما فتقت فبين لي من أين أنتجع ومن أين
توكل الكتف فقال يا بني إن الارتكاض بابها والنشاط جلبابها

والفطنة

والفطنة مصباحها والقحة سلاحها وكن أجول من قطرب وأسرى من
جندب وأنشط من ظبي مقمر وأسلط من ذئب متنمر وأور زند
جدك بجدك واقرع باب رزقك بكدك وجب كل فج وخض كل لج
وانتجع كل روض وأدل دلوك إلى كل حوض ولا تسأم الطلب ولا
تمل الدأب فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان من طلب جلب
ومن جال نال وإياك والكسل وملازمة الفشل فإنهما عنوان النحوس
ولبوس ذوي البوس ومفتاح المتربة ولقاح المتعبة وشيمة العجزة
الجهلة وشنشنة الوكلة التكلة وما اشتار العسل من اختار الكسل
ولا ملأ الراحة من استوطأ الراحة وعليك بالإقدام ولو على الضرغام
فإن جرأة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وبها تدرك الحظوة و
تملك الثروة كما أن الجبن صنو الكسل وسبب الفشل ومنبأة للعمل
ومجبنة للأمل ولهذا قيل في المثل من جسر أيسر ومن هاب خاب **ثم**
اعتبر يا بني في بكور أبي زاجر وجرأة أبي الحارث وحراسة أبي قرة و
ختل أبي جعدة وحرص أبي عقبة ونشاط أبي وثاب ومكر أبي الحصين
وصبر أبي أيوب وتلطف أبي غزوان وتلون أبي براقش واخلب بصوغ
اللسان واخدع بسحر البيان وارتد المرعى قبل الجدب وامتر الضرع

قبل الحلب وساير الركبان قبل المنتجع ودمّث لجنبك قبل
المضطجع واشحذ بصيرتك للعيافة وانعم نظرك في القيافة
فإن من صدق توسّمه طال تبسّمه ومن أخطأت فراسته أبطأت
فريسته وكونا يا بنيّ خفيفي الكلّ قليلي الدلّ واغبا عن العلّ فإنها
من الذبل بالطلّ وعظّم وقع الحقير واشكر على النقير ولا تقنط
عند الردّ ولا تستبعد رشح الصلد ولا تيأس من روح الله إنه لا ييأس
من روح الله إلا القوم الكافرون وإذا خيّرت بين درّة منقودة ودرّة
موعودة فمل إلى النقد وفضّل اليوم على الغد فإن للتأخير آفات
وللعزائم بروات وللعزمات معقّبات ويسمعا وبين النجح عقبات وعليك
بصحبة أولي العزم ورفض ذوي الخرم وجانب خرق النشط وتخلّق
بالخلق السبط وقيّد الزمم بالربط وشب البذل بالضبط ولا
تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط ومتى نبا بك
بلد أو نابك فيه كمد فبتّ منه أملك وانزح عنه جملك فخير
البلاد ما حملك ولا تستثقل الرحلة ولا تكره النقلة فإن
أعلام شريعتنا وأشياخ عشيرتنا أجمعوا على أن الحركة بركة و
الطراوة سفتجة وزروا على من زعم أن الغربة كربة والنقلة مثلة

وقالوا أمر تعلّة من اقتنع بالرذيلة ورضي بالحشف وسوء الكيلة
وإذا أزمعت على الاغتراب وأغرت له العصا والجراب فتخيّر
الرفيق المسعد من قبل أن تصعد فإن الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق

خذها إليك وصيّة ... لم يوصها قبلي أحد
غرّاء حاوية خلا ... صات المعاني والزبد
نحلتها تنبيه من ... محض النصيحة واجتهد
واعمل بها مثل الذي ... عمل اللبيب إذا رشد
حتى يقول الناس ها ... ذا الشبل من ذاك الأسد

ثم قال له يا بنيّ قد أوصيت واستقصيت فإن اتّقيت فبها ونعمت
وإن اعتديت فالله خليفتي عليك وأرجو ألّا يخلف
ظنّي بك فقال له ابنه يا أبت لا وضع عرشك ولا رفع نعشك لقد
قلت سدادًا وعلّمت رشادًا وبذلت ما لم يبذل والد لولد ولئن أمهلت
بعدك ولا أذقت فقدك فلأتدرّبنّ بآدابك الصالحة ولأقتربنّ
بآثارك الواضحة حتى يقال ما أشبه الليلة بالبارحة والغادية
بالرائحة فاهتزّ أبو زيد لجوابه وابتسم وقال من أشبه أباه
فما ظلم قال الحارث بن همام فأخبرت أن بني ساسان حين

سمعوا أمعن الوصايا الحسان وفضلوها على وصايا لقمان وحفظوها
كما تحفظ القرآن حتى إنهم ليرونها إلى الآن أولى ما لقنوه الصبيان
وأنفع لهم من نحلة العقيان

المقامة الخمسون وتعرف بالبصرية

روى الحرث بن همام قال أشعرت في بعض الأيام همًّا برح
بي استعاره ولاح علي شعاره وكنت سمعت أن غشيان مجالس
الذكر يسري غواشي الفكر فلم أر لإطفاء ما بي من الجمرة إلا قصد
الجامع بالبصرة وكان إذ ذاك مأهول المساند مشفوه الموارد
يجتنى من رياض أزاهير الكلام ويسمع في أرجائه صرير الأقلام فيمما
تطلقت إليه غير وان ولا لاو على شان فلما وطئت حصاه و
استشرفت أقصاه تراءى لي ذو أطمار بالية فوق صخرة عالية
وقد عصبت به عصب لا يحصى عديدهم ولا ينادى وليدهم فا
برزت قصده وتوردت ورده ورجوت أن أجد شفاء عنده
ولم أزل أتنقل في أماكن وأتخطى للأكم والروابي إلى أن جلست
تجاهه وحيث أمنت اشتباهه فإذا هو شيخنا السروجي
لا ريب فيه ولا لبس يخفيه فسري عني همي وارفض

المحزن

بمعرفته كتيبة غمي وحير زواني وبعض جناني فقال
يا أهل البصرة رعاكم الله ووقاكم وقوى تقاكم فما أوضح
تباكم وأفضل من آباكم بلدكم أزكى البلاد طهرة وأزكاها فطرة
وأفسحها رقعة وأمرعها نجعة وأقومها قبلة وأوسعها دجلة
وأكثرها أنهارًا ونخلة وأحسنها تفصيلًا وجملة دهليز البلد الحرام
وقبالة الباب والمقام وأحد جناحي الدنيا والمصر المؤسس على
التقوى لم يتدنس بنيران النيران ولا طيف فيه بالأوثان ولا سجد
على أديمه لغير الرحمن ذو المشاهد المشهودة والمساجد المقصو
دة والمعالم المشهورة والمقابر المزورة والآثار المحمودة و
الخطط المحدودة به تلتقي الفلك والركاب والحيتان والضبا
والحادي والملاح والقانص والفلاح والناشب والرامح و
السارح والسابح وله آية المد الفائض والجزر الغائض وأما
أنتم فمن لا يختلف في فضلهم اثنان ولا ينكر مفادهم شنآن
دهماؤكم أطوع رعية للسلطان وأشكرهم للإحسان وزاهدكم
أورع الخليقة وأحسنهم طريقة على الحقيقة وعالمكم علامة
كل زمان والحجة في كل أوان ومنكم من استنبط علم النحو ووضعه

والذي ابتدع مِن أن النسك واخترعه وقام بفخر له ولكم فيه الأثر
الطولى وإن شئتم فأنتم أحق به وأولى ثم إنكم أكثر من مؤذنين
وأحسنتم في النشاط فوائد وبكم اقتدى في التعريف وعرف التحكيم
في الشعر الشريف ولكم إذا دجى المضاجع وهجع الهاجع تذكار
يوقظ النايم ويؤنس القايم وما انتسم ثغر فجر ولا بزغ في بر ولا
حر إلا ولتلاوتكم بالأسحار دوي كدوي الريح في البحار وبهذا
صرح عنكم النقل وأخبر النبي عليه السلام من قبل وبشر أن دوي
بكم بالأسحار كدوي النحل في القفار فيا بشرى لكم ببشارة
المصطفى ووافا لمصركم وإن كان قرعا ولم يبق منه إلا شلوا
إلا خزن لسانه وختم بنانه حتى خرج بالأبصار ومال بالأنظار
بتنفس تنفس من قد عود أو ضبثت له من أنثى أسر ثم قال أما
أنتم يا أهل البصرة فما منكم إلا العلم المعروف ومن له المعرفة و
المعروف وأما أنا فمن عرفني فأنا ذاك وشر الفعال ما مر ذاك و
من لم يثبت عرفني فسأصدقه صفتي أنا الذي أنجد وأتهم وأيمن
وأشأم وأصحر وأبحر وأدلج وأسحر نشأت بسروج وربيت على
السروج ثم ولجت المضايق وفتحت المغالق وشهدت المعارك



ولنت

العرايك واقتدت الشوامس وأرغمت المعاطس وأذبت الجوامد
وأمعت الجلامد سلوا عني المشارق والمغارب والمناسم والغوارب
والمحافل والمجامع والقبايل والقنابل واستوضحوا من نقلة الأخبار
ورواة الأسمار وحداة الركبان وحذاق الكهان لتعلموا كم فج
سلكت وحجاب هتكت ومهلكة اقتحمت وملحمة ألحمت وكم ألباب
خدعت وبدع ابتدعت وفرص اختلست وأسد افترست وكم من مجلو
غادرته لقى وكامن استخرجته بالرقى وحجر شحذته حتى انصدع وا
ستنبطت زكاته بالخرع وآكرته ما فيه والغصن رطيب والعود
غريب وبرد الشباب قشيب فأما الآن فقد استشن الأديم وتأود
العود واستنار الليل البهيم فلم يبق إلا الندم إن نفع وترقيع الخرق
الذي قد اتسع وكنت رويت في الآثار المشتهرة والأخبار المعتبرة عن
ذوي العلم والخبرة أن لله تعالى في كل يوم نظرة وأن سلاح الناس
كلم الغرير وسلاحكم الأدعية بالتأبير فنصرتكم أنضيت رواحل
الطوب المراحل حتى فتنت هذا المقام فيكم ولا منة في عليكم إذ ما
سعيت إلا في حاجتي ولا تعبت إلا لراحتي ولست أبغي أعطيتكم
لا أستدعي أرعيتكم ولا أسألكم أموالكم بل أستنزل سؤالكم بأدعا

الله تعالى لتوبيخي للمتاب والإعداد للمآب فإنه رفيع الدرجات
مجيب الدعوات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن
السيئات ثم أنشد

أستغفر الله من ذنوب أفرطت فيهن واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلاً ورحت في الغي واغتديت
وكم أطعت الهوى اغتراراً واختلت واغتلت وافتريت
وكم خلعت العذار ركضاً إلى المعاصي وما ونيت
وكم تناهيت في التخطي إلى الخطايا وما انتهيت
فليتني كنت قبل هذا نسياً ولم أجن ما جنيت
فالموت للمجرم من خير من المساعي التي سعيت
يا رب عفواً فأنت أهل للعفو عني وإن عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعاء، وهو يقلب وجهه في
السماء، إلى أن دمعت أجفانه وبدا رجفانه فصاح الله أكبر فتح الله
ونصر بانت أمارة الاستجابة وانجابت غشاوة الاسترابة فجزيتم
يا أهل البصرة جزاء من هدى من الحيرة ولم يبق في القوم إلا من سر بسروره
ورضخ له بميسوره فقبل عفوهم وأقبل يهرف في شكرهم ثم انحدر من

الصحى

الصخر يوم شاطئ النهر، واعتقبتم إلى حيث تخالفنا وأما التجسس
والتحشر علينا فقلت له لقد أغربت في هذه التوبة فما أبطأ التوبة
فقال أقسم بعلام الخفيات وغافر الخطيئات إن شأني لعجاب وإن
دعاء قومي لمجاب فقلت زدني إيضاحاً زادك الله صلاحاً فقال وأبيك
لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع ثم انقلبت عنهم انقلاب المنيب الخا
شع فطوبى لمن صغت قلوبهم إليه وويل لمن باتوا يدعون عليه قال
الحرث بن همام فلما أزف إعناق الركب وأنشزنا إلى خبرة ما ذكره وكلما
استنشيت خبره من أفواه الركبان وجوابة البلدان كنت كمن حاور عجماً أو
نادى صخرة صماء إلى أن لقيت بعد تراخي الأمد وتواخي الكمد ركباناً قافلين
من سفر فقلت هل من مغربة خبر فقالوا إن عندنا لخبراً أغرب من العنقاء
وأعجب من نظرة الزرقاء فاستنبأتهم إيضاح ما قالوا وأن يكيلوا لي بما اكتالوا
فقالوا إنا ألموا بسروج بعدما فارقها العلوج فرأوا أبا زيدها
المعروف قد لبس الصوف وأم الصفوف وصار بها الزاهد الموصوف
فقلت أتعنون ذا المقامات فقالوا إنه الآن ذو الكرامات فحفزني إليه
النزاع ورأيت فرصة لا تضاع فأرحلت راحلة العزم ويممت نحوه سير
الحزم حتى حللت بمسجده وقرارة متعبده فإذا به قد نبذ صحبة أصحابه

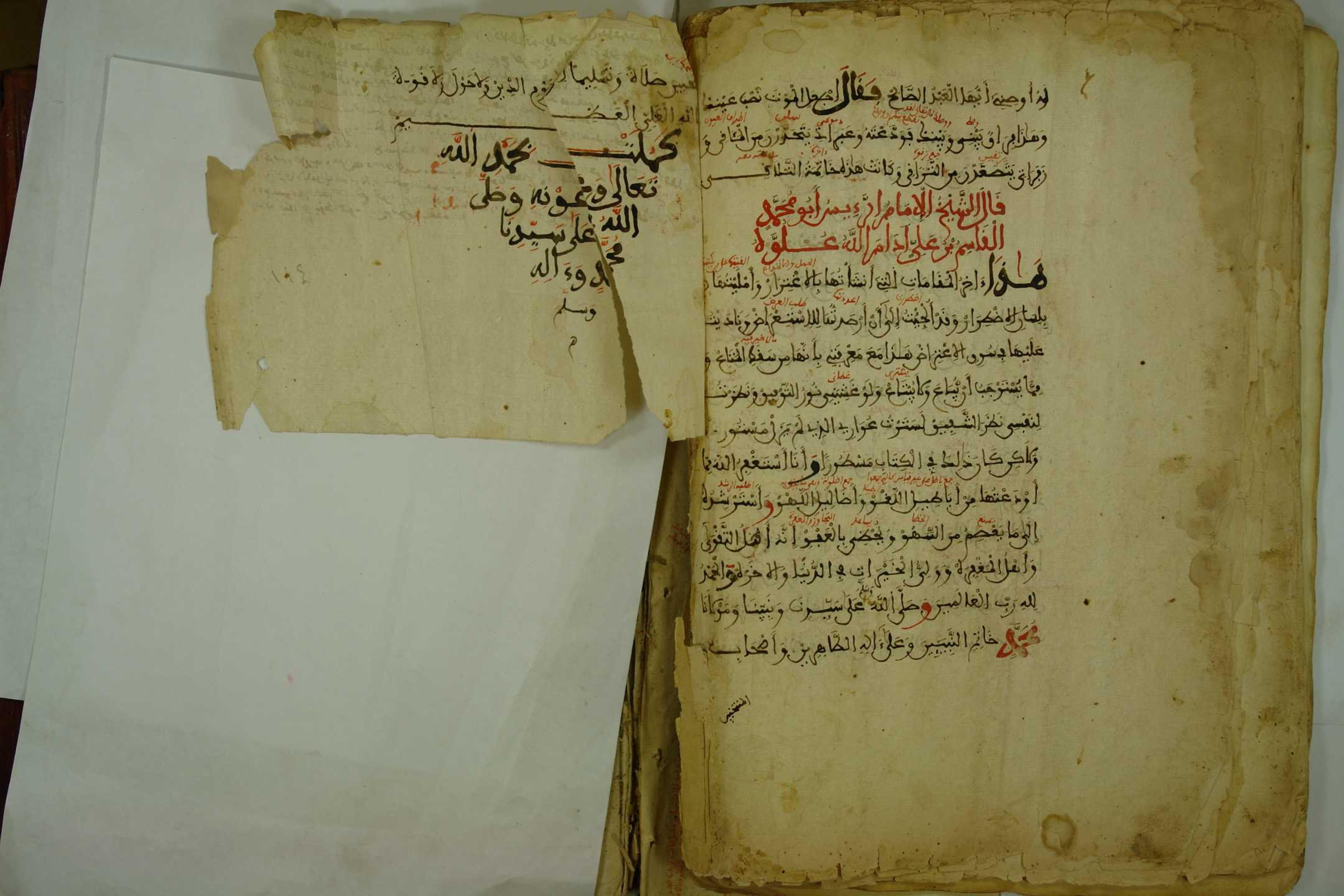
وانتصب في محرابه بمفرد وعباءة مخلولة وشملة موصولة بهيئة
مهابة مزوّج على الأسود والبنية ممن سيماهم في وجوههم
من أثر السجود ولما فرغ من سبحته حيّاني بمسبحته من غير أن
نغم بحديث ولا استخبر عن قديم ولا حديث ثم أقبل على أوراده وتر
كني أعجب من اجتهاده وأغبط من هدى الله من عباده ولم يزل
في قنوت وخشوع وسجود وركوع وإخبات وخضوع إلى أن أكمل
إقامة الخمس وصار اليوم منتظما في أمس [illegible] انكفى إلى بيته
وأسهمني من قرصه وزيته ثم نهض إلى مصلاه وتخلّى لمناجاة مولاه
حتى إذا التمع الفجر وحق للمتهجد الأجر أعقب تهجده بالتسبيح
ثم اضطجع ضجعة المستريح وجعل يرجّع بصوت فصيح

خلّ ادّكار الأربع ... والمعهد المرتبع
والظاعن المودّع ... وعدّ عنه ودع
واندب زمانا سلفا ... سوّدت فيه الصحفا
ولم تزل معتكفا ... على القبيح الشنع
كم ليلة أودعتها ... مآثما أبدعتها
لشهوة أطعتها ... في مرقد ومضجع
وكم خطى حثثتها ... في خزية أحدثتها
وتوبة نكثتها ... لملعب ومرتع
وكم تجرأت على ... رب السماوات العلى
ولم تراقبه ولا ... صدقت فيما تدّعي
وكم غمصت برّه ... وكم أمنت مكره
وكم نبذت أمره ... نبذ الحذا المرقّع
وكم ركضت في اللعب ... وفهت عمدا بالكذب
ولم تراع ما يجب ... من عهده المتّبع
فالبس شعار الندم ... واسكب شآبيب الدم
قبل زوال القدم ... وقبل سوء المصرع
واخضع خضوع المعترف ... ولذ ملاذ المقترف
واعص هواك وانحرف ... عنه انحراف المقلع
إلام تسهو وتني ... ومعظم العمر فني
فيما يضرّ المقتني ... ولست بالمرتدع
أما ترى الشيب وخط ... وخطّ في الرأس خطط
ومن يلح وخط الشمط ... بفوده فقد نعي

وجد بالنفس التي | على ارتياد المخلص
وطاوع الأخلص | واستمع النصح وع
واعتبر بمن مضى | من القرون وانقضى
واخش مفاجات القضا | وحاذر أن تخدع
وانهج سبيل المهتدي | وادكر وشك الردى
وأن مثواك غدا | في قعر لحد بلقع
آها له بيت البلى | والمنزل القفر الخلا
ومورد السفر الألى | واللاحق المتبع
بيت يرى من أودعه | قد ضمه واستودعه
بعد الفضاء والسعة | قيد ثلاث أذرع
لا فرق أن يحله | داهية أو أبله
أو معسر أو من له | ملك كملك تبع
وبعده العرض الذي | يحوي الحيي والبذي
والمبتدي والمحتذي | ومن رعى ومن رعي
فيا مفاز المتقي | وربح عبد قد وقي
سوء الحساب الموبق | وهول يوم الفزع

ويا خسار من بغى | ومن تعدى وطغى
وشب نيران الوغى | لمطعم أو مطمع
يا من عليه المتكل | قد زاد ما بي من وجل
لما اجترحت من زلل | في عمري المضيع
فاغفر لعبد مجترم | وارحم بكاه المنسجم
فأنت أولى من رحم | وخير مدعو دعي

قال الحرث بن همام فلم يزل يرددها بصوت رقيق ويصلها بزفير وشهيق حتى بكيت لبكاء عينيه كما كنت من قبل أبكي عليه ثم برز إلى مسجده بوضوء فتجرد بانطلاق ردفه وطلبت معه مطلع خلفه فلما نفض من حضره وتفرقوا شغر بعد أخذ يهينم بدرسه ويبسك ... في غالب أمسه وفي ضمن ذلك يرتل ترتيل ذي خوف ويبكي بكاء ... حتى استبنت أنه انتحى بالأفراد وأشرب قلبه هوى الزهاد فأخذت بقلبي عزمة الارتحال وتخليته والتخلي بتلك الحال فكأنه تفرس ما نويت أو كوشف بما أخفيت فزفر زفير الأواه ثم قرأ وإذا عزمت فتوكل على الله فاستجلت عند ذلك بصره المخترق ... أن في الأمة محدثين ثم دنوت إليه كما يدنو المصافح وقلت



له أوصى أيها العبد الصالح فقال اجعل الموت نصب عينك
وهذا فراق بيني وبينك فودعته وعبراتي يتحدرن من المآقي و
زفراتي يتصعدن من التراقي وكانت هذه خاتمة التلاقي

قال الشيخ الإمام الرئيس أبو محمد
القاسم بن علي أدام الله علوه

هذا آخر المقامات التي أنشأتها بالاغترار وأمليتها
بلسان الاضطرار وقد أحببت الآن أن أصدرتها للاستعفاء ونادت
عليها بسوق الاغترار هذا مع معرفتي بأنها من سقط المتاع و
مما يستوجب أن يباع ولا يبتاع ولو غشيني نور التوفيق ونظرت
لنفسي نظر الشفيق لسترت عوارها الذي لم يزل مستورا
ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا وأنا أستغفر الله مما
أودعتها من أباطيل اللغو وأضاليل اللهو وأسترشده
إلى ما يعصم من السهو ويحظي بالعفو إنه أهل التقوى
وأهل المغفرة وولي الخيرات في الدنيا والآخرة والحمد
لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا
محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين وأصحابه

صلاة وتسليما إلى يوم الدين ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم

كملت بحمد الله
تعالى وعونه وصلى
الله على سيدنا
محمد وآله
وسلم

[illegible] الجزء الأول كلاهما انه [illegible] من جملتي [illegible]

بكون الفوصة وهي جامعه . لشي مختلف الاصحاب والاخرية البيع مع الغرابين في [illegible]

وذو عهد في الحج [illegible] عشر وهي [illegible] بداية المعنى . وعدها [illegible] ملك النبي [illegible]

والحب [illegible] وهو [illegible] . بدنها [illegible] البيت الحرم . [illegible]

[illegible] بعده . والبهرية [illegible] [illegible] مبلغهم [illegible]

العلم [illegible] النصب انه [illegible] . فحفظ البلغ منه واحد . [illegible]

بغير [illegible] وجزاء . بينهما [illegible] البقرى هو [illegible] لا [illegible]

وانتهى [illegible] بواكه . رابع عشر [illegible] . ثم خمس [illegible] الشهر . [illegible]

والحرمة و [illegible] . عن النبي [illegible] . مرتع بجمانه وعشره . مربوط [illegible]

[illegible] وتكامل الجامعة [illegible] . [illegible] هذا [illegible] . بن مطبق العراة [illegible]

[illegible] الصدر [illegible] مجموع [illegible] التعقب [illegible] الموعبه [illegible]

العقد [illegible] بولاد [illegible] ابن يونس [illegible] [illegible]

١٢٥